

UNIVERSAL
LIBRARY

OU_190345

UNIVERSAL
LIBRARY

ÖP—1700—8-11-77—7,000.

48/7

OSMANIA UNIVERSITY LIBRARY

Call No.

9425941

Accession No.

19911

Author

خ. م. خفري

Title

تأليف خ. م. خفري

This book should be returned on or before the date last marked

نور اليقين

في سيرة سيّد المرسلين

﴿ مؤلفه ﴾

(محمد الحضري)

﴿ الحائز شهادة التدريس من مدرسة دار العلوم الحديوية ﴾
﴿ المدرس بمدرسة الصنائع الاميرية ﴾
﴿ بالنصوره ﴾

﴿ الطبعة الاولى ١٣١٥ هـ ﴾

﴿ حقوق الطبع محفوظة للمؤلف ﴾

﴿ المطبعة الجامعة (سليم حبالين بمصر) ﴾

كِتَابٌ

❖ نور اليقين في سيرة سيد المرسلين ❖

❖ لمؤلفه ❖

(محمد الخضرى)

(الحائز شهادة التدريس من مدرسة دار العلوم الحايويه)
❖ والمدرس بمدرسة الصنائع الاميرية ❖
« بالنصوره »

❖ حقوق الطبع محفوظة للمؤلف ❖

(سنة ١٣١٥)

❖ الطبعة الاولى بالمطبعة الحاميه (سليم حبالين بمصر) ❖

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

نحمدك يا من اوضحت لنا سبل الهداية وازحت عن
بصائرنا غشاوة الغواية ونصلي ونسلم على من أرسلته شاهداً
ومبشراً ونذيراً وداعياً إلى الله بأذنه وسراجاً منيراً وعلى الاصحاب
الذين هجروا الاوطان يتبعون من الله الفضل والرضوان
والانصار الذين آووا ونصروا وبذلوا اعزاز الدين ما جمعوا وما
ادخروا (إمامي) فيقول محمد الحضري ابن المرحوم الشيخ عفيفي
الباجوري كنت أجد من نفسي منذ النشأة الاولى ارتياحاً
لقراءة تواريخ السالفين وقصص الغابرين وأجد هال العقل الانسان
أحسن مذهب وأنصح معلم وكنت أرى في تاريخ نبينا عليه الصلاة
والسلام ومالقيه من أذى قومه حينما دعاهم الى الحق وعظيم صبره
حتى هجر اوطانه وبلاده أعظم مرب لافكار المسلمين حيث

بدلهم ذلك على ما يجب اتباعه وما يلزم اجتنابه بسودوا كما ساد
 ساقوهم وخصوصاً ما يتعلق بالحكام من اجذاب النفوس النافذة
 والتأليف بين القلوب المختلفة وما يتعلق بقواد الجيوش من تأليف
 الرجال وأحكام المعدات حتى يتم لهم النصر على اعدائهم وما يتعلق
 بالعامّة من اتحاد قلوبهم وصيرورتهم يداً على من سواهم فكانت
 أجد من قراءتها راحة عظيمة وكانت نفسي كثيراً ما تأسف على ترك
 العامّة لها فقلما اجد من يشتغل بها ولكنى كنت افدم لهم المدر
 تطويل الكتب المؤلفة في هذا الموضوع فلما قدمت مدينة
 المنصورة جمعتى النوادى مع انسان عين هذا الدهر رب المجد
 والفخر الجامع لاشتات الفضل والقائض على ميزان العدل الذى
 احرز لنفسه بعظيم نبله فاخرا الدنيا وذاخر الدين صاحب السعادة
 محمود بك سالم القاضى بحكمة المنصوره المختلطة فوجدت منه علماً
 بدينه تقف دونه فحول الرجال ونتاجر عن مساقته الا بطل فقلما
 توضع مسألة دينية الا وجدته مبرز افهام فصيحاً عن الجواب عنها اما
 علمه بسيرة الرسول الاكرم فعنده منها الخبر البقبن وكنت كثيراً
 ما اسمعه يتشوف لعمل سيرة خالية من الجشوء والتعقيد تنفع بها
 عامّة المسلمين فقلت يا لله لقد وافق هذا السبد الكريم ما فى

نفسى ولكنى كنت ارى فى نفسى قصورا عن تنفيذ رغبته
وتتميم أمنيته فان المقام عظيم ومسئولته أعظم ولكن لم أر من
الامر بدآ تلقاء ما كنت أسمع من كبار رجال المنصورة
الذين اشتهروا بالفضل والفضيلة فانهم أكثروا من الامانى
اعمل هذا الكتاب العميم النفع الجزيل الفائدة فقامت معتمداً
على الله راجياً منه ان يوفقنى لما فيه رضاه وواصلت السير
بالسرعة حتى بلغت المنى فجاء بحمد الله كتاباً سهل المنال
عذب المورد تنفع به العامة وترجع اليه الخاصة وقد كان
موردى فى تأليفه القرآن الشريف وصحيح السنة مما رواه
الامامان البخارى ومسلم ولم أخرج عنهما الا فيما لا بد منه
من تفهيم العبارات فكان يساعدنى الشفاء للقاضى عياض
والسيرة الحلبيه وكتاب المواهب للقسطانى وأحياء علوم
الدين لحجة الاسلام العزالى ولكتابى هذا الحظ الاوفر
والنصيب الاكمل اظهوره فى زمن هو غرة الازمان وميدان
تتسابق فيه رجال البيان زمن حليت طلعتة وجمت غمرته
بخديوية الامير الجليل عزيز مصر عباس باشا الثانى أعز
الله ملكه وأدام حياته مستظلاً بلواء أمير المؤمنين وحامي بيضة

الدين الخليفة الاعظم السلطان عبد الحميد بن عبد المجيد رفع الله قدر دولته واثاله جل رغبته آمين

وقد آن ان نشرع فيما قصدناه مستعينين بحول الله فتقول

السيد الاكرم الذي شرف العالم بوجوده هو (محمد بن عبد الله) من زوجته آمنة بنت وهب الزهرية القرشية (ابن عبد المطلب) من زوجته فاطمة بنت عمر والحزومية القرشية وكان عبد المطلب شيخاً معظماً في قريش يصعدرون عن رأيه في مشكلاتهم ويقدمونه في مهماتهم (ابن هاشم) من زوجته سلمى بنت عمرو النجارية الحزروية (ابن عبد مناف) من زوجته عاتكة بنت مرة السلمية (ابن قُصَي) من زوجته حُتَي بنت حليل الخزاعية وكان الى قصي في الجاهلية حجابة البيت وسقاية الحاج واطعامه المسمى بالرفادة والندوة وهي الشورى لا يتم أمر الا في بيته واللواء لا تعقد راية لحرب الا بيده ولما أشرف على الموت جعلها في يد أحد أولاده عبد الدار ولكن بنو عبد مناف أجمعوا رأيهم على ان لا يتركوا بني عمهم عبد الدار يستأثرون بهذه المفاخر وكاد يفضي الامر الى القتال لولا ان تدارك الامر عقلاء الفريقين فاعطوا بني عبد مناف السقاية والرفادة فدامت افيهم الى ان انتهت للعباس بن عبد المطلب ثم لبنيه من

السبب
الشرع

بعده اما الحجابة فبقيت بيد بني عبدالدار الى الآن وهم بنو شيبة
واما اللواء فدام فيهم حتى أبطله الاسلام وجعله حقاً للخليفة على
المسلمين يضعه فيمن يراه صالحاً له وكذلك الندوة وقصى (بن
كلاب) من زوجته فاطمة بنت سعد وهي يمانية من ازدشنوة (ابن
مرة) من زوجته هند بنت سري من بني فهر بن مالك (ابن كعب)
من زوجته محشية بنت شيبان من بني فهر أيضاً (ابن لؤي) من
زوجه أم كعب مارية بنت كعب من قضاة (ابن غالب) من زوجته
أم لؤي عاتكة بنت يخذل من بني النضر بن كنانة (ابن فهر) من زوجته
أم غالب ليلى بنت الحارث من هذيل وفهر هو قرش في قول
الاكثرين فكل من كان من ولده فهو قرشي (ابن مالك) من زوجته
جندله بنت عامر من جرهم (ابن النضر) من زوجته عاتكة بنت
عدوان بن قيس عيلان (ابن كنانة) من زوجته برقة بنت مر من بني
تميم (ابن حزيمة) من زوجته عوانة بنت سعد بن قيس عيلان (ابن
مذركة) من زوجته سلمى بنت أسلم من قضاة (ابن الياس) من
زوجه خندف المضروب بها المثل في الشرف والمنعة (ابن مضر)
من زوجته الرباب بنت جندة بن معد (ابن نزار) من زوجته
سودة بنت عاك (ابن معد) من زوجته معانة بنت جوشم من جرهم

(ابن عدنان)

هذا هو النسب المتفق على صحته من علماء التاريخ والمحدثين
أما النسب فوق ذلك فلا يصح فيه طريق غاية الأمر أنهم أجمعوا
على أن نسب الرسول ينتهي إلى اسماعيل بن إبراهيم أبي العرب
المستعربة نسب شريف كما ترى آباء طاهرون وأمّهات طاهرات
لم يزل عليه السلام ينتقل من أصلاب أولئك إلى أرحام هؤلاء حتى
اختاره الله هاديًا مهيأ من أوسط العرب نسبا فهو من صميم
قريش التي لها القدم الأول في الشرف وعلو المسكنة بين العرب ولا
تجد في سلسلة آئانه إلا كراما ليس فيهم منسب رذل بل كلهم سادة قادة
وكذلك أمّهات آئانه من أرفع قبائلهن شأنًا وأولاشك أن شرف
النسب وطهارة المولد من شروط النبوة وكل اجتماع بين آئانه
وأمّهاته كان شريفاً بحسب الأصول العربية ولم ينل نسبه شيء من
سفاح الجاهلية بل طهره الله من ذلك والحمد لله

كان عبد الله بن عبد المطلب من أحب ولدائه إليه فزوجه آمنة
بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب وسنه ثمان عشرة سنة
وهي يومئذ من أفضل نساء قريش نسباً وموضعاً ولما دخل عليها حمت
برسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يلبث أبوه أن توفي بعد الحمل

رواج منسب الله
بآمنة وحملها

بشهرين ودفن بالمدينة عند اخو اله بنى عدى بن النجار فانه كان
ذهب لتجارة الى الشام فأدركته مديته بالمدينة وهو راجع ولما تمت
مدة حمل آمنة وضعت ولدها فاستبشر العالم بهذا المولود الكريم
الذى بث في أرجائه روح الآداب وتمم مكارم الاخلاق وكان
ذلك في ربيع الاول من عام الفيل (١) الذي يوافق سنة خمس مائة
وسبعين من ميلاد المسيح عليه السلام وكانت ولادته في دار
أنى طالب بشعب بنى هاشم وكانت قابله الشفاء أم عبد الرحمن بن
عوف ونساء أولد أرسلت أمه لجدته تبشره فأقبل مسرورا وسماها محمداً
ولم يكن هذا الاسم شائعاً قبل عند العرب ولكن أراد الله أن يحقق ما
قدره وذكروه في الكتب التي جاءت بها الانبياء كالطوراة والانجيل
فالهم جده أن يسميه بذلك انما إذا لامره وكانت حاضته أم ايمن
ركبة الحبشية أمة أبيه عبد الله وأول من أرضعه ثويبة أمة عمه
ابن لهب وكان من عادة العرب أن يلتمسوا المراضع لمواليهم في
البوادي ليكون أنجب للمولد وكانوا يقولون أن المرء في المدن
يكون كليل الذهن فاترا العزيمة فجاءت نسوة من بني سعد بن بكر
يطلبن اطفالاً يرضعهم فكان الرضيع المحمود من نصيب حليلة
(١) حادثة شهيرة حصلت بمكة فأرخت بها العرب كعادتهم وكل أمة في

الرضاع

بنت أبي ذؤيب السعدية واسم زوجها أبو كبشة وهو الذي كانت
قريش تنسب له الرسول حينما يريدون الاستهزاء به فيقولون هذا
ابن أبي كبشة يكلم من السماء ودرت البركات على أهل ذاك البيت
الذين أرضعوه مدة وجوده بينهم وكانت تربوعن أربع سنوات
وحصل له وهو بينهم حادثة مهمة وهي شق صدره وإخراج حظ
الشیطان منه فأحدث ذلك عند حليلة خفافاً عليه فردته إلى أمه
وحديثها قائله بينما هو وأخوته في بهم لنا خلف يوتنا إذا أتى أخوه
يعدو فقال لي ولا يبه ذاك أخي القرشي قد أخذته رجلاً ن عليهما
تياب بيض فأضجعا فشقاً بطنه فهما يسوطانه خرجت أنا وأبوه
نحوه فوجدناه متقعاً لونه فالتزمته والتزمه أبوه فقلنا له مالك يا بني
فقال جاءني رجلان عليهما تياب بيض فقال أحدهما لصاحبه أهو
هو قال نعم فأقبلاني بتدراني فأضجعا فشقاً بطني فالتسافيه شيئاً

التاريخ بالأمور المهمة وقد ذكر القرآن هذه الحادثة في سورة الفيل وحاصلها
أن ملكاً من ملوك الحبشة الذين امتلكوا اليمن بعد حمير أغار على مكة قصد هدم
كعبتها وكان معه فيل عظيم لم يكن العرب رأوا مثله فأكروا ما للشيء المنتظر وغيره
على بيته الكريم جعل الله كيدها لاعداء في تصايل وأرسل عليهم طيراً أبابيل
ترميهم بحجارة من سجيل فجعلهم كعصف مأكول وأراح قريشاً من عاء
مقاومتهم اهـ

حادثة
شق الصدر

فأخذاه وطر حاده ولا أدري ما هو ثم إن أمه أخذته منها وتوجهت به إلى المدينة لزيارة أخوال أبيه بنى عدي بن النجار وبينما هي عائدة أدركتها منيتهما في الطريق فماتت بالابواء (١) فحضنته أم أيمن وكفله جده عبد المطلب وورق له رقعة لم تعهد له في ولدته لما كان يظهر عليه مما يدل على أن له شأنًا عظيمًا في المستقبل وكان يكرمه غاية الأكرام ولكن لم يلبث عبد المطلب أن توفي بعد ثمانى سنوات من عمر الرسول فكفله شقيق أبيه أبو طالب فكان له رحيماً وعليه غيوراً وكان أبو طالب مقلداً من المال فبارك الله له في قلبه وكان الرسول في مدة كفالة عمه مال القناعة والبعد عن السفاسف التي يشتغل بها الأطفال عادة كما روت ذلك أم أيمن حاضنته فكان إذا أقبل وقت الأكل جاء الأولاد فيحتطفون وهو قانع بما سيسره الله له

وفاة آمنة

وفاة عبد المطلب

وكفالة أبي طالب

ولما بلغ سنه عليه السلام تسع سنين أراد عمه وكفيله السفر بتجارة إلى الشام فاستعظم الرسول فراقه ففرقه وأخذ معه وهذه هي الرحلة الأولى ولم يمكثوا فيها إلا قليلاً وقد أشرف على رجال القافلة وهم يقرب بصرى بحيرا الراهب فسألهم عمار آفي كتبهم المقدسة من بعثة نبي من العرب في هذا الزمن فقالوا إنه لم

السفر إلى الشام المرة الأولى

يظهر الآن وهذه العبارة كثير أَمَا كَانَ يُلَهِجُ بِهَا أَهْلَ الْكِتَابِ مِنْ
يَهُودٍ وَنَصَارَى قَبْلَ بَعْثَةِ الرَّسُولِ فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كُفْرًا بِهِ
فَلَعَنَهُ اللَّهُ عَلَى الْكَافِرِينَ وَلَمَّا بَلَغَ سَنُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَشْرِينَ سَنَةً حَضَرَ حَرْبَ الْعَجَّازِ
حَرْبَ الْعَجَّازِ وَهُوَ حَرْبُ كَانَ بَيْنَ كِنَانَةَ وَمَعَهَا قُرَيْشٌ وَبَيْنَ قَيْسِ
وَسِبْيَهَا أَنَّهُ كَانَ لِلنُّعْمَانِ بْنِ الْمُنْذَرِ مَلِكُ الْعَرَبِ بِالْحَيْرَةِ تَجَارَةً يَرْسُلُهَا
كُلَّ عَامٍ إِلَى سَوْقِ (١) عَكَازٍ لِنَبَاعٍ لَهُ وَكَانَ يَرْسُلُهَا فِي أَمَانٍ رَجُلٌ ذِي
مَعْنَةٍ وَشَرَفٍ فِي قَوْمِهِ لِيَجِيزَهَا لِحَالِ يَوْمًا وَعِنْدَهُ الْبَرَاضُ
ابْنُ قَيْسِ الْكِنَانِيِّ وَكَانَ فَاتِكًا خَلِيعًا خَلَعَهُ قَوْمُهُ لِكَثْرَةِ شَرِّهِ وَعُرْوَةُ
ابْنُ عَتْبَةَ الرَّحَالِ فَقَالَ مَنْ يُخِيزُ لِي تِجَارَتِي هَذِهِ حَتَّى يَلْعَنَهَا عَكَازُ
فَقَالَ الْبَرَاضُ أَنَا أُجِيزُهَا عَلَى بَنِي كِنَانَةَ فَقَالَ النُّعْمَانُ إِنَّمَا أُرِيدُ مَنْ
يُجِيزُهَا عَلَى النَّاسِ كُلِّهِمْ فَقَالَ عُرْوَةُ أَيْتُ (٢) الْمَاعِزِ أَكَلَبُ خَلِيعٍ يُجِيزُهَا
لَكَ أَنَا أُجِيزُهَا عَلَى أَهْلِ الشَّيْخِ وَالْقَيْصُومِ مِنْ أَهْلِ نَجْدٍ وَتِهَامَةٍ فَقَالَ
الْبَرَاضُ أَوْ تُجِيزُهَا عَلَى كِنَانَةَ يَاعُرْوَةُ قَالَ وَعَلَى النَّاسِ كُلِّهِمْ فَاسْرُهَا
الْبَرَاضُ فِي نَفْسِهِ وَتَرَبَّصَ لَهُ حَتَّى إِذَا خَرَجَ بِالتَّجَارَةِ قَتَلَهُ غَدْرًا ثُمَّ
(١) سَوْقٌ كَانَتْ تَعْقُدُهُ الْعَرَبُ كُلُّ عَامٍ لِعَرْضِ فِيهِ تِجَارَتِهَا وَمَا قَالَهُ فَصَحَّاحُهَا
مِنْ قِصَائِدِ الْفَحْرِ وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ مِنْ مَفَاحِرِ الْعَرَبِ وَهِيَ أَشْبَهَ بِمَعَارِصِ
أَوْ رُبَا الْآنَ

أرسل رسولاً يخبر قومه كنانة بالخبر ويحذرهم قيساً قوم عروة أما
قيس فلم تلبث بعد أن بلغها الخبر أن همت لتدرك ثأرها حتى أدركوا
قريشاً وكنانة بنخلة (١) فاقتتلوا ولما اشتد البأس وجمعت قيس
احتمت قريش بحرمها وكان فيهم رسول الله ثم إن قيساً قالوا لخصومهم
إننا لنترك دم عروة فمؤعدنا عكاظ العام المقبل وانصرفوا إلى بلادهم
يحرّض بعضهم بعضاً فلما حال الحول جمعت قيس جموعها وكان معها
ثقيف وغيرها وجمعت قريش جموعها من كنانة والاحابيش وهم
حلفاء قريش وكان رئيس بني هاشم الزبير بن عبيد المطلب ومعه
أخوته أبو طالب وحزرة والعباس وابن أخيه النبي الكريم وكان
على بني أمية حرب بن أمية وله القيادة العامة لمكانه في قريش شرفاً
وسناً وهكذا كان على كل بطن من بطون قريش رئيس ثم تناجزوا
الحرب فكان يوماً من أشد أيام العرب هولاً ولما استعجل فيه من
حرمات مكة التي كانت مقدسة عند العرب سعى مثيروها بجاراً
وسميت هي حرب الفجار وكادت الدائرة تدور على قيس حتى
انهزم بعض قبائلها ولكن أدركهم من دعا المتحاربين للصالح على أن
يحصوا قتلى الفريقين فمن وجد قتلاً أكثر أخذت الزائد فكانت

أميس زيادة اخذوا ديتهم من قريش وتعهدها حرب بن أمية ورهن
 اسدادها ولده اباسفيان وهكذا انتهت هذه الحرب التي كثيراً ما
 تشبه حروب العرب تبدوها صغيرات الامور حتى الف الله بين
 قلوبهم وازاح عنهم هذه الضلالات بانتشار نور الاسلام بينهم
 وعند رجوع قريش من حرب الفجار تداعوا الحلف حلف الفضول
 الفضول فتم في دار عبد الله بن جدعان أحد رؤساء قريش وكان
 المتحالفون بنى هاشم وبنى طالب وبنى أسد بن عبد المطلب وبنى
 زهرة بن كلاب وبنى نعيم بن مسرة من قريش تحالفوا وتعاهدوا ولا
 يجدوا بمكة مظلوماً من اهلها او من غيرهم من سائر الناس الا قاموا
 معه حتى ترد اليه مظلمته وقد حضر هذا الحلف رسول الله عليه
 السلام مع اعمامه وقال بعد ان شرفه الله بالرسالة (لقد شهدت مع
 عمومي حلفاً في دار عبد الله بن جدعان ما أحب ان لي به حمر البعير
 ولو دعيت به في الاسلام لا جبت) وذلك لانه عليه السلام
 مبعوث بكارم الاخلاق وهذا منها وقد أقر دين الاسلام
 على كثير منها يرشدك الى هذا قوله عليه السلام (بعثت
 لاتمم مكارم الاخلاق وقد دعنا بهذا الحلف كثير من
 فأنصفوا

رحلته الى
الشام المرة
الثانية

ولما بلغ منه عليه السلام خمساً وعشرين سنة سافر الى الشام
المرة الثانية وذلك ان خديجة بنت خويلد كانت امرأة تاجرة ذات
شرف ومال تستأجر الرجال في مالها وتضاربهم اباد فلما سمعت عن
رسول الله من الامانة وصدق الحديث ما لم تعرفه في غيره حتى سماه
قومه الامين استأجرته ليخرج في مالها الى الشام تاجراً وتعطيه
أفضل ما كانت تعطى غيره فسافر مع غلامها مبسرة فباعا واتاما
وربحا ربحاً عظيماً وظهر للنبي الكرم في هذه السفرة من البركات ما
حبيه في قلب مبسرة غلام خديجة فلما قدم مكة ورأت خديجة ربحها
العظيم سرت من الامين عليه السلام

زواجه وخديجه

وأرسلت اليه فخطبته لنفسها وكان سنها نحو الاربعين وهي من
أوسط قرين حسبا وأوسعهم مالاً فقام الامين عليه السلام مع
أعمامه حتى دخل على عمها عمر بن أسد فخطبها منه بواسطة عمه أبي
طالب فزوجها عمها وقد خطب أبو طالب في هذا اليوم فقال الحمد لله
الذي جعلنا من ذرية ابراهيم وزرع اسماعيل رضى (١) بعد
وعنصر مضر وجعلنا حصاة بيته وسكن حرمة وجعله انا نبتا
محجوباً وحرماً آمناً وجعلنا احكام الناس ثم ان ابن أخى هذا محمد بن

عبد الله لا بوزن به رجل شرفاً ونبلًا وفضلاً وان كان في المال قُلَّةً
فان المال ظل زائل وأمر حائل وعار به مُستَرَدَّة وهو والله بعد
هذا لذي باعظيم وخطر جليل وقد خطب اليكم رغبة في كريمتكم
خير نجة وقد بذل لها من الصداق (كذا) وعلى ذلك تم الامر وقد
كانت متزوجة قبله باني هاله وفي عنها وله منها ولد اسمه هاله وهو
رب المصطفى عليه السلام

ولما بلغ سنه عليه السلام خمساً واثنتين سنة جاء سيل جارف
فصدع جذران الكعبة بعد تو هينها من حريق كان أصابها قبل
فأرادت قرش هدمها ليرفعوها ويسقفوها فانها كانت رضيعة
فوق الغامة فاجتمعت فبائتهم لذلك واكنهم هابوا هدمها لمكانها
في فلوبهم فقال لهم الوليد بن المغيرة اريدون بهدمها الا صلاح أم
الاساءة قالوا بل الا صلاح قال ان الله لا يهلك المصلحين وابتدأ يهدم
فنبعوه وهدموا حتى وصلوا الى أساس اسماعيل وهناك وجدوا
صحافاً نقش فيها كثير من الحكم على عادة من يضعون أساس
بناء شهير ليكون تذكرة للمتأخرين بعمل المتقدمين ثم ابتدأوا في
البناء وأعدوا لذلك نفقة ليس فيها مهر نغي ولا بيع ربا وجعل
الاشراف من قرش يحملون الحجارة على أعناقهم وكان العباس

ورسول الله فيمن يحمل وكان الرسول مؤثراً فقال له العباس اجعل
ازارك فوق عنقك ليقبك الحجارة فعمل عليه السلام فبدت سوائه
فسقط على الارض فضمه عمه اليه وقال ما الذي أصابك قال سمعت
صوتاً شديداً أن شد عليك ازارك وكان الذي يلي البناء نجار
روى اسمه باقوم وقد خصص لكل ركن جماعة من العظماء يتقلون
اليه الحجارة وقد ضاقت بهم النفقة الطيبة عن اتمامه على قواعد
اسماعيل فاخرجوا منها الحجر وبنوا عليه جداراً قصيراً علامة على انه
من السكبة ولما تم البناء ثمانية عشر ذراعاً بحيث زيد فيه عن أصله
تسعة أذرع ورفع الباب عن الارض بحيث لا يصعد اليه الا بدرج
أرادوا وضع الحجر الاسود موضعه فاختلف اشرافهم فيمن
يضعه وتنافسوا في ذلك حتى كادت تشب بينهم نار الحرب ودام
بينهم هذا الخصام أربع ليال وكان أسن رجل في قریش اذ ذاك أبو
أمية بن المغيرة فقال لهم يا قوم لا تختلفوا وحكموا بينكم من ترضون
بحكمه فقالوا نكل الامر لأول داخل فكان هذا الداخل هو
الامين المأمون عليه الصلاة والسلام فاطمأن الجميع له لما يهدون فيه
من الامانة وصدق الحديث وقالوا هذا الامين رضينا هذا محمد
لانهم كانوا يتحاكمون اليه حيث كان لا يدارى ولا يمارى فلما أخبروه

الحبر بسط رداءه وقال لناخذ كل قبيلة بناحية من الثوب ثم وضع فيه
الحجر وأمرهم برفعه حتى انتهوا الى موضعه فأخذوه ووضعه فيه
وهكذا انتهت هذه المشكلة التي كثير أمانك كون أمثالها سبباً في انتشار
حروب هائلة بين العرب لولا ان يمين الله عليهم بما قل مثل أبي أمية
يرشدهم الى الخير وحكيم مثل الرسول يقضى بينهم بما يرضى جميعهم
ولا يستغرب من فريش تنافسهم هذا لان البيت قبله العرب وكتبهم
التي يحجون اليها فكل عمل فيه عظيم به الفخر والسيادة وهو أول
بيت وضع في مكة بشهادة القرآن الكريم قال تعالى (ان أول بيت
وضع للناس للذي ببكة مباركاً وهدى للعالمين فيه آيات بينات مقام
ابراهيم ومن دخله كان آمناً) وكان يلي أمره بعد ولد اسماعيل قبيلة
جرهم فلما بغوا وظلموا من دخل مكة اجتمعت عليهم خزاعة
واجلوه عن البيت ووليته خزاعة حينما من الدهر ثم أخذته منهم
قريش في عهد قصي بن كلاب وسببه أمنوا في بلادهم فكانت
قبائل العرب تهاجم واذا احتموا به كان حصناً أميناً من اعتداء
العادين وامتن الله عليهم بذلك في تنزيله فقال (أولم يروا انا
جعلنا حرمًا آمناً ويتخطف الناس من حولهم)

لم يرث عليه السلام من والده شيئاً بل ولد يتيماً عائلاً

السلام قبل
البعثة

فاسترضع في بني سعد ولما بلغ مبلغاً يمكنه معه ان يعمل عملاً
كان يرعى الغنم مع اخوته من الرضاع في البادية وكذلك لما
رجع الى مكة كان يرعاها لأهلها على قراريط كما ذكر ذلك
البخارى في صحيحه ووجود الانبياء في حال التجرد عن الدنيا
ومشاغلها أمر لا بد منه لانهم لو وجدوا اغنياء لاهتهم الدنيا
وتغلبوا بها عن السعادة الأبدية ولذلك ترى جميع الشرائع
الالهية متفقة على استحضار الزهد فيها والتباعد عنها وحال
الانبياء السالفين أعظم شاهد على ذلك فكان عيسى عليه
السلام أزهد الناس في الدنيا وكذلك كان موسى وإبراهيم
وكانت حالهم في صغرهم ليست ذات سعة بل كلهم سواء
تلك حكمة بالغة أظهرها الله على انبيائه ليكونوا نموذجاً لمتبعيهم
في الامتناع عن التكاليف على الدنيا والتهافت عليها وذلك سبب
البلايا والحن وكذلك رعاية الغنم فاما من نبى الا رعاها كما أخبر
عن ذاك الصادق المصدوق وهذه أيضاً من بالغ الحكم فان
الانسان اذا استرعى الغنم وهي أضعف البهائم سكن قلبه
الرفقة والاطف تعطفاً فاذا اتقل من ذاك الى رعاية الخلق كان
قد هذب اولاً من الحدة الطبيعية والظلم الغريزي فيكون

في أعدل الاحوال ولما شب عليه السلام كان يتاجر وكان
 شريكه السائب بن أبي السائب وذهب بالتجارة لخديجة رضى
 الله عنها الى الشام على جعل يأخذه ولما شرفت خديجة
 بزواجه وكانت ذات يسار عمل في مالها وكان يأكل من نتيجة
 عمله وحقق الله له ما امتن عليه به في سورة الضحى بقوله جل
 ذكره (ألم يجدك يتيماً فأوى ووجدك ضالاً فهدى ووجدك
 عائلاً فأغنى) فالايواء والاغناء قبل النبوة والهداية بالنبوة
 هداه للكتاب والايمان ودين ابراهيم عليه السلام ولم يكن
 يدري ذلك قبل قال تعالى (ما كنت تدري ما الكتاب ولا
 الايمان)

كان عليه السلام أحسن قومه خلقاً وأصدقهم حديثاً
 وأعظمهم أمانة وأبعدهم عن الفحش والاخلاق السيئ تدنس
 الرجال حتى كان أفضل قومه مروءة وأكرمهم مخالطة وخيرهم
 جواراً وأعظمهم حِلماً وأصدقهم حديثاً فسموه الامين لما جمع
 الله فيه من الامور الصالحة الحميدة والفعال السديدة من
 الحلم والصبر والشكر والعدل والتواضع والعفة والجود
 والشجاعة والحياء حتى شهد له بذلك أعدائه النضر بن

سيرته في قومه
 قبل البعثة

الحارث حيث يقول قد كان محمد فيكم غلاماً حدثاً أَرْضاًكم
فيكم واصلدقكم حديثاً وأعظمكم أمانة حتى اذا رأيتم في
صدغيه الشيب وجاءكم بما جاءكم قلم ساحر لا والله ما هو
بساحر وما سأل هرقل ملك الروم أباسفيان قائلاً هل
كنتم تتهمون به بالكذب قبل أن يقول ما قال قال لا فقال هرقل
ما كان ليدع الكذب على الناس ويكذب على الله وقد
حفظه الله في صغره من كل اعمال الجاهلية التي جاء شرعه
الشريف بضدها فمن ذلك ما ذكره ابن اسحاق أن رسول الله
عليه السلام قال لقد رأيته في غلمان قريش أتتقل الحجارة
ابعض ما يلعب به الغلمان كلنا قد تعرضى وأخذ ازاره وجعله
على رقبته يحمل عليه الحجارة فاني لأقبل معهم كذلك وأدبر
اذ لكنني لاكم ما أراها لكمة وجيعة ثم قال شد عليك ازارك
فاخذته فشدته ثم جعلت أحمل الحجارة على رقبتي وازاري
على من بين أصحابي وقد أسلفنا حصول مثل ذلك في بناء
الكعبة وبنعت اليه الاوثان بغضاً شديداً حتى ما كان يحضر
لها احتفالاً أو عيداً مما يقوم به عبادهما وقال عليه السلام
(لما نشأت بغضت الى الاوثان وبغض الى الشعر ولم أهم

بشيء مما كانت الجاهلية تفعله الامرتين كل ذلك يحول الله
 بيني وبين ما أريد من ذلك ثم ما هممت بسوء بعدها حتى
 أكرمني الله برسالته قلت ليلة لعلام كان يرسي ممي لو أنصرت
 لي غنمي حتى أدخل مكة فاسمركم يسمر الشباب فخرجت
 لذلك حتى جئت أول دار من مكة أسمع عزفا بالدفوف
 والمزامير لعرس بعضهم فجلست لذلك فضرب الله على أذني
 فست فما أيقظني الا مس الشمس ولم أقض شيئا ثم عراني
 مرة اخرى مثل ذلك) وكان عليه السلام لا يأكل ما ذبح على
 النصب وحرم شرب الخمر على نفسه مع شيعوه في قومه
 شيوعا عظيما وذلك كله من الصفات التي يُعَلِّمُ الله بها أنبياءه
 ليكونوا على تمام الاستعداد لتلقى وحيه فهم معصومون
 من الادناس قبل النبوة وبعدها أما قبل النبوة فليأتهاولوا
 للامر العظيم الذي سُبُسند اليهم وأما بعدها فليكونوا قدوة
 لأمتهم عليهم من الله أفضل الصلوات واتم التسليمات

ما أكرمه الله به
 قبل النبوة

أول منحة من الله له ما حصل من البركات على آل
 حليلة الذين كان مستترضا فيهم فقد كانوا قبل حلوله بناديهم
 مجدين فلما صار بينهم صارت غنياهم تؤوب من مرعاهواوان

أضرأعها لتسليل لبنا ويرحم الله البوصيرى حيث يقول
 واذا سخر الاله أناساً * لسعيد فانهم سعداء
 ثم أعقب ذلك ما حصل من شق صدره واخراج حظ
 الشيطان منه وايس هذا بالعجب على قدرة الله تعالى فمن
 استبعد ذلك كان قليل النظر لا يعرف من قوة الله شيئاً لأن
 خرق العادات الانبياء ليس بالامر المستحدث ولا المستغرب
 ومن المكرمات الالهية تسخير الغمامة له في سفره الى الشام
 حتى كانت تظله في اليوم الصائف لا يشترك معه أحد في القافلة
 كما روى ذلك ميسرة غلام خديجة الذي كان مشاركاً له في
 سفره وهذا ما حبيه الى خديجة حتى خطبته لنفسها وتيقنت أن
 له في المستقبل شأنناً ولذلك لما جاءته النبوة كانت أسرع
 الناس ايماناً به ولم تنتظر آية أخرى زيادة على ما علمته من
 مكارم الاخلاق وما سمعته من خوارق العادات ومن من
 الله عليه ما كان يسمعه من السلام عليه من الاحجار
 والاشجار فكان اذا خرج لحاجته أبعد حتى لا يرى ببناء
 ويقضى الى الشعاب وبطون الاودية فلا يمر بحجر ولا شجر
 الا سمع الصلاة والسلام عليك يا رسول الله وكان يلتفت عن

بينه وشماله وخلفه فلا يرى أحداً وقد حدث بذلك عن نفسه
 وليس في ذلك كبير إشكال فقد سخر الله الجمادات للأنبياء قبله
 فعصا موسى التقت ما صنع سحرة فرعون بعد أن تحوات
 حية تسعى ثم رجعت كما كانت ولما ضرب بها الحجر نبع منه
 الماء اثنتي عشرة عيناً لكل سبط من أسباط بني إسرائيل عين
 وكذلك غيره من الأنبياء سخر الله لهم ما شاء من أنواع
 الجمادات لتدل العقلاء على عظيم قدرهم وخطارة شأنهم

تبشير

الوراثية

أنزل الله التوراة على موسى محتوية على الشرائع التي
 تناسب أهل ذاك الزمان ونوّه فيها بذكر كثير من الأنبياء
 الذين علم الله أنه سيرسبهم فمما جاء فيها تبشيراً برسولنا الكريم
 خطاباً بالسيدنا موسى عليه السلام (وسوف أقيم لهم نبياً مثلك
 من بين أخوتهم وأجعل كلامي في فيه ويكلّمهم بكل شيء
 أمره به ومن لم يطع كلامه الذي يتكلم به باسمي فأنا الذي
 انتقم منه فأما النبي الذي يجترئ على بالكبرياء ويتكلم باسمي
 بما لم أمره به أو باسم آلهة أخرى فليقتل وإذا أحببت أن
 تميز بين النبي الصادق والكاذب فهذه علامتك أن ما قاله ذلك
 النبي باسم الرب ولم يحدث فهو كاذب يريد تعظيم نفسه ولذلك

لاتخشاه) ويقول اليهود ان هذه البشارة ليو شع بن نون خليفة موسى عليه السلام مع انهم كانوا ينتظرون في مدة المسيح نبيا آخر غير المسيح فانهم أرسلوا اليوحنا المعمدان (يحيى) يسألونه عن نفسه فقالوا له أنت ايليا فقال لا فقالوا أنت المسيح فقال لا فقالوا أنت النبي فقال لا فقالوا ما بالاك اذاً نَعْمَد اذا كنت است ايليا ولا المسيح ولا النبي فهذه تدل على ان التوراة تبشر بابيليا والمسيح ونبي لم يأت حتى زمن المسيح ثم ان التوراة تقول في صفة النبي انه مثل موسى وقد نصت في موضع آخر على انه لم يقم في بني اسرائيل نبي مثل موسى وورد في هذه البشارة ان النبي الذي يفترى على الله يقتل ويشبه ذلك في القرآن قوله تعالى في سورة الحاقة (ولو تقول علينا بعض الاقاويل لاخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين) وناينا صلى الله عليه وسلم مكث بين اعدائه الالاء من مشركين ويهود ثلاثا وعشرين سنة يدعوهم فيها الى الله ومع ذلك عصمه الله منهم وأنزل عليه تطميناً لحاظه (والله يعصمك من الناس) اُكأن يعجز الله وهو القادر على كل شئ أن يعاقب من ينسب اليه ما لم يقله وهو الذي قال (أم

يقولون افترى على الله كذبا فان يشأ الله يختم على قلبك ويمح الله الباطل ويحق الحق بكلماته انه عليم بذات الصدور) وقد أخبرتنا هذه البشارة عن العلامة التي نعرف بها صدق النبي من كذبه وهى الاخبار بماسياتى وقد اخبر النبي عليه السلام عن اشياء كثيرة فحدث كما اخبر عنها ومنها ما لا ينفع معه الخدس والتخمين كالاخبار بأن الروم سيفعلون بعد ان قهرهم الفرس قهراً شديداً حتى كادوا يحتلون المـسـطـنـطـينية عاصمة ملكهم فالأخبار اذاً بأن الروم سـيـردون ما فقد منهم بعد بضع سنين لا يكون الا من عند الله ولذلك استغربه جداً بعض المشركين من قريش وراهن على ذلك أبا بكر الصديق رضى الله عنه وقد حقق الله الخبر فاستحق الصديق الرهن وهذا قليل من كثير سيأتى تفصيله ان شاء الله تعالى وروى القاضى عياض فى الشفاء ان عطاء بن يسار سأل عمرو بن العاص عن صفة رسول الله عليه السلام فقال أجل والله انه لموصوف فى التوراة ببعض صفته فى القرآن يأيتها النبي انا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وحرزاً للاميين أنت عبدى ورسولى سميتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ

ولا سخاب في الاسواق ولا يدفع السيئة بالسيئة ولكن يعفو ويغفر وإن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا لا اله الا الله ويفتح به أعينا عميا وآذانا صماً وقلوباً غُلْفاً

وروى مثله عن عبد الله بن سلام رضى الله عنه الذى كان رئيس اليهود فلم تعمه الرئاسة حتى يترك الدين القويم وكذلك كتب الاخبار وفي بعض طرق الحديث ولا صحب في الاسواق ولا قوال للخنا أسدده لكل جميل وأهب له كل خالق كريم واجعل السكينة لباسه والبر شعاره والتقوى ضبيرة والحكمة مثوله والصدق والوفاء طبيعته والعفو والمعرفة خلقة والعدل سيرته والحق شريعته والهدى امامه والاسلام ملته وأحمد اسمه أهدي به بعد الضلالة وأعلم به بعد الجهالة وأرفع به بعد الحلالة واسمى به بعد النكرة وأكثر به بعد القلة وأغنى به بعد العيلة وأجمع به بعد الفرقة وأؤلف به بين قلوب مختلفة وأهواء متشتتة وأتم متفرقة واجعل أمته خير أمة أخرجت للناس وقد أخبر عليه السلام عن صفته في التوراة فقال وهو الصادق الامين عيسى أحمد المختار مولده مكة ومهاجرة بالمدينة أو قال طيبة وأمته الحمادون الله على كل حال

بشر عيسى عليه السلام قومه في الانجيل بالفار قليط ^{نشير الانجيل}
ومعناه قريب من محمد أو أحمد وبصدقته في القرآن قول الله
تعالى (واذا قال عيسى ابن مريم يا بني اسرائيل انى رسول
الله اليكم مصداقاً لما بين يدى من التوراة ومبشراً برسول
يأتى من بعدى اسمه أحمد) وقد وصف المسيح هذا
الفار قليط بأوصاف لا تنطبق الا على نبينا فقال انه يوبخ العالم
على خطيئته وانه يعلمهم جميع الحق لانه ليس ينطق من عنده
بل يتكلم بكل ما يسمع وهذا ماورد في القرآن الكريم (وما
ينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى) وقد ورد في انجيل
برنابا الذى ظهر منذ زمن قريب واخفته حجب الجهالة ذكر
اسم الرسول عليه السلام صراحة

وهذا يسهل لك فهم الحركة العظيمة من الاحبار ^{حركة الافكار}
والرهبان قيل البعثة فكان اليهود يستفتحون على عرب المدينة
رسول منتظر فقد حدث عاصم بن عمرو بن قتادة عن رجال
من قومه قالوا انما دعانا للاسلام مع رحمة الله تعالى لنا ما كنا
نسمع من احبار يهود كننا اهل شرك واصحاب اوثان وكانوا
اهل كتاب عندهم علم ليس لنا وكانت لاتزال يبتنا وبينهم ^{قبل البعثة}

شروروفاذا نلنا منهم بعض مايكرهون قالوا لنا قد تقارب زمان
 نبى يبعث الآن نقتلكم معه قتل عاد وارم فكنا كثيراً ما نسمع
 ذلك منهم فلما بعث الله رسوله محمداً أجبنّا حين دعانا الى الله
 وعرفنا ما كانوا يتواعدوننا به فبادرناهم اليه فأما وكفروا
 وانما قال لهم اليهود نقتلكم معه قتل عاد وارم لان من صفته
 عليه السلام في كتبهم ان هذا النبى يستأصل المشركين بالقوة
 ولم يكونوا يظنون ان الحسد والبغى سيتمكنان في افئدتهم
 فينبذون الدين القيم فيحق عليهم العذاب في الدنيا والآخرة
 وكان أمية ابن أبى الصلت المتنصر العربى كثيراً ما يقول انى
 لاجد في الكتب صفة نبى يبعث في بلادنا وحدث سلمان
 الفارسى رضى الله عنه عن نفسه انه صحب قسيساً فكان يقول
 له ياسلمان ان الله سوف يبعث رسولاً اسمه أحمد يخرج من
 جبال تهامة علامته ان يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة وهذا
 الحديث كان من أسباب اسلام سلمان ولما راسل عليه السلام
 ملوك الارض لم يهن كتابه الا كسرى الذى ليس عنده علم
 من الكتاب اما جميع ملوك النصارى كالنجاشى ملك الحبشة
 والمقوقس ملك مصر وقيصر ملك الروم فأكرموا وفادة رسله

ومنهم من آمن كالنجاشي ومنهم من رد رد الطيفا وكاد يسلم
لولا غلبة الملك كقيصر ومنهم من هادى كالمقوقس ولم يكن
عليه السلام في قوة يرهب بها هؤلاء الملوك اللهم ماذا لا
لأنهم يعلمون ان المسيح عليه السلام بشر برسول يأتي من
بعده ووافقت صفات رسولنا ما عندهم فاجابوا بالتى هي أحسن
أما ما سمع من الهواتف والكهان قبيل زمنه فهو مالا يدخل
تحت حصر وليس بمد ما ذكرته لك زيادة لمستكثر ومع ذلك
كله فالاعمال التى جاد الله بها على يديه والاقوال التى أتانا بها
أعظم مقو لحجته ومؤيد لدعوته وسيأتى عليك بيان ذلك كله
بأجلى بيان فتأمله ترشد هداك الله الى الصراط السوى

لما بلغ عليه السلام سن الكمال وهو أربعون سنة أرسله
الله للعالمين بشيراً وذاًيراً أخرجهم من ظلمات الجهالة الى
نور العلم وأول ما بدئ به من الوحي الرؤيا الصادقة فكان
لا يرى رؤيا الا جاءت مثل نور الصبح وذلك لما جرت به
عادة الله في خلقه من التدرج في الامور كلها حتى تصل الى
درجة الكمال ومن الصعب جداً على البشر تلقي الوحي من
الملك لأول مرة ثم حُبب اليه عليه السلام الخلاء ليتعدن

ظلمات هذا العالم وينقطع عن الخلق الى الله فان في انزله صفاء السريرة وكان يخلو بغار حراء فيتعب فيه الليالي ذوات العدد فتارة عشرا وتارة أكثر الى شهر وكانت عبادته على دين أبيه ابراهيم عليه السلام ويأخذ لذلك زاده فاذا فرغ رجع الى خديجة فيتزوّد لمثلها حتى جاءه الحق وهو في غار حراء فينما هو قائم في بعض الايام على الجبل اذ ظهر له شخص وقال ابشر يا محمد أنا جبريل وانت رسول الله الى هذه الامة ثم قال له اقرأ قال ما أنا بقارىء فانه عليه السلام أمى لم يتعلم القراءة قبلاً فأخذه فغمه بالنمط الذى كان بنام عليه حتى بلغ منه الجهد ثم أرسله فقال اقرأ فقال ما أنا بقارىء فأخذه فغمه ثانية ثم أرسله فقال اقرأ قال ما أنا بقارىء فأخذه فغمه الثالثة ثم أرسله فقال (اقرأ باسم ربك الذى خلق الانسان من علق اقرأ وربك الاكرم الذى علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم) فرجع بها عليه السلام برجف فواده مما ألم به من الرّوع الذى استلزمته مقابلة الملك لأول مرة فدخل على خديجة فقال زملونى زملونى لتزول عنه هذه القشعريرة فزملوه حتى ذهب عنه الرّوع فقال لخديجة وأخبرها الخبر

فقد خشيت على نفسى لان الملك غطه حتى كاد يموت ولم يكن له عليه السلام علم قبل ذلك بجبريل ولا بشكاه فقالت كلا والله ما يخزيك الله أبدا فانك موصوف بمكارم الاخلاق منذ عقلت انك لتصل الرحم وتحمل الكل وتكسب المعدوم الذى لا مال له مالا يجده عند غيرك وتقرى الضيف وتعين على وائب الحق فلا يسلط الله عليك الشياطين والاهام ولا مرء ان الله اختارك لهداية قومك ولتأكد خديجة مما ظنته ارادت ان تثبت ممن لهم علم بحال الرسل ممن اطعموا على كتب الاقدمين فانطلق به حتى اتت ورقة بن نوفل ابن عم خديجة وكان امرا قد تنصر فى الجاهلية وكان يكتب الكتاب العبرانى فيكتب من الانجيل بالعبرانية ما شاء الله ان يكتب وكان شيخا كبيرا قد عمى فقالت له خديجة يا ابن عم اسمع من ابن اخيك فقال يا ابن اخی ماذا ترى فأخبره عليه السلام خبر ما رأى فقال له ورقة هذا الناموس الذى نزل الله على موسى لانه يعرف ان رسول الله الى انبياءه هو جبريل ثم قال ياليتنى فيها شابا جلدًا اذ يخرجك قومك من بلادك التى نشأت بها لمعاداتهم اياك وكرهيتهم لك حينما تطالبهم

بغير اعتقادات وجدوا عليها اباؤهم فاستغرب عليه السلام ما
نسب لقومه مع ما يعلمه من حبهم له لا تصافه بمكارم
الاخلاق وصدق القول حتى سمّوه الامين وقال او نُخرجيهم
قال لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به الا عودى وقد نطق
بذلك القرآن الكريم قال تعالى في سورة ابراهيم (وقال
الذين كفروا لرسولهم لنخرجنكم من ارضنا او لتعودن في
ملائتنا) ولتمام تصديق ورقة برسالة الرسول الاكرم عليه
السلام قال وان يدركني يومك أنصرك نصرًا معضدا ثم لم
يلبث ورقة أن توفي وفتر الوحي مدة لم يتفق عليها المؤرخون
وأرجح اقوالهم فيها أربعون يوماً ليشهد شوق الرسول للوحي
وقد كان فان الحال اشتدت به عليه السلام حتى صار كلما أتى
ذروة جبل بدا له ان يرمى نفسه منها حذراً من قطعة الله له
بعد ان أراد نعمته الكبرى وهي اختياره لان يكون واسطة
بينه وبين خلقه فيتبدى له الملك قائلاً انت رسول الله حقا
فيطمئن خاطره ويرجع عما عزم عليه حتى أراد الله أن يظهر
الوجود نور الدين الحق فعاد اليه الوحي فينما هو يمشى اذ سمع
صوتاً من السماء فرفع اليه بصره فاذا الملك الذي جاءه بحراء

فترة الوحي

عود الوحي

جالس بين السماء والارض فرُعب منه لتذكر ما فعله في المرة
 الاولى فرجع وقال دَثَرُونِي دَثَرُونِي فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ
 (يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنْذِرْ) حَذَّرَ النَّاسَ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ أَنْ لَمْ
 يَرْجِعُوا عَنْ غِيهِمْ وَمَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُهُمْ (وَرَبُّكَ فَكْبِرْ) خَصَّهُ
 بِالْمَعْظِيمِ وَلَا تَشْرِكْ مَعَهُ فِي ذَلِكَ غَيْرُهُ (وَيُثَابِكُ فَطْهَرْ) لَتَكُونَ
 مُسْتَعِدًّا لِلْوُقُوفِ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ إِذْ لَا يَلِيقُ بِالْمُؤْمِنِ أَنْ يَكُونَ
 مُسْتَقْدَرًا نَجَسًا (وَالرُّجُزُ فَاهْجُرْ) أَيِ اهْجُرْ أَسْبَابَ الرِّجْزِ
 وَهُوَ الْعَذَابُ بَإِنْ تَطِيعَ اللَّهَ وَتَنْفِذِ أَمْرَهُ (وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ)
 وَلَا تَهَبُ أَحَدًا هَبَةً وَأَنْتَ تَطْمَعُ أَنْ تَسْتَعْيِضَ مِنَ
 الْمَوْهُوبِ لَهُ أَكْثَرُ مِمَّا وَهَبَكَ فَهَذَا لَيْسَ مِنْ شَأْنِ الْكَرَامِ
 (وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ) عَلَى مَا سَيُلْحَقُكَ مِنْ أَذَى قَوْمِكَ حِينَ
 تَدْعُوهُمْ إِلَى اللَّهِ فَقَامَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِالْأَمْرِ وَدَعَا لِبُعَادَةِ اللَّهِ
 أَقْوَامًا جَفَاءَ لِأَدِينِ لَهُمْ إِلَّا أَنْ يَسْجُدُوا لِأَصْنَامٍ لَا تَنْفَعُ الدُّعَاءُ سِرًّا
 وَلَا تَضُرُّ وَلَا حِجَّةَ لَهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ مُتَّبِعُونَ لِمَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُهُمْ
 وَلَيْسَ عَنْدهُمْ مِنْ مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ إِلَّا مَا كَانَ مُرْتَبَطًا بِالْعِزَّةِ
 وَالْإِنْفَةِ الَّتِي كَثِيرًا مَا كَانَ سَبَبًا فِي الْغَارَاتِ وَالْحُرُوبِ وَاهْرَاقَ
 الدِّمَاءَ نَجَاءَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ بِمَا لَا يَعْرِفُونَ فَذَوُّ الْعَقُولِ السَّلِيمَةِ

بادروا الى التصديق وخلع الاوثان ومن اعتمه الرياسة ادبر
 واستكبر كيلا تسلب منه عظمته وكان اول من سطع عليه
 نور الاسلام خديجة بنت خويلد وزوجه وعلى بن ابى طالب
 ابن عمه وكان مقيماً عنده يطعمه ويسقيه ويقوم بأمره لان
 فريسة كانوا قد أصابهم مجاعة وكان أبو طالب مُقلاً كثير
 الاولاد فقال عليه السلام لعمه العباس بن عبد المطلب ان
 أخالاً أباً طالب كثير العيال والناس فيما ترى من الشدة فانطلق
 بنا اليه لنخفف من عياله تأخذ واحداً وانا واحداً فانطلقا
 وعرضا عليه الامر فاخذ العباس جعفر بن أبى طالب وأخذ
 عليه السلام علياً فكان فى كفالته كاحد اولاده الى أن جاءت
 النبوة وفد ناهض الاحتلام فكان تابعاً للنبي فى كل أعماله وم
 يتدلس بدنس الجاهلية من عبادة الاوثان واتباع الهوى وأجاب
 أيضاً زيد بن حارثة بن شرحبيل الكلبي مولاه عليه السلام
 وكان يقال له زيد ابن محمد لانه لما اشتراه أعتقه وتبناه وكان
 المنسب معتبراً كابن حقيق يرث ويورث وأجابت أيضاً أم أيمن
 حاضنته التى زوجها لمولاه زيد وأول من اجابه من غير أهل
 بيته أبو بكر ابن أبى قحافة التيمي القرشى كان صديقاً للرسول

الله قبل النبوة يعلم ما اتصف به من مكارم الاخلاق ولم يعهد
 عليه كذباً منذ اصطحبا فاول ما أخبره برسالة الله أسرع
 بالتصديق وقال بأبي أنت وأمي أهل الصدق أنت اشهد أن
 لا اله الا الله وانت رسول الله كان رضى الله عنه صدرا معظماً
 في قريش على سعة من المال وكرم الاخلاق وكان من أعف
 الناس سخياً يبذل المال محبباً في قومه حسن المجالسة ولذلك
 كله كان من رسول الله بمنزله الورير فكان يستشير في أموره
 كلها وقال في حقه ما دعوت احدا الى الاسلام الا كانت له
 كِبوة غير أبي بكر وكانت الدعوة الى الاسلام سراً حذراً
 من مفاجأة العرب بأمر شديد كهذا فيصعب استسلامهم
 فكان عليه السلام لا يدعو الا من يثق به ودعا ابو بكر الى
 الاسلام من يثق به من رجال قريش فأجابه جمع (منهم)
 عثمان بن عفان الاموى القرشى ولما عم عمه الحكم باسلامه
 أوثقه كتاباً وقال ترغب عن دين آبائك الى دين مستحدث
 والله لا أحلك حتى تدع ما أنت عليه فقال عثمان والله لا أدعه
 ولا أفارقه فلما رأى الحكم صلابته في الحق تركه وكان شاباً
 لا يتجاوز العشرين من عمره (ومنهم) الزبير بن العوام الاسدى

القرشى وأمه صفية بنت عبد المطلب وكان عم الزبير يرسل
الدخان عليه وهو مقيد ايرجع الى دين آباءه فقواه الله بانبيات
وكان شاباً لا يتجاوز سن الاحتلام (ومنهـم) عبد الرحمن بن
عوف الزهري القرشى وكان اسمه فى الجاهلية عبد عمرو فسماه
عليه السلام عبد الرحمن (ومنهـم) سعد بن أبى وقاص الزهري
القرشى ولما علمت أمة حممة بنت أبى سفيان ابن أمية بإسلامه
قالت له يا سعد بلغنى انك قد صأبت فوالله لا يُظأنى سقفة من
الحر والبرد وان الطعام والشراب على حرام حتى تكفر بتحمـد
وبقيت كذاك ثلاثة أيام فجاء سعد الى رسول الله وشكا اليه
امر أمه فنزل فى ذلك تعليماً قول الله تعالى فى سورة العنكبوت
(ووصينا الانسان بوالديه حسناً وان جاهداك على ان تشرك
بى ماليس لك به علم فلا تطعهما الى مرجعكم فانبئكم بما كنتم
تعملون) وصاه جيل ذكره بوالديه وأمره بالاحسان اليهما
مؤمنين كانوا وكافرين اما اذا دعوا للاشرأك فالمعصية متحمة
لان كل حق وان عظم ساقط هنا فإطاعة لمخلوق فى معصية
الخالق ثم قال الى مرجعكم من آمن منكم واشرك فاجازيكم
حق جزائكم وفى ختام هذه الآية فائدتان التنبيه على ان الجزاء

انى الله فلا تحدث نفسك بجفوتهما لاشراكهما والحض على التبات في الدين اثلا ينال شر جزاء في الاخرى (ومنهم) طلحة ابن عبيد الله التيمي القرشي وقد كان عرف من الرهبان ذكر الرسول وصفته فلما دعاه أبو بكر وسمع من رسول الله مانفعه الله به ورأى الدين متيناً بعيداً عما عليه العرب من المثالب اباد الى الاسلام (ومن) سبقوا الى الاسلام صهيب الرومي وكان من الموالى وعمار بن ياسر العبسى وقد قال رضى الله عنه رأيت رسول الله وما معه الا خمسة أعبد وامرأتان وأبو بكر وكذلك أسلم أبوه ياسر وأمه سميه (ومن) السابقين الاولين عبد الله بن مسعود كان يرعى الغنم لبعض مشركى قريش فلما رأى الآيات الباهرة وما يدعو اليه عليه السلام من مكارم الاخلاق ترك عبادة الاوثان ولزم رسول الله وكان رضى الله عنه كثير الدخول على الرسول لا يحجب ويمشى أمامه ويستتره اذا اغتسل ويوقظه اذا نام ويلبسه نعليه اذا قام فاذا جلس أدخلهما في ذراعيه (ومن) السابقين الاولين ابو ذر الغفارى وكان من أعراب البادية فصيحاً حلو الحديث ولما بلغه مبعث رسول الله قال لاختيه اركب الى هذا الوادى فاعلم لى علم هذا

الرجل الذي يزعم انه نبي بأبته الخبر من السماء واسمع من قوله ثم اثنتى فانطلق الاخ حتى قدم مكة وسمع من قول الرسول ثم رجع الى أبي ذر فقال رأيت يا صديق بكارم الاخلاق ويقول كلاما ماهو بالشعر فقال ما شفيتني مما اردت فتزود وحمل قربة له فيها ماء حتى قدم مكة فأتى المسجد فالتس النبي صلى الله عليه وسلم ولا يعرفه وكره ان يسأل عنه لما يعرفه من كراهة قريش لكل من يخاطب رسول الله حتى اذا ادركه الليل رآه على فعرف انه غريب فاضافه عنده ولم يسأل احد منهما صاحبه عن شيء على قاعدة الضيافة عند العرب لا يسأل الضيف عن سبب قدومه الا بعد ثلاث فلما اصبح احتمل قربته وزاده الى المسجد وظل ذلك اليوم ولا يراه الرسول حتى امسى فعاد الى مضجعه فرببه على فقال اما نال الرجل ان يعرف منزله الذي اُضيف به بالامس فاقامه فذهب معه لا يسأل واحد منهما صاحبه عن شيء حتى اذا كان اليوم الثالث عاد على مثل ذلك ثم قال له على ألا تحدثني ما الذي أقدمك قال ان أعطيتني عهدا وميثاقاً لنرشدني ففعلت ففعل فاخبره قال فانه حق وهو رسول الله فاذا أصبحت فاتبعني فاني ان رأيت شيئاً أخافه عليك

قَت كَانِي أَرِيق الْمَاءِ فَانْ مَضِيَتْ فَاتَّبَعْنِي حَتَّى تَدْخُلَ مَدْخَلِي
 فَفَعَلَ فَانْطَلَقَ يَتَّبِعُ أَثَرَهُ حَتَّى دَخَلَ عَلَى النَّبِيِّ وَدَخَلَ مَعَهُ وَاسْمَعُ
 مِنْ قَوْلِهِ وَأَسْلَمَ مَكَانَهُ فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ارْجِعْ إِلَى قَوْمِكَ فَاخْبِرْهُمْ
 حَتَّى يَأْتِيكَ أَمْرِي قَالَ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا صَرْخَ بَيْنَ بَيْنِ
 ظَهَرَانِيهِمْ نَفْرَجَ حَتَّى أَتَى الْمَسْجِدَ فَنَادَى بِأَعْلَى صَوْتِهِ أَشْهَدُ أَنْ
 لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ فَقَامَ الْقَوْمُ فَضَرْبُوهُ حَتَّى
 أَضْجَعُوهُ وَأَتَى الْعَبَّاسَ فَأَكَبَ عَلَيْهِ وَقَالَ وَيْلَكُمْ أَوَلَسْتُمْ تَعْمَلُونَ
 أَنَّهُ مِنْ غَفَّارٍ وَإِنْ طَرِيقَ تِجَارَتِكُمْ إِلَى الشَّامِ عَلَيْهِ فَانْقُذْهُمْ مِنْهُمْ
 ثُمَّ عَادَ مِنَ الْغَدِّ لِمَثَلِهَا فَضَرْبُوهُ وَثَارُوا إِلَيْهِ فَأَكَبَ الْعَبَّاسُ عَلَيْهِ
 كَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِنْ أَصْدَقِ النَّاسِ قَوْلًا وَأَزْهَدِهِمْ فِي الدُّنْيَا
 (وَمِنْ) السَّابِقِينَ سَعِيدُ بْنُ زَيْدٍ الْعَدَوِيُّ الْقُرَشِيُّ وَزَوْجَتُهُ
 فَاطِمَةُ بِنْتُ الْخَطَّابِ أُخْتُ عُمَرَ وَأُمُّ الْفَضْلِ لِبَابَةِ بِنْتُ الْحَارِثِ
 لَهْلَالِيَّةِ زَوْجِ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ وَعَمِيْدَةُ بْنُ الْحَارِثِ
 الْمُطَّلِبِيِّ الْقُرَشِيُّ مِنْ عَشِيرَةِ رَسُولِ اللَّهِ الْاَقْرَبِينَ وَأَبُو سَلَمَةَ عَبْدُ
 اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْاَسَدِ الْخَزَوِيِّ الْقُرَشِيُّ ابْنُ عَمَّةِ رَسُولِ اللَّهِ وَرَوْجَتُهُ
 سَلَمَةُ وَعُثْمَانُ ابْنُ مِظْعُونٍ الْجُمَحِيُّ الْقُرَشِيُّ وَاخْوَاهُ قَدَامَةُ
 وَعَبْدُ اللَّهِ وَالْاَرَقَمُ بْنُ أَبِي الْاَرَقَمِ الْخَزَوِيُّ الْقُرَشِيُّ (وَمِنْ)

انساقمين الاولين خالده بن سعيد بن العاص كان أبوه سيد
 فريش اذا اعتم لم يعم قرشى اجلالاً له وكان سعيد قد رأى
 في منامه أنه سيقع في هاوية فادركه رسول الله وخلصه منها
 فجاء اليه وقال الام تدعوا يا محمد قال ادعوك الى الله وحده
 لا شريك له وأن تخلع ما أنت عليه من عبادة حبر لا يسمع ولا
 يبصر ولا يضر ولا ينفع والاحسان الى والديك وان لا تقتل
 ولذك خشية الفقر وأن لا تقرب الفاحشة مظهر منها وما بطن
 وأن لا تقتل نفساً حرم الله قتلها الا بالحق وان لا تقرب مال
 اليتيم الا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده وان توفى الكيل
 والميزان بالتقسط وأن تعدل في قولك ولو حكمت على ذوى
 قرباك وان توفى لمن عاهدت فأسلم رضى الله عنه وحينئذ
 غضب عليه أبوه وآذاه حتى منعه القوت فانصرف الى
 رسول الله فكان يلزمه ويميش معه ويغيب عن أبيه في ضواحي
 مكة وأسلم بعده أخوه عمرو بن سعيد وهكذا دخل هؤلاء
 الاشراف في دين الاسلام ولم يكن مع رسول الله سيف
 يضرب به في أعناقهم حتى يطعموه صاغرين وليس معه ما
 يرغب فيه حتى يترك هؤلاء العظماء آباءهم وذا الثروة منهم

ويتبعوا الرسول لئلا يكلوا من فضل ماله بل كان الكثير منهم واسع الثروة أكثر منه عليه السلام كابي بكر وعثمان وخاله ابن سعيد وغيرهم والذين اتبعوه من الموالى اختاروا والاذى والجوع والمشقات مع اتباع الرسول بحيث لو اتبعوا ساداتهم لكانوا في هذه الدنيا أهدأ بالاً وأنعم عيشة اللهم ليس ذلك الا من هداية الله وسطوع أنوار الدين عليهم حتى أدر كوا ما هم عليه من الضلالة وما عليه الرسول من الهدى

مضت كل هذه المدة والنبي عليه السلام لا يظهر الدعوة ^{الخبر بالتبليغ} في مجامع قريش العمومية ولم يكن المسلمون يتمكنون من اظهار عبادتهم حذراً من تعصب قريش فكان كل من اراد العبادة ذهب الى شعاب مكة يصلى مستخفياً ولما دخل في الدين ما يربو على الثلاثين وكان من اللازم اجتماع الرسول بهم ليرشدهم ويعلمهم اختار لذلك دار الارقم بن ابي الارقم وهو ممن ذكرنا اسلامهم ومكث عليه السلام يدعو سراً حتى نزل عليه قوله تعالى (فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين) فبدل الدعوة سرا بالدعوة جهراً ممتثلاً أمر ربه واثقاً بوعدده ونصره فصعد على الصفا فجعل ينادى يا بني

فهر يابني عدي لبطون قريش فجعل الرجل اذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولاً لينظر الخبر فجاء ابو لهب وقريشا فقال عليه السلام أرايتم لو اخبرتكم ان خيلاً بالوادي تريد أن تغير عليكم اكنتم مصدّقي قالوا نعم ما جربنا عليك كذبا قال فاني نذير لكم بين يدي عذاب شديد فقال ابو لهب تبّال ك لهدا جمعتنا فانزل الله في شأنه (تبّت يد ابى لهب وتب ما أغنى عنه ماله وما كسب سيصلى ناراً ذات لهب وامرأته حمالة الحطب في جيدها حبل من مسد) والقصد من حمل الحطب المشى بالنميمة لانها كانت تقول على رسول الله الا كاذب في نوادي النساء ثم نزل عليه (وانذر عشيرتک الاقربين) وهم بنو هاشم وبنو المطلب وبنو نوفل وبنو عبد شمس اولاد عبد مناف (واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين فان عصوك) اي العشيرة الاقربون (فقل اني برى مما تعملون) فجمعهم عليه السلام وقال لهم ان الرائد لا يكذب أهله والله لو كذبت الناس جميعاً ما كذبتكم ولو غررت الناس جميعاً ما غررتكم والله الذي لا اله الا هو اني لرسول الله اليكم خاصة والى الناس كافة والله لتموتن كما تنامون ولتبعثن كما تستيقظون

وَأُعَاسِبُنَّ بِمَا تَعْمَلُونَ وَأُجْزَوْنَ بِالْإِحْسَانِ وَإِلَّا سَوَاءٌ وَإِنَّهَا لَجَنَّةٌ أَبَدًا أَوْ لِنَارٍ أَبَدًا فَتَكَلَّمُ الْقَوْمُ كَلَامًا لَيْنًا غَيْرَ عَمِّ أَبِي لَهَبٍ الَّذِي كَانَ خَصْمًا لِدُودَا فَانْهَ قَالَ خَذُوا عَلَى يَدَيْهِ قَبْلَ أَنْ تَجْتَمَعَ عَلَيْهِ الْعَرَبُ فَإِنْ اسْلَمْتُمُوهُ إِذَا ذَلَّتُمْ وَإِنْ مَنَعْتُمُوهُ قَتَلْتُمْ فَقَالَ أَبُو طَالِبٍ وَاللَّهِ إِنَّهُ نَعَنَهُ مَا بَقِينَا ثُمَّ انْصَرَفَ الْجَمْعُ

ولما جهر رسول الله عليه الصلاة والسلام بالدعوة سخرت منه قريش واستهزؤا به في مجالسهم فكان إذا مر عليهم يقولون هذا ابن أبي كبشة يكلم من السماء وهذا غلام عبد المطلب يكلم من السماء لا يزيدون على ذلك فلما عاب آلهم وسفّه عقولهم وقال لهم والله يا قوم لقد خالفتم دين أبيكم إبراهيم ثارت في رؤسهم حمية الجاهلية غيرة على تلك الآلهة التي كان يعبدونها فذهبوا إلى عمه أبي طالب سيد بني هاشم الذي أخذ على نفسه حمايته من أيدي أعدائه فطلبوا منه أن يخلّي بينهم وبينه أو يكفه عما يقول فردهم ردا جميلاً فانصرفوا عنه ومضى رسول الله لما يريد لا يصده عن مراده شيء فتزايد الأمر واضمرت قريش الحقد

والعداوة لرسول الله وحث بعضهم بعضاً على ذلك ثم مشوا الى ابى طالب مرة أخرى وقالوا له ان لك سناً وشرفاً ومنزلة منا وانا قد طلبنا منك أن تنهى ابن أخيك فلم تنه عنا وانا والله لا نصبر على هذا من شتم آبائنا وتسفيه عقولنا وعيب آلهتنا فانهم كانوا اذا احتجوا في استمرارهم على عدم اتباع الحق بتقليد آبائهم ذمهم لعدم استعمال عقولهم فيما خلقت له قال تعالى في سورة البقرة (واذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما أفينا عليه آباءنا أو لو كان آباؤهم لا يعقلون شماً ولا يهتدون) وقال في سورة المائدة (واذا قيل لهم تعالوا الى ما أنزل الله والى الرسول قالوا احسبنا ما وجدنا عليه آباءنا أو لو كان آباؤهم لا يعلمون شيئاً ولا يهتدون) وقال في سورة لقمان (واذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا أو لو كان الشيطان يدعوهم الى عذاب السعير) وقال في سورة الزخرف في بيان حججهم الداحضة (بل قالوا انا وجدنا آباءنا على أمة وانا على آثارهم مهتدون) ولما شبههم بمن قبلهم من الامم في هذه المقالة الدالة على التعصب والعناد قال (قل أولو جئكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم قالوا انا

به أرسلتم به كافرون) فلما تمسكوا بحجة التقليد لا آبائهم جر
 ذلك الى وصف آبائهم بعدم العقل وعدم الهداية فهاج ذلك
 عواطفهم وقالوا لابي طالب اما ان تكفه او تنازله واياك في
 ذلك حتى يهلك أحد الفريقين ثم انصرفوا فمعظم على أبي طالب
 فراق قومه ولم يطب نفساً بخذلان ابن أخيه فقال له يا ابن أخي
 ان القوم جاؤني فقالوا لي كذا ما بقي على نفسك ولا تحملني من
 الامر ما لا أطيق فظن الرسول ان عمه خاذله فقال والله ياعم
 لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على ان أترك
 هذا الامر ما فعلت حتى يظهره الله أو أهلك دونه ثم بكى وولى
 فقال ابو طالب أقبل يا ابن أخي فاقبل عليه فقال اذهب فقل
 ما أحببت والله لا أسلمك ورأى رسول الله من المشركين
 كثير الأذى وعظيم الشدة خصوصاً اذا ذهب الى الصلاة
 عند البيت وكان من أعظمهم أذى لرسول الله جماعة سموها
 لكثرة اذاهم بالمستهزئين (فأولهم) وأشدهم أبوجهل عمرو
 ابن هشام المخزومي القرشي قال يوماً يا معشر قريش ان محمداً
 قد أتى ما ترون من عيب دينكم وستم آلهتكم وتسفيه احلامكم
 وسب آبائكم اني أعاهد الله لا أجلسن له غداً بحجر لا أطيق

الايداء.

حملة فاذا سجد في صلاته رَضِخَتْ به رأسه فاسلموني عند ذلك أو امنعوني فايصنع بي بعد ذلك بنو عبد مناف ما بدا لهم فلما أصبح أخذ حجرا كما وصف ثم جلس لرسول الله ينتظره وغدا عليه السلام كما كان يغدو الى صلاته وقرش في انديتهم ينتظرون ما أبو جهل فاعل فلما سجد عليه السلام احتمل أبو جهل الحجر ثم أقبل نحوه حتى اذا دنا منه رجع منهزماً منتقماً لونه من الفرع ورعى حجره من يده فقام اليه رجال من قرش فقالوا مالك يا أبا الحكم قال قت اليه لافعل ماقلت لكم فلما دنوت منه عرض لي فخل من الابل والله ما رأيت مثله قط هم بي أن يا كلني فلما ذكر ذلك لرسول الله قال ذاك جبريل ولو دنا لاخذه وكان أبو جهل كثيراً ما ينهى الرسول عن صلاته في البيت فقال له مرة بعد ان رآه يصلي ألم انهك عن هذا فاغلظ له رسول الله القول وهدده فقال أتهددني وأنا اكثر أهل الوادي نادياً فانزل الله تهديدا له (كلا لئن لم ينته انسفعاً بالناصية ناصية كاذبة خاطئة فليدع ناديه سندع الزبانية كلا لا تطعه واسجد واقترب) ومن أذيته للرسول ما حكاه عبد الله بن مسعود قال كنا مع رسول الله

في المسجد وهو يصلي فقال أبو جهل الارجل يقوم الى فرث
جزور بنى فلان فيلقيه على محمد وهو ساجد فقام عقبة بن ابي
معيط وجاء بذلك الفرث فالتقاء على النبي وهو ساجد فلم يقدر
أحد من المسلمين الذين كانوا بالمسجد على القائه عنه اضعفهم
عن مقاومة عدوهم ولم يزل عليه السلام ساجداً حتى جاءت
فاطمة بنته فاخذت القدر ورمته فلما قام دعا على من صنع هذا الصنع
القيح فقال اللهم عليك الملائكة من قريش وسمى أقواما قال ابن
مسمود فرأيتهم قتلوا يوم بدر ومما حصل لرسول الله مع أبي
جهل أن هذا ابتاع اجمالا من رجل يقال له الاراشي فطلبه
بائسها فجاء الرجل مجمع قريش يريد منهم مساعدة على أخذ
ماله فدلوه على رسول الله لينصفه من أبي جهل استهزاء لما
يعلمونه من أفعال ذاك الشقي بالرسول فتوجه الرجل اليه وطلب
منه المساعدة على أبي جهل فخرج معه حتى ضرب عليه بابه فقال
من هذا قال محمد فخرج مننقعا لونه فقال له الرسول أعط هذا
حقه فقال أبو جهل لا تبرح حتى تأخذه فلم يبرح الرجل حتى
أخذ دية فقالت قريش ويلك يا أبا الحكم ما رأينا مثل ما
صنعت قال ويلكم والله ما هو الا أن ضرب على بابي حتى

سمعت صوتاً ملئت منه رعباً وان فوق رأسي فخلاً من الابل
 مارأيت مثله (ومن) جماعة المستهزئين أبو لهب بن عبد
 المطلب عم رسول الله كان أشد عليه من الابعاد فكان يرمى
 القذر على بابه لانه كان جاراً له فكان الرسول يطرحه ويقول
 يا بني عبد مناف أي جوار هذا وكانت تشاركه في قبيح عمله
 زوجته أم جميل بنت حرب فكانت كثيراً ما تسب رسول
 الله وتشكلم فيه بالنائم وخصوصاً بعد ان نزل فيها وفي زوجها
 سورة أبي لهب (ومن) المستهزئين عقبة بن أبي معيط كان
 الجار الثاني لرسول الله وكان يعمل معه كابي لهب صنع مرة
 وليمة ودعا لها كبراء قريش وفيهم رسول الله فقال عليه السلام
 والله لا آكل طعامك حتى تؤمن بالله فتشهد فبلغ ذلك أبي
 ابن خلف وكان صديقاً له فقال ما شيء بلغني عنك قال لا شيء
 دخل منزلي رجل شريف فابي ان يأكل طعامي حتى أشهد له
 فاستحييت ان يخرج من بيتي ولم يطعم فتشهدت له قال أبي
 وجهي من وجهك حرام ان لقيت محمداً فلم تطأ عنقه وتبزق
 في وجهه وتلطم عينه فلما رأى عقبة رسول الله فعل به ذلك
 فأنزل الله فيه (ويوم يعض الظالم على يديه يقول يا ليتني اتخذت

اتخذت مع الرسول سيلا يا ويلتى ليتنى لم اتخذ فلانا خليلا
لقد أضانى عن الذكر بعد اذ جاءنى وكان الشيطان للانسان
خذولا) ومن أشد ما صنعه ذلك الشقى برسول الله ما رواه
البخارى فى صحيحه قال بينما النبي صلى فى حجر الكعبة اذا قبل
عقبة بن أبى معيط فوضع ثوبه فى عنق رسول الله فخنقه خنقا
شديدا فاقبل أبو بكر حتى أخذ بمنكبه ودفعه عن النبي صلى
الله عليه وسلم وقال (أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله وقد
جاءكم بالبينات من ربكم) (ومن) جماعة المستهزئين العاصي
ابن وائل السهمي القرشي كان شديد العداوة لرسول الله وكان
يقول غر محمد أصحابه ان وعدهم ان يُحيوا بعد الموت والله ما
يهلكنا الا الدهر فقال الله رداً عليه فى دعواه (وقالوا ما هي
الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر ما لهم بذلك
من علم ان هم الا يظنون) وكان عليه دين لميآب بن الارت
أحد رجال المسلمين فتماضاه اياه فقال العاصي أليس يزعم محمد
هذا الذى أنت على دينه ان فى الجنة ما يتنقى أهلها من ذهب
أو فضة أو ثياب أو خدم قال خباب بلى قال فأنظرني الى
هذا اليوم فسأوتى مالا وولداً وأقضيك دينك فانزل الله

فيه (أفرايت الذي كفر بآياتنا وقال لأؤتئن مالا وولداً أطمع الغيب أم اتخذ عند الرحمن عهداً كلاً سنكتب ما يقول ونهذله من العذاب مدا ونرثه ما يقول ويأتينا فردا) (ومن) جماعة المستهزئين الاسود بن عبد يغوث وهو ابن خال رسول الله كان اذا رأى أصحاب النبي مقبلين يقول قد جاءكم ملوك الارض استهزاء بهم لانهم كانوا متعشفين ثيابهم رثة وعيشهم خشن وكان يقول لرسول الله سخرية أما كنت اليوم من السماء (ومنها) الاسود بن المطلب عم عبيدة بن الحارث كان هو وشيعته اذا مر عليهم المسلمون يتغامزون وفيهم نزل (ان الذين أجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون واذا مروا بهم يتغامزون واذا انقلبوا الى أهلهم انقلبوا فكهين واذا رآوهم قالوا ان هؤلاء لضالون) (ومنها) الوليد بن المغيرة عم أبي جهل كان من عظماء قريش وفي سعة من العيش سمع القرآن مرة من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لقومه بني مخزوم والله لقد سمعت من محمد أنفاً كلاً ما ما هو من كلام الانس ولا من كلام الجن وان له للحلاوة وان عليه لطلاوة وان أعلاه لمثمر وان أسفله لمغدق وانه يعمل وما يعلى فقالت قريش صبأ

والله الوليد لتصبأن قريش كلها فقال أبو جهل أنا أكفيكموه فتوجه وقعد اليه حزينا وكلمه بما أحماه فقام فاتاهم فقال تزعمون أن محمداً مجنون فهل رأيتموه يهوس وتقولون انه كاهن فهل رأيتموه يتكهن وتزعمون أنه شاعر فهل رأيتموه يتعاطى شعراً قط وتزعمون أنه كذاب فهل جربتم عليه شيئاً من الكذب فقالوا في كل ذلك اللهم لا ثم قالوا فما هو ففكر قليلاً ثم قال ما هو الا ساحر أما رأيتموه يفرق بين الرجل وأهله وولده ومواليه فارتج النادى فرحاً فانزل الله في شأن الوليد مخاطباً لرسوله (ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيداً وَجَعَلْتُ لَهُ مَالاً مَمْدُوداً وَبَنِينَ شُهُوداً وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيداً ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيداً سَأَرَهْقَهُ صَعُوداً إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ فَقَتَلَ كَيْفَ يَقْدَرُ ثُمَّ قَتَلَ كَيْفَ قَدَرْتُ ثُمَّ نَظَرَ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ) وانزل فيه أيضاً (وَلَا تَطْعَمْ كُلَّ حَلَاَفٍ) كثير الحلف وكفى بهذا زاجراً لمن اعتاد الحلف (مهين) حقير وأراد به الكذاب لانه حقير في نفسه هماراً عيَّاب طعمان (مشاء بنميم) ينقل الاحاديث للافساد بين الناس (مناع للخير معتد أثيم عتلّ) غليظ جاف

(بعد ذلك زعيم) دخيل (أن كان ذا مال وبنين اذا تلى عليه آياتنا قال أساطير الاولين سَنَسَمُهُ على الخرطوم) كناية عن الاذلال والتحقير لان الوجه اكرم عضو والانف أشرف ما فيه ولذلك اشتقوا منه كل ما يدل على العظم كالانفة وهى الحمية فالوسم على أشرف عضو دليل الاذلال والاهانة (ومن) المستهزئين النضر بن الحارث كان اذا جلس رسول الله مجلساً للناس يحدّثهم ويذكرهم ما اصاب من قبلهم قال النضر هلموا يامعشر قریش فاني أحسن منه حديثاً ثم يحدث عن مملوك فارس وكان يعلم أحاديثهم ويقول ما أحاديث محمد الأساطير الاولين وفيه نزل (ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم ويتخذها هُزْواً اولئك لهم عذاب مهين واذا تلى عليه آياتنا ولى مستكبراً كان لم يسمعها كأن في اذنيه وقراً فبشره بعذاب أليم) وكل هؤلاء انتقم الله منهم كما قال تعالى في التنزيل (انا كلفيناك المستهزئين الذين يعملون مع الله الها آخر فسوف يعلمون) وقد وضع الله جل ذكره الوعد في صورة الماضي للتحقق من وقوعه لان الآيه مكية وهلاك هذه الفئة كان بعد الهجرة فمنهم من قتل يوم

بدر كابي جهل والنضر بن الحارث ومنهم من ابتلاه الله
بأمراض شديدة فهلك منها كابي لهب والعاص بن وائل
والوليد بن المغيرة وكان بعض ايدائهم هذا سبباً لاسلام عمه
حمزة بن عبد المطلب فقد أدركته الحمية عند ما عيرته بعض
الجواري بايذاء أبي جهل لابن أخيه فتوجه الى ذلك الشقي
وغاضبه وسبه وقال كيف تسب محمد وأنا على دينه ثم أنار الله
بصيرته بنور اليقين حتى صار من أحسن الناس اسلاماً وأشدهم
غيرة على المسلمين وأقواهم شكيمة على أعداء الدين حتى سُمي
أسد الله

وكما أودى الرسول عليه الصلاة والسلام أودى أصحابه
لاتباعهم له وخصوصاً من ليس له عشيرة تحميه وترد كيده
عدوه عنه وكل هذا الاذى كان حلواً في اعينهم ما دام فيه
رضا الله فلم يفتنوا عن دينهم بل ثبتهم الله حتى اتم امره على
ايديهم وصاروا ملوك الارض بعد أن كانوا مستضعفين فيها
كما قال جل ذكره (ونريد ان نمن على الذين استضعفوا في
الارض ونجعلهم أئمةً ونجعلهم الوارثين) وقد حقق ما اراد
(ومن) الذين أودوا في الله بلال بن رباح كان مملوكاً لامية

ابن خلف فكان يجعل في عنقه حبلاً ويدفعه الى الصبيان يلعبون به وهو يقول أحد أحد لم يشغله ما هو فيه عن توحيد الله وكان أمة يخرج به في وقت الظهيرة في الرّمضاء وهي الرمل الشديد الحرارة لو وضعت عليه قطعة لحم لنضجت ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره ثم يقول له لا تزال هكذا حتى تموت او تكفر بمحمد وتعبد اللات والعزى فيقول أحد أحد مر به الصديق يوماً فقال يا أمة ألا تتقى الله في هذا المسكين حتى متى تعذبه قال أنت أفسدته فانقذه مما ترى فاشتراه منه واعتقه فانزل الله فيه وفي أمة (فانذرتكم ناراً تَأْخُذُ لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى) أمة بن خلف (الذي كذب وتولى وسيجنبها الأتقى) الصديق (الذي يؤتى ماله يتزكى وما لاحد عنده من نعمة تجزى إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى ولسوف يرضى) بما يعطيه الله في الاخرى جزاء أعماله وقد نبه الله جل ذكره على ان بذل الصديق ماله في شراء بلال وعتقه لم يكن إلا ابتغاء وجه ربه وكفى بهذا شرفاً وفضلاً للصديق رضى الله عنه وارضاه وقد اعتق غير بلال جماعة من الارقاء اسلموا فعاقبهم مواليهم (منهم) حمامة أم بلال وعامر بن فهيرة

كان يعذب حتى لا يدري ما يقول وأبو فكيهة كان عبد الصفوان ابن أمية (ومنهم) امرأة تسمى زينة عذبت في الله حتى عميت فلم يزلها ذلك الا ايماناً وكان أبو جهل يقول ألا تعجبون لهؤلاء وأتباعهم لو كان ما أتى به محمد خيراً ما سبقونا اليه افقتسبنا زينة الى رشد فانزل الله (وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيراً ما سبقونا اليه واذا لم يهتدوا به فسيقولون هذا فلك قديم) (ومن) أعتق ابوبكر بعد شرائه أم عيسى كانت امه لبنى زهرة وكان يعذبها الاسود بن عبد يغوث (ومن) عذب في الله عمار بن ياسر وأخوه وأبوه وأمه كانوا يعذبون بالنار فربهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صبراً آل ياسر فمعدكم الجنة اللهم اغفر لآل ياسر وقد فعلت أما ابو عمار وأمه فماتتا تحت العذاب رحمهما الله واما هو فقتل عليه العذاب فقال بلسانه كلمة الكفر فان أبا جهل كان يجعل له دروع الحديد في اليوم الصائف ويلبسه اياها فقال المسلمون كفر عمار فقال عليه السلام عمار ملئ ايماناً من فرقه الى قدمه وأنزل الله في شأنه استثناء في حكم المرتد فقال جل ذكره (من كفر بالله من بعد ايمانه الا من اكره وقلبه

مطمئن بالايمان ولكن من شرح بالكفر صدراً فعليهم غضب
من الله ولهم عذاب عظيم) (ومن) أو ذى فى الله خباب
بن الارت سبي فى الجاهلية فاشتترته ام أثمار وكان حدادا
وكان النبى يأنفه قبل النبوة فلما شرفه الله بها اسلم خباب فكانت
مولاته تعذبه بالنار فتأتى باحديدة المممة فتجعلها على ظهره
ليكفر فلا يزيده ذلك الا ايمانا وجاء خباب مرة الى رسول
الله وهو متوسد برده فى ظل الكعبة فقال يا رسول الله الا
تدعو الله لنا فقمعد عليه السلام محمرا وجهه فقال انه كان من
قبلكم ليمشط احدثهم بامشاط الحديد ما دون عظمه من
لحم وعصب ويوضع المنشار على فرق رأس احدثهم فيشق
ما يصرفه ذلك عن دينه وليظهرن الله تعالى هذا الامر حتى
يسير الراكب من صنعاء الى حضرموت لا يخاف الا الله
والذئب على غنمه قال ذلك عليه السلام وهو فى هذه الحال
الشديدة التى لا يتصور فيها اعقل العقلاء وأنبل النبلاء قوة
منتظرة او سعادة مستقبلة اللهم الا ان ذلك وحى يوحى
ثم انزل الله تعالى تثيتا للمؤمنين (ألم أحسب الناس ان يتركوا
ان يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن

الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين) فان علم الله لا يتعلق بشيء
 الا بعد وجوده اذ لا يعلم بوجود شيء لا حقيقة له (ومن)
 او ذى فى الله أبو بكر الصديق ولما اشتد عليه الاذى أجمع
 أمره على الهجرة من مكة الى جهة الحبشة فخرج حتى أتى برك
 الغماد فلقبه ابن الدغنة وهو سيد قبيلة عظيمة اسمها القارة فقال
 الى أين يا أبا بكر فقال أخرجنى قومى فأريد ان أسيح فى
 الارض وأعبد ربى فقال ابن الدغنة مملك يا أبا بكر لا يخرج
 انك تكسب المعدوم وتصل الرحم وتحمل الكل وتقرى
 الضيف وتعين على نواب الحق فانا لك جار ارجع واعبد
 ربك ببلدك فرجع وارتحل ابن الدغنة معه وطاف فى أشراف
 قرى فقال لهم أبو بكر لا يخرج مثله اتخرجون رجلا يكسب
 المعدوم ويصل الرحم ويحمل الكل ويقرى الضيف ويعين
 على نواب الحق فلم تكذب قرى بجوار ابن الدغنة وقالوا له
 مرُّ أبا بكر فليعبد ربه فى داره فليصل فيها ما شاء وليقرأ ما شاء
 ولا يؤذينا بذلك ولا يستعلن فانا نخشى أن يفتن نساءنا وابناءنا
 فقال ذلك ابن الدغنة لابی بكر فلبث بذلك يعبد ربه فى داره
 ولا يستعلن بصلاته ولا يقرأ فى غير داره ثم بد الابن بكر

فابتنى مسجداً بفناء داره وكان يصلى فيه ويقرأ القرآن
 فينقذ عليه نساء المشركين وأبنائهم وهم يعجبون منه
 وينظرون اليه وكان رجلاً نكاه لا يملك عينيه اذا قرأ القرآن
 فافزع ذلك اشراف قریش فأرسلوا الى ابن الدغنة فقدم عليهم
 فقالوا انا كننا قد أجرنا أبا بكر بجوارك على أن يعبد ربه في
 داره فقد جاوز ذلك فابتنى مسجداً بفناء داره فاعلن بالصلاة
 والقراءة فيه وانا قد خشينا أن يفتن نساءنا وأبناءنا فان أحب
 أن يقتصر على أن يعبد ربه بفناء داره فعل وان أبى الا أن
 يعلن ذلك فسله أن يرد اليك ذمتك فانا قد كرهنا ان نخفرك
 ولسنا مقرين لابی بكر الاستعلان فأتى ابن الدغنة أبا بكر
 فقال قد علمت الذى عاقدت لك عليه فاما ان تقتصر على
 ذلك واما ان ترجع الى ذمتى فانى لا أحب ان تسمع العرب
 أنى أخفرت فى رجل عقدت له فقال أبو بكر فانى أرد عليك
 جوارك وأرضى بجوار الله وكان ذلك سبباً لا يصلأذى عظيم
 الى أبى بكر رضى الله عنه وبالجمله فلم يخل أحد من المسلمين
 من أذية لحقته ولكن كل ذلك ضاع سدى تلقاء ثباتهم
 وعظيم ايمانهم فانهم لم يسلموا الغرض ذنبوى يرجون حصوله

فيسهل ارجاعهم ولكن وفقهم الله لادراك حقيقة الايمان
فراؤا كل شئ دونه سهلا

ولما رأى كفار قريش ان ذلك الاذى لم يُجِدْهم نفعاً
بل كلما زادوا المسلمين أذى ازداد يقيمهم اجتمعوا للتشورى فيما
ينهم فقال لهم عتبة بن ربيعة وكان سيداً مطاعاً فى قومه يا
معشر قريش الا أتوم لمحمد فأكلمه واعرض عليه اموراً عله
يقبل بعضها فنعطيه اياها ويكف عنا فقالوا يا ابا الوليد فقم اليه
فكلمه فذهب الى رسول الله وهو يصلى فى المسجد وقال يا
ابن أخى انك منا حيث قد علمت من خيارنا حسبا ونسبا
وانك قد أتيت فومك بأمر عظيم فرقت به جماعتهم وسفهت
أحلامهم وعبت آلهتهم ودينهم وكفرت من مضى من آباءهم
فاسمع منى أعرض عليك اموراً تنظر فيها الملك تقبل منها بعضها
فقال عليه السلام قل يا أبا الوليد أسمع فقال يا ابن أخى ان كنت
انما تريد بما جئت به من هذا الامر مالاً جمعنا لك من
أموالنا حتى تكون أكثرنا مالاً وان كنت تريد شرفاً وسودناك
علينا حتى لا نقطع أمراً دونك وان كنت تريد ملكاً ملكناك
علينا وان كان هذا الذى يأتىك رئى من الجن لا تستطيع

رده عن نفسك طنبنا لك الطب وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك
منه فإنه ربما غلب التابع على الرجل حتى يداوى فقال عليه
السلام لقد فرغت يا أبا الوليد قال نعم قال فاسمع مني فقراً
رسول الله صلى الله عليه وسلم

(بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل من الرحمن الرحيم)
الى ان بلغ قوله تعالى (فان أعرضوا فقل أذرتكم صاعقة
مثل صاعقة عادوثمود) فسك عتبة بنه وناشده بالرحم أن
يكف عن ذلك فلما رجع عتبة سأله فقال والله لقد سمعت
قولاً ما سمعت مثله قط والله ما هو بالشعر ولا بالكهانة ولا
بالسحر يا معشر قريش أطيعوني فاجعلوها لى خلوا بين الرجل
وبين ما هو فيه فاعتزلوه فوالله ليكونن اكلامه الذى سمعت
نبأ فان تصبه العرب فقد كفىتموه بغيركم وان يظهر على العرب
فغزه عنكم فقالوا القدسحرك محمد فقال هذا رأيي (ثم) عرضوا
عليه بعد ذلك ان يشاركهم فى عبادتهم ويشاركونه فى عبادته
فأنزل الله فى ذلك (قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون ولا
أنتم عابدون ما أعبد ولا أنا عابد ما عبدتم ولا أنتم عابدون
ما أعبد لكم دينكم ولى دين) فلا تتوهموا انى أجيبكم اطلبكم

من الاشراك بالله فأيسوا منه وطلبوا بعد ذلك ان ينزع من القرآن ما يغيظهم من ذم الاوثان والوعيد الشديد فيأتى بقرآن غيره او يبدله فانزل الله جواباً لهم (قل ما يكون لى أن أبدله من تلقاء نفسى ان أتبع الا ما يوحى الى) وقد حصل له مع كفار قريش نادرة تكون لمن استهان بالضعيف كمصباح يستضيء به ان ترك العناد وراء ظهره وهى انه بينما لرسول عليه السلام مع كبراء قريش واشرافهم يتألفهم ويعرض عليهم القرآن وما جاء به من الدين اذ أقبل عليه عبد الله ابن أم مكتوم الاعمى وهو ممن اسلاموا قديماً والنبي مشغول بالقوم وقد لقي منهم مؤانسة حتى طمع في اسلامهم فقال له عبد الله يا رسول الله علمنى مما علمك الله واكثر عليه القول فشق ذلك على الرسول وكره قطعه لكلامه وخاف عليه السلام ان يكون التفاته لذلك المسكين ينفر عنه قلب أولئك الاشراف فأعرض عنه فعاتبه الله على ذلك بقوله (عبس وتولى أن جاءه الاعمى وما يدريك لعله يزكى او يذكر فتنفعه الذكرى أما من استغنى فانت له تصدى وما عليك ان لا يزكى وأما من جاءك يسعى وهو يخشى فانت عنه تلهى) فها عبس رسول الله صلى الله عليه

وسلم بعدها في وجه فقير وكان اذا أقبل عليه عبد الله ابن أم مكتوم يقول له مرحباً بمن عاتبنى فيه ربى

ولما رأى المشركون أن هذه المطالب التي يعرضونها لا تقبل منهم أرادوا أن يدخلوا من باب آخر وهو تعجيز الرسول بطلب الآيات فاجتمعوا وقالوا يا محمد ان كنت صادقاً فارنا آية نطلبها منك وهى أن تشق لنا القمر فرقتين فاعطاه الله هذه المعجزة وانشق القمر فرقتين فقال رسول الله أشهدوا وهذه القصة رواها عبد الله بن مسعود وهو من السابقين الاولين رويت عنه من طرق كثيرة ورواها عبد الله بن عباس وغيره ورواها عنهم جمع غفير حتى صار الحديث متواتراً وقد ذكرها القرآن الكريم في قوله (اقتربت الساعة وانشق القمر) فحينما رأى المعاندون هذه الآية الكبرى قال بعضهم لقد سحرهم ابن أبى كبشه فانزل الله فيهم (وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر) ثم سألو الرسول بعد ذلك آيات لا يقصدون بذلك الا التعت والتنادفنها ان قالوا (لن تؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعاً او تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الانهار خلالها تفتجيراً او تسقط السماء كما زعمت علينا

كسفًا أو تأتي بالله والملائكة قبيلاً أو يكون لك بيت من
 زخرف أو ترقى في السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا
 كتاباً نقرأه) ولم يجبههم الله الا بقوله (قل سبحان ربي هل
 كنت الا بشرا رسولا) لان الله علم ما تكنه جوارحهم من
 التعصب والعناد فلا يؤمنون مهما جاءهم من البينات كما قال
 جل ذكره (وما يشعركم انها اذا جاءت لا يؤمنون) وكيف
 يرجي الخير ممن قالوا (اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك
 فأمطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم) ولم يقولوا
 ان كان هذا هو الحق من عندك فاهدنا اليه وهذه سنة من
 سنن الانبياء اذا رأوا من طلاب الآيات عناداً وانهم يطلبونها
 تعجيزاً لا يسألون الله انفاذ هذه الآيات كيلا يحل بقومهم
 الهلاك كما حصل لعادوثمود وغيرهم وهذا هو المراد من قوله
 تعالى (وما منعنا ان نرسل بالآيات الا ان كذب بها الالون)
 وقد حصل للمسيح عليه السلام انه لما وقف امام هيردوس
 طلب منه آية فلم يجبه الى طلبه فلما رأى ذلك سخر منه وردّه
 الى عدوه بيلاطس بعد ان كان يأسف عليه ويتمنى لقاءه وذلك
 المذكور في الانجيل (هذا) ولما رأى المشركون ضعفهم عن

مقاومة المسلمين بالبرهان تحولوا الى سياسة القوة التي اختارها قوم ابراهيم عند ما عجزوا عنه حيث (قالوا حرقوه وانصروا آلهتكم) أما هؤلاء فازدادوا بالاذى على كل من أسلم رجاء صدهم عن اتباع الرسول عليه السلام ولم يتركوا باباً الا ولجوه فقال عليه السلام لاصحابه تفرقوا في الارض فان لله هجرة الحبشة سيجمعكم فسألوه عن الوجهة فأشار الى أرض الحبشة فتجاهز ناس للخروج عن ديارهم وأموالهم فراراً بدينهم كما أشار عليه السلام وهذه هي اول هجرة من مكة وعدة أصحابها عشر رجال وخمس نسوة وهم عثمان بن عفان وزوجه رقية بنت رسول الله وابو سلمة وزوجه أم سلمة وأخوه أبو سبرة وزوجه أم كلثوم وعامر بن ربيعة وزوجه ليلى وأبو حذيفة ابن عتبة بن ربيعة وزوجه سهيل بنت سهيل وعبد الرحمن ابن عوف وعثمان بن مظعون وعبد الله بن مسعود وسهيل ابن البيضاء والزبير بن العوام فساروا على بركة الله ولما انتهوا الى البحر استأجروا سفينة اوصلتهم الى مقصدهم فأقاموا آمنين من أذى يلحق بهم من المشركين ولم يبق مع النبي عليه السلام الا القليل وفي ذلك الوقت أسلم الشهم اسلام عمر

الهام عمر بن الخطاب بعدما كان عليه من كراهية المسلمين وشدة
 اذاهم قالت ليلي احدى المهاجرات لارض الحبشة مع زوجها
 كان عمر بن الخطاب من أشد الناس علينا في اسلامنا فلما ركبت
 بعيري أريد أن أتوجه الى أرض الحبشة اذ انابه فقال لي الى أين
 يأم عبد الله فقالت قد آذيتونا في ديننا نذهب في أرض الله
 حيث لا تؤذى فقال سبحانه الله فلما جاء زوجي عامراً أخبرته بما
 رأيت من رقة عمر فقال ترجين أن يسلم والله لا يسلم حتى
 يسلم حمار الخطاب وذلك لما كان يراه من قسوته وشدة على المسلمين
 ولكن حصلت له بركة دعوة المصطفى صلى الله عليه وسلم فانه
 قال قليل اسلامه اللهم أعز الاسلام بعمر وكان اسلامه في دار
 الأرقم بن أبي الأرقم التي كان المسلمون يجتمعون فيها وقد
 حقق الله باسلامه ما رجاه عليه السلام فقد قال عبد الله بن مسعود
 مازلنا أعززة منذ أسلم عمر فانه طلب من رسول الله أن يعان
 صلاته في المسجد ففعل وقد أدرك الكفار كآبة شديدة حينما
 رأوا عمر أسلم وكانوا قد أرادوا قتله حتى اجتمع جمع منهم حول
 داره ينتظرونه فجاء العاص بن وائل السهمي وهو من بني
 ذمهم حلفاء بني عدى قوم عمر وعليه حلة خبزة ومقيص مكفوف

بحرير فقال لعمر ما بالك فقال زعم قومك انهم سيقتلوني أن
 اسمعت قال لا سبيل اليك فأنا لك جار فأمن عمر وخرج العاص
 فوجد الناس قد سال بهم الوادي فقال أين تريدون قالوا نريد هذا
 ابن الخطاب الذي صبأ قال لا سبيل اليه فرجع الناس من حيث أتوا
 وبعد ثلاثة أشهر من خروج مهاجري الحبشة رجعوا
 الى مكة حيث لم تيسر لهم الإقامة فيها لانهم قليلو العدد
 وفي الكثرة بعض الانس وأضف الى ذلك انهم أشرف
 قريش ومعهم نساؤهم وهؤلاء لا بطيب لهم عيش في دار
 غريبة بهذه الحالة

رجوع
 مهاجري
 الحبشة

وقد أولع بعض المؤرخين بحكاية يجعلونها سبباً في رجوع
 مهاجري الحبشة وهي أنه بلغهم اسلام قومهم حينما قرأ عليهم
 الرسول سورة النجم وتكلم فيها كلاماً حسناً عن آلهتهم حيث قال
 بعد (أفرايتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى) تلك الغرانيق
 (جمع غر) نوق ويراد بها الملائكة) العلى وان شفاعتهن اترتجي
 فسجدوا اعظاماً لذلك وفرحاً وهذا مما لا تجوز روايته الا
 على قليل الادراك الذين ينقلون كل ما وجدوه غير متثبتين
 في صحته وها نحن نسوق لك دلة النقل والعقل على بطلان

ما ذكر اما الحديث فسنده ومثته قلطان فالسند قال فيه القاضى عياض فى الشفاء لم يخرج به أحد من اهل الصحة ولا رواه ثقة بسند سليم واما المتن فليس أصحاً - رسول الله ولا المشركون مجانين حتى يسمعوا مدحاً أثناء ذم ويجوز ذلك عليهم فبعد ذكر الاصنام قال (ان هى الا اسماء سميتموها اتم وآباؤكم ما نزل الله بها من سلطان) فالكلام غير منتظم ولو كان ذلك قد حصل لاتخذ الكفار عليه حجة يحاجونه بها وقت الخصام وهم من نعرفهم من العناد فيما ليس فيه أدنى حجة فكيف بهذه وليس ذلك القيل اقل بكثير من تحويل القبلة الى الكعبة وهذا قالو فيه ما قالوا حتى سماهم الله سفهاء وانزل فيهم (سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التى كانوا عليها) ولكن لم يسمع عن اى واحد من رجالاتهم والمتصدرين للعناد منهم ان قال مالك ذمت آلهمنا بعد ان مدحتنا وكان ذلك اولى لهم من تجريد السيوف وبذل مهج الرجال على ان المؤرخين الذين ينقلون هذه العبارة ويجمعون لها سبباً لرجوع مهاجرى الحبشة يقولون أثناء كلامهم ان الهجرة كانت فى رجب والرجوع كان فى شوال ونزول سورة والنجم كان فى رمضان فالمدّة

بين نزول السورة ورجوع المهاجرين شهر واحد والمتأمل
 ادنى تأمل يرى ان الشهر كان لا يكفي في ذاك الزمن للذهاب
 من مكة الى الحبشة والاياب منها لانه لم يكن اذ ذاك مراكب
 بخارية تسهل السير في البحر ولا تلغراف يوصل خبر اسلام
 قريش لمن بالحبشة فلا غرابة بعد ذلك أن قلنا ان هذه الحرافة
 من موضوعات أهل الاهواء الذين ابتلى الله بهم هذا الدين
 ولكن الحمد لله فقد من علينا بحفظ كتابنا المجيد الذي يحكم بيننا
 وبين كل مفتر كذاب في السورة نفسها (وما ينطق عن الهوى)
 والذي يلقيه الشيطان من أقبح ما يروى فكيف يقوله عليه
 السلام أو يجري على لسانه مما ثبت الشكوك في الوحي
 الامر الذي يريد السفهاء رد الله كبدهم في نحرهم والذي
 ورد في الصحيح في موضوع هذا السجود ما رواه عبد الله
 ابن مسعود أن النبي عليه السلام قرأ والنجم فسجد وسجد من
 كان معه الارجال أخذ كفاً من حصي وضعه على جبهته وقال
 يكفيني هذا فرأيت قتيل بعد كافراً وليس في هذا الحديث أدنى
 دلالة على أن الذين سجدوا معه هم مشركون بل الذي يفيد
 قوله فرأيت قتيل بعد كافراً أنه كان مسلماً ثم ارتد وهذا ما

حصل من بعض ضعاف القلوب الذين لم يتحملوا الاذى فكفروا
منهم على بن أمية بن خلف على انك اذ فهمت ما سبق من ان
عبد الله بن مسعود كان أحد المهاجرين الى الحبشة جزم
بان هذا الحديث لم يكن لما وضعوه له هذا ولما رجع مهاجرو
الحبشة الى مكة لم يتمكن من الدخول اليها الا من وجد له
محيراً فدخل أبو سلمة في جوار خاله أبي طالب ودخل عثمان
ابن مظعون في جوار الوليد بن المغيرة وقد رد عليه جواره
حينما رأى ما يصنع بالمسلمين فلم ير أن يكون مرتاحاً واخوانه
يعذبون

ولما ضاقت الحيل بكفار قريش عرضوا على بني عبد
مناف الذين منهم الرسول عليه السلام دية مضاعفة ويسلمونه
فأبوا عليهم ذلك ثم عرضوا على أبي طالب ان يعطوه سيدياً
من شبانهم يتبناه ويسلم اليهم ابن أخيه فقال عجباً لكم تعطوني
ابنكم أغذوه لكم وأعطيكم ابني تقتلونه فلما رأوا ذلك أجمعوا
أمرهم على منابذة بني هاشم وبني المطلب ولدى عبد مناف
واخراجهم من مكة والتضييق عليهم بمنع حضور الاسواق
وان لا يناكحهم وأن لا يقبلوا لهم صلحاً أبداً حتى يسلموا

محمدًا للقتل وكتبوا بذلك صحيفة وضعوها في جوف الكعبة
 فانحاز بنوهاشم بسبب ذلك في شعب ابي طالب ودخل معهم
 بنو المطلب سواء في ذلك مسلمهم وكافرهم ماعدا ابا لهب
 فانه كان مع قريش واتخذل عنهم بنو عميهم عبد شمس ونوفل
 ابني عبد مناف فجهد القوم حتى كانوا ياكلون ورق الشجر
 وكان أعداؤهم يمنعون التجار من مبايعتهم وفي مقدمة المانعين
 ابو لهب وبعد دخول الرسول وقومه الشعب أمر جميع
 المسلمين ان يهاجروا للحبشة حتى يساعدوا بعضهم على الاغتراب
 فهاجر معظمهم وكانوا نحو ثلاثة وثمانين رجلاً وثمانى عشرة
 امرأة وكان من الرجال جعفر بن ابي طالب وزوجته أسماء
 بنت عميس والمقداد بن الاسود وعبد الله بن مسعود وعبيد
 الله بن جحش وامراته أم حبيبة بنت ابي سفيان وتوجه لهم
 الذين أسلموا من جهة اليمن وهم الاشعريون ابو موسى وبنو
 عمه ولما رأت قريش ذلك أرسلت في أثرهم عمرو بن العاص
 وعمارة بن الوليد بهدايا الى النجاشي ليسلمهم المسلمين فرجعا
 شر رجعة ولم يتالوا من النجاشي الا اهانة لما خاطبوه به من
 خفر ذمته في قوم لا ذوابه اما بنوهاشم فمكثوا في الشعب

هجرة الحبشة
 الثانية

قريباً من ثلاث سنوات في شدة الجهد والبلاء لا يصلهم شيء من الطعام الا خفية حتى قام خمسة من اشراف قريش يطالبون بنقض هذه الصحيفة الظالمة وهم هشام بن عمرو بن الحارث وزهير بن امية ابن عمه الرسول عاتكة والمطعم بن عدى وابو البحتري بن هشام وزمعة بن الاسود واتفقوا على ذلك ليلاً فلما أصبحوا غدا زهير وعليه حلة فطاف بالبيت ثم أقبل على الناس فقال يا أهل مكة أنا كل الطعام ونلبس الثياب وبنو هاشم والمطلب هلكي لا يبيعون ولا يتبعون والله لا أقعد حتى تشق هذه الصحيفة الظالمة القاطعة فقال أبو جهل كذبت فقال زمعة لا بى جهل أنت والله أكذب مارضينا كتابتها حين كتبت فقال أبو البحتري صدق زمعة وقال المطعم بن عدى صدقنا وكذب من قال غير ذلك وصدق على ما قبل هشام بن عمرو فقام اليها المطعم بن عدى فشققها وكانت الارضة قد أكلتها فلم يبق فيها الا ما فيه اسم الله وقد أخبر النبي عليه السلام عمه أبا طالب بذلك قبل أن يفعل ما ذكر نخرج القوم الى مساكنهم بعد هذه الشدة وقد وفد على الرسول بعد وفود غرار الخروج من الشعب وفد من نصارى نجران بلغهم خبره من

مهاجرى الحبشة فسارعوا بالقدوم عليه حتى يروا صفاته مع ما ذكر منها في كتبهم فقرأ عليهم القرآن فآمنوا كلهم فقال لهم أبو جهل ما رأينا ركباً أحق منكم أرسلكم قومكم تعلمون خبر هذا الرجل فصباكم فقالوا سلام عليكم لا نجأه لكم لكم ما أتم عليه وأنا ما خترناه فانزل الله في ذلك (الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون وإذا يتلى عليهم قالوا آمنا به انه الحق من ربنا انا كنا من قبله مسلمين أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا ويدرؤن بالحسنة السيئة ومما رزقناهم ينفقون وإذا سمعوا اللغو اعرضوا عنه وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين) وقد كان اهل مكة حينما عجزوا عن أمر رسول الله ولم يتمكنوا من مقارعة الحجة بالجنة رموه بالسجر مرة وبالكذب أخرى وبالجنون طوراً وبالكهانة مرة كل ذلك . أن العاجز المعاند الذي لا يستجيب لمزيد عناده ان يقول (اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم)

وبعد خروجه عليه السلام من الشعب بقليل توفيت

خديجة بنت خويلد زوجه رضى الله عنها كان عليه السلام
كثيراً ما يذكرها ويترحم عليها ولا غرابة فهي أول نفس زكية
صدقت رسول الله فيما جاء به عن ربه وقد جاء منها بأولاده
كلهم عدا إبراهيم فمنها زينب وهي أكبر بناته تزوجها في
الجاهلية أبو العاص بن الربيع ومنها رقية وأم كلثوم تزوجهما
عثمان الأولى بمكة قبل الهجرة وهاجر بها إلى الحبشة والثانية
بالمدينة بعد أن ماتت أختها ومنها فاطمة وهي أصغر بناته
تزوجها علي بن أبي طالب وقد جاءت خديجة بأولاد توفوا
صغاراً ولم يمش بعد رسول الله من أولاده إلا فاطمة عاشت
بعده قليلاً ولما توفيت خديجة حزن عليها رسول الله حزناً
شديداً لما كانت عليه من الرقة لرسول الله ومحاجة الكفار
عنه لما لها من الجاه في عشيرتها بنى زهرة وعقد عليه
السلام في الشهر الذي ماتت فيه علي سودة بنت زمعة بعد
أن توفي عنها زوجها وابن عمها السكران وقد كانت آمنت بالله
وبرسوله وخالفت أفارها وبني عمها وهاجرت مع زوجها إلى
الحبشة في المرة الثانية خوف الفتنة وعقب رجوعه من هجرته
توفي عنها فلم يكن ثم أجل مما صنعه الرسول بزوجة رجل

زواج سودة

آمن به ولو تركت لقومها مع ما هم عليه من الغلظة وكرهه
 الاسلام لقتلنها وكرمُ نسبها في قومها يمنعها من الزوج
 زواج عائشه برجل أقل منها نسباً وشرقاً وبعد ذلك بشهر عقد على عائشة
 بنت صديقه ابى بكر وهى لا تتجاوز السادسة من عمرها ولم
 يتزوج عليه السلام بكراً غيرها ودخل عليها بالمدينة اما سوده
 فدخل عليها بمكة وبعد وفاة خديجة بنحو شهر توفى عمه ابو طالب
 الذى كان يمنعها من اذى اعدائه ومع انه كان لا يكذب رسول الله
 فيما جاء به بل يعتقد صدقه لم ينطق بالشهادتين حتى آخر
 لحظة من حياته وفيه نزل (انك لا تهدى من احببت ولكن
 الله يهدي من يشاء وهو اعلم بالمهتدين) ولكن لاعماله العظيمة
 التى عملها مع رسول الله تزجوان يخفف عنه وعدم اسلامه بل
 هو وغالب اقارب الرسول فيه من الحكمة مالا يخفى فانهم
 لو بادروا باتباعه لقليل قوم يطلبون سيادة ونخراً ليس لهم
 جأؤا بهذا الامر المفتري ولكن لما رأى المعاندون ان متبعيه هم
 الغرباء عنه الذين ليسوا من عشيرته بل من اعدائها احياناً كعثمان بن
 عفان من بني امية لم يكن عندهم ادنى حجة يقيمونها اللهم الادعائهم
 الكاذبة التى كانوا يتمسكون بها حينما تصدعهم الحجة وهو قولهم

ساحر يفرق بين المرء وزوجه وكاهن يتكهن بالغيب وقد سمي
رسول الله هذا العام الذي فقد فيه زوجه وعمه عام الحزن ولما
مات أبو طالب نالت قريش من رسول الله ما لم يمكنها نواله
في حياة أبي طالب واشتد الأمر عليه حتى كانوا ينثرون التراب
على رأسه وهو سائر ويضعون أوساخ الشاة عليه في صلاته
وتعلقت به كفار قريش مرة يتجاذبون ويقولون له انت الذي
تريد ان تجعل الآلهة الها واحداً فما تقدم احد من المسلمين
حتى يخلصه منهم لما هم عليه من الضعف الا ابا بكر تقدم
وقال انقلون رجلاً ان يقول ربى الله فلما رأى عليه السلام
استهانة قريش به أراد ان يتوجه الى ثقيف بالطائف يرجو منهم
نصرته على قومه ومساعدته حتى يتم أمر ربه لانهم أقرب
الناس الى مكة وله فيهم خولة فان أم هاشم بن عبد مناف
عاتكة السلمية من بني سليم بن منصور وهم حلفاء ثقيف فلما
توجه اليهم ومعه مولاة زيد بن حارثة قابل رؤساءهم وكانوا
ثلاثة عبد ياليل ومسعود وحبيب أولاد عمرو بن عمير الثقفي
فعرض عليهم نصرته حتى يؤدي دعوته فردوا عليه رقيقاً
مولوداً منهم خيراً وحينذاك طلب منهم ان لا يشعروا ذلك

هجرة الطائف

عنه كيلا تعلم فريش فيشتد أذاهم لانه استعان عليهم باعدائهم فلم تفعل ثقيف مارجاه منهم عليه السلام بل أرسلوا سفهاءهم وغلمانهم يقفون في وجهه في الطريق ويرمونه بالحجارة حتى أدموا عقبه وكان زيد بن حارثة يدرأ عنه الى أن انتهى الى شجرة كرم واستظل بها وكانت بجوار بستان لعتبة وشيبة ابني ربيعة وهما من أعدائه وكانا في البستان فكره رسول الله مكانهما فدعا الله قائلاً (اللهم اني اشكو اليك ضعف قوتي وهواني على الناس يا ارحم الراحمين انت رب المستضعفين وانت ربي الى من تكلمني ان لم يكن بك غضب على فلا ابالي) فلما رآه ابنا ربيعة رقاه وارسلوا اليه بقطف من العنب مع مولى لهما نصراني اسمه عداس فلما ابتدأ رسول الله يا كل قال بسم الله الرحمن الرحيم فقال عداس هذا الكلام مايقوله اهل هذه البلاد فقال له عليه السلام من أي البلاد انت وما دينك فقال نصراني من نينوى فقال عليه السلام قرية الرجل الصالح يونس بن متى قال وما علمك يونس فقرأ له من القرآن ما فيه قصة يونس فلما سمع ذلك عداس اسلم وأتى جبريل برسالة الله من جل ذكره وقال ان الله امرني ان اطيعك في قومك

لما صنعوه معك فقال عليه السلام اللهم اهد قومي فانهم لا يعلمون فقال جبريل صدق من سماك الرؤف الرحيم ولما كان بخلة وفد عليه نفر من الجن يستمعون القرآن فلما سمعوه انصتوا له ورجعوا الى قومهم منذرين وأبلغوهم خبر رسول الله وفيهم نزل (واذ صرنا اليك نفراً من الجن يستمعون القرآن فلما حضره قالوا انصتوا فلما قضى وأوّا الى قومهم منذرين قالوا يا قومنا انا سمعنا كتاباً أنزل من بعد موسى مصدقاً لما بين يديه يهدي الى الحق والى طريق مستقيم يا قومنا أحيوا داعي الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويحرمكم من عذاب اليم ومن لا يجب داعي الله فليس بمعجز في الارض وليس له من دونه اولياء أولئك في ضلال مبين) وقد قص الله قصة الجن بعبارة أطول في سورة سميت باسمهم أولها (قل أوحى الىّ أنه استمع نفر من الجن فقالوا انا سمعنا قرآناً عجياً يهدي الى الرشداً فآمنوا به ولئن نشرك بر بنا أحداً) ولما رجع عليه السلام من الطائف هكذا لم يتمكن من دخوله مكة لما علمه كفار قريش من انه توجه الى الطائف يستنصر باهلها عليهم فأرسل عليه السلام الى المطعم بن عدى بن نوفل بن عبد مناف يخبره انه سيدخل

مكة في جواره فاجاب الى ذلك وتسليح هو وبنوه وتوجهوا
مع رسول الله الى المطاف فقال له بعض المشركين أجيبر أنت
أم تابع فقال بل عجير قالوا اذا لا تتخفر ذمتك

وفد دوس

وقدم على رسول الله وهو بمكة الطفيل بن عمرو
الدوسي من قبيلة دوس عشيرة ابي هريرة الصحابي الشهير
وكان الطفيل شريفاً في قومه شاعراً نبيلاً فلما قرأ عليه القرآن
أسلم فقال له رسول الله اذهب الى قومك فادعهم الى الاسلام
ودعاهم رسول الله فقال اللهم أهـد دوساً فتوجه اليهم الطفيل
ودعاهم فأمن بدعوته كثير منهم وستأتي وفادته على الرسول
مرة ثانية بقومه في المدينة

الاسراء
والمعراج

وقبل الهجرة أكرمه الله بالاسراء والمعراج اما الاسراء
فهو توجهه ليلاً الى بيت المقدس ورجوعه من ليلته وأما
المعراج فهو صعوده الى العالم العلوي وقد قال جمهور أهل
السنة ان ذلك كان بجسمه الشريف وكانت عائشة رضى الله
عنها تمنع رؤية رسول الله ربه وتقول من قال ان محمداً رأى ربه فقد
أعظم القرية على الله والاسراء مذكور في القرآن الكريم قال
تعالى (سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام الى

المسجد الاقصى الذى باركنا حوله انريه من آياتنا انه هو
السميع البصير) أما المعراج فقد ورد فى صحيح السنة وأصح
أحاديثه ما رواه الشيخان ونقله القاضى عياض فى شفاؤه عن
انس بن مالك رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم أتيت بالبراق وهو دابة فوق الحمار ودون البغل يضع
حافره عند منتهى طرفه قال فركبته حتى أتيت بيت المقدس
فربطته بالحلقة التى تربط بها الانبياء ثم دخلت المسجد فصليت
فيه ركعتين ثم خرجت فاتانى جبريل باناء من خمر واناء من
لبن فاخترت اللبن فقال جبريل اخترت الفطرة ثم عرج بنا
الى السماء فاستفتح جبريل فقيل من أنت قال جبريل قيل ومن
معك قال محمد قيل وقد بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح
لنا فاذا أنا بآدم فرحب بى ودعالى بخير ثم عرج بنا الى السماء
الثانية فاستفتح جبريل فقيل من أنت قال جبريل قيل ومن
معك قال محمد قيل وقد بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا
انا بابنى الحاله يحيى وعيسى ابن مريم فرحبا بى ودعوا الى بخير
ثم عرج بنا الى السماء الثالثة فذكر مثل الاول ففتح لنا واذا
أنا يوسف واذا هو قد أعطى شطرا الحسن فرحب بى ودعالى

بخير ثم عرج بنا الى السماء الرابعة وذكر مثله فاذا أنا بادريس
 فرحب بي ودعاني بخير قال تعالى (ورفعناه مكاناً علياً) ثم
 عرج بنا الى السماء الخامسة فذكر مثله فاذا أنا بهارون فرحب
 بي ودعاني بخير ثم عرج بنا الى السماء السادسة فذكر مثله
 فاذا أنا بموسى فرحب بي ودعاني بخير ثم عرج بنا الى السماء
 السابعة فذكر مثله فاذا أنا بابراهيم مسنداً ظهره الى البيت
 المعمور واذا هو يدخله كل يوم سبعون الف ملك لا يعودون
 اليه ثم ذهب بي الى سدرة المنتهى فاذا أوراقها كآذان الفيلة
 واذا ثمرها كالقلال فلما غشيها من أمر ربي ماغشيها تغيرت فما
 أحد من خلق الله يستطيع ان ينعتها من حسنها فأوحى الله الى
 ما أوحى ففرض على وعلى أمتي خمسين صلاة في كل يوم وليلة
 فنزلت الى موسى فقال ما فرض ربك على امتك قلت خمسين
 صلاة قال ارجع الى ربك فسله التخفيف فان امتك لا يطيقون
 ذلك فاني قد بلوت بني اسرائيل قبلك وخبرتهم قال فرجعت
 الى ربي فقلت يارب خفف عن أمتي فخط عنى خمساً فرجعت
 الى موسى فقلت خط عنى خمساً قال ان امتك لا يطيقون ذلك
 فارجع الى ربك فسله التخفيف قال فلم أزل أرجع بين ربي

تعالى وبين موسى حتى قال سبحانه يا محمد انهن خمس صلوات كل يوم واليلة لكل صلاة عشر فلكل خمسون صلاة ومن هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة ومن هم بحسنة فعملها كتبت له عشرًا ومن هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب له شيئًا ومن هم بسيئة فعملها كتبت له سيئة واحدة قال فنزلت حتى انتهيت الى موسى فاخبرته فقال ارجع الى ربك فسله التخفيف فقلت قد رجعت الى ربي حتى استحيت منه ثم رجعت عليه السلام من بلده فلما أصبح غدا الى نادى فريش فجلس اليه أبو جهل فحدثه رسول الله صلى الله عليه وسلم بما جرى له فقال أبو جهل يا بني كعب بن لؤي هلموا فاقبل عاياه كنفار قريش فاخبرهم الرسول الخبر فصاروا بين مصفق وواضع يده على رأسه تعجبًا وانكارًا وارتد ناس ممن كان آمن به من ضعاف القلوب وسمى رجال الى أبي بكر فقال ان كان قال ذلك ائتم صدق قالوا اتصدفه على ذلك قال نى لا صدفه على أبعد من ذلك فسمى من ذلك اليوم صديقًا ثم قام الكفار تمتحنون رسول الله فسألوه بميت بيت المقدس وفيهم رجال رأوه أما رسول الله فلم يكن رآه قبل ذلك فجلاه الله له فصار بصفه لهم بابًا بابًا

وموضعاً موضعاً فقالوا أما النعت فقد أصاب فاخبرنا عن غيرنا
وكانت لهم غير قادمة من الشام فاخبرهم بعدد جمالها
وأحوالها وقال تقدم يوم كذا مع طلوع الشمس يقدمها جل
أوراق نخرجوا يشهدون ذلك اليوم نحو الثنية فقال قائل منهم
هذه والله الشمس قد أشرقت فقال آخر وهذه والله
الغير قد أقبلت يقدمها جل أوراق كما قال محمد ثم لم يزد
ذلك الا كفراً وعناداً بل قالوا هذا سحرة بين وفي صيحة
ليلة الاسراء جاء جبريل وعلم رسول الله كيفية الصلاة وأوقاتها
فيصلي ركعتين اذا ظهر الفجر وأربع ركعات اذا زالت الشمس
ومثلها اذا ضوئ ظل الشئ وثلاث اذا غربت وأربع اذا غاب
الشفق الاحمر وكان عليه السلام قبل مشروعية الصلاة يصلي
ركعتين صباحاً ومثلها مساءً كما كان يفعل ابراهيم عليه السلام
ولما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم انه يجد من
قريش منعه من تأدية الرسالة وتسلط الكبر والعظمة على
قلوبهم أراد الله ان يظهر أمر هذا الدين على أيدي غيرهم من
العرب فكان عليه السلام يخرج في المواسم العربية (وهي
أسواق كانت العرب تعقد لها للتجارة والمفاخرة) ويعرض نفسه

العرض على
القبائل

على القبائل ليجمؤه حتى يؤدي رسالة ربه فكان بعضهم يرد رداً جميلاً وآخرون رداً قبيحاً ومن أقبح القبائل رداً بنو حنيفة رهط مسيلمة الكذاب وطلب منه بنو عامر ان هم آمنوا به ان يجعل لهم أمراً الرياسة من بعده فقال لهم الامر لله يضعه حيث يشاء وكان من الذين يحجون البيت عرب بئر ب وهى مدينة بين مكة والشام يقطنها قبيلتان احدهما من ولد الاوس والثانية من ولد الخزرج وهما ابنا عم وكان بينهما من العداوة ما يجعل الحرب لا تضع أوزارها بين الفريقين فكانوا دائماً فى شقاق ونزاع وكان يجاورهم فى المدينة أقوام من اليهود وهم بنو قينقاع وبنو قريظة وبنو النضير وكان لهم الغلبة على يثرب اولاً فخار بهم العرب حتى صاروا ذوى النفوذ فيها والقوة وكان اليهود اذا خذلوا يستفتحون على اعدائهم باسم نبي يبعث قسداً قرب زمانه ولما اختلفت كلمة العرب فيما بينهم وشقت عصا الالفة حالنوا اليهود على انفسهم فخالف الاوس بنى قريظة وحالف الخزرج بنى النضير وبنى قينقاع وقد خطر ببال رؤساء الاوس ان يحالفوا قريشاً على الخزرج فارسلوا اياس بن معاذ وأبا الحيسر أنس بن رافع مع جماعة يلتمسون

ذلك الحلف في قريش فلما جاؤا مكة جاءهم رسول الله وقال هل لكم في خير مما جئتم له ان تؤمنوا بالله وحده ولا تشرکوا به شيئاً وقد أرسلني الله الى الكافة ثم تلا عليهم القرآن فقال اياس بن معاذ يا قوم هذا والله خير مما جئنا له فخصبه ابو الحيسر وقال له دعنا منك لقد جئنا لغير هذا فسكت ولما

بدء اسلام
الانصار

جاء الموسم تعرض رسول الله لغير منهم يبلغون السنة ودعاهم الى الاسلام والى معارضة في تبليغ رسالة ربه فقال بعضهم ابعض انه للنبي الذي كانت تعدكم به يهود فلا يسبقكم اليه فآمنوا به وصدقوه وقالوا انا تركنا قومنا بينهم من العداوة ما بينهم فان يجمعهم الله عليك فلا رجل اعز منك ووعدوه المقابلة في الموسم المقبل وهذا هو بدء الاسلام اعرب ثرب فلما كان العام المقبل قدم اثنا عشر رجلاً منهم عشر من الخزرج واثان من الاوس فاجتمعوا به عند العقبة وأسلموا وبايعوا رسول الله على ان يمنعوهم مما يمنعون به نساءهم وابناءهم وذهبوا على ذلك وهذه هي العقبة الاولى فارسل لهم عليه السلام مصعب بن عمير وعبد الله بن أم مكتوم وهو بن خالة خديجة يقرآهم القرآن ويفقهانهم في الدين ونزل مصعب على

العقبه الاولى

أحد المبايعين أبي أمانة أسعد بن زرارة وصار يدعو بقية
الآوس والخزرج للإسلام وبينما هو في بستان مع أسعد
ابن زرارة اذ قال سعد بن معاذ رئيس قبيلة الآوس لأسيد
ابن حضير ابن عم سعد ألا تقوم إلى هذين الرجلين اللذين
آتيا سيفهنا ضعفاءنا لتزجرهما فقام لهما أسيد بحرته فلما رآه
أسعد قال لمصعب هذا سيد قومه قد جاءك فاصدق الله فيه
فلما وقف عليهما قال ما جاء بكما تسفهان ضعفاءنا اعتزلا أن كان
لكما بأنفسكما حاجة فقال مصعب أو تجلس فتسمع فإن رضيت
أمرًا قبلته وإن كرهته كففتنا عنك ما تكره فقرأ عليه مصعب
القرآن فاستحسن دين الإسلام وهداه الله له فتشهد ورجع
إلى سعد فسأله عما فعل فقال والله ما رأيت بالرجلين بأساً
فغضب سعد وقام لهما متغيظاً ففعل معه مصعب كسابقه فهداه
الله للإسلام ورجع لرجال بني عبد الأشهل وهم بطن من
الآوس فقال لهم ما تعدونني فيكم قالوا سيدنا وابن سيدنا
قال كلام رجالكم ونسائكم على حرام حتى تسلموا فلم يبق بيت
من بيوت بني عبد الأشهل إلا أجابه وقد انقشر الإسلام في
دور يثرب حتى لم يكن بينهم حديث إلا أمر الإسلام ولما

كان وقت الحج في العام الذي بلى البيعة الاولى قدم مكة كثيرون منهم يريدون الحج وبينهم كثير من مشركيهم ولما قابل وفداهم رسول الله واعدوه المقاتلة ليلاً عند العقبة فامرهم أن لا يذهبوا في ذلك الوقت نائماً ولا ينتظروا غائباً لان كل هذه الاعمال كانت خفية من قريش كيلا يطلعوا على الامر فيسعوا في نقض ما أبرم شأنهم مع رسول الله في أول أمره ولما فرغ الانصار من حجهم توجهوا الى موعدهم كاتمين أمرهم عن معهم من المشركين وكان ذلك بعد مضي ثلث الليل الاول فكانوا يتسللون الرجل والرجلين حتى تم عددهم ثلاثاً وسبعين رجلاً معهم امرأتان ووافقههم رسول الله هناك وليس معه الا عمه العباس بن عبد المطلب وهو على دين قومه ولكن أراد أن يحضر أمر ابن أخيه ليكون متوثقاً له فلما اجتمعوا عرفهم العباس بأن ابن أخيه لم يزل في منة من قومه حيث لم يمكنوا منه أحداً ممن أظهر له العداوة والبغضاء وتحملوا من ذلك أعظم الشدة ثم قال لهم ان كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتموه اليه ومانعوه ممن خالفه فاتم وما تحمّلتم من ذلك والا فدعوه بن عشيرته فانه منهم ليمكن عظيم فقال كبيرهم

والتكلم عنهم البراء بن معرور والله لو كان لنا في أنفسنا غير ما ننتق به لقلناه ولكننا نريد الوفاء والصدق وبذل مهجنا دون رسول الله وعند ذلك قالوا الرسول الله صلى الله عليه وسلم خذ لنفسك ولربك ما أحببت فقال اشترط لربي أن تعبدوه وحده ولا تشركوا به شيئاً ولنفسى أن تمنعوني مما تمنعون به نساءكم وأبناءكم متى قدمت عليكم فقال له الهيثم بن التيهان يا رسول الله ان بيننا وبين الرجال عهداً وانا قاطموها فهل عسيت ان نحن فعلنا ذلك ثم أظهرك الله ان ترجع الى قومك وتدعنا فتبسم عليه السلام وقال بل الدم الدم والهدم الهدم فان طالبتكم بدم طالبت به وان أهدرتموه أهدرت به وحينذاك ابتدأت المبايعة وهي العقبة الثانية فبايعه الرجال على ما طلب

ثم تخير منهم اثني عشر نقيباً لكل عشيرة منهم واحد وهم أبو الهيثم بن التيهان وأسعد بن زرارة وأسيد بن حضير والبراء ابن معرور ورافع بن مالك وسعد بن أبي خيثمة وسعد ابن الربيع وسعد بن عباد وعبد الله بن رواحة وعبد الله بن عمرو وعباد بن الصامت والمنذر بن عمرو ثم قال لهم أنتم كفلاء على قومكم ككفالة الحواريين لعيسى ابن مريم وأنا كفيل

على قومي ولا مرّ ما أراد الله بلغ خبر هذه البيعة مشركي
 قريش فجاءوا ودخلوا شعب الانصار وقالوا يا معشر الخزرج
 بلغنا انكم جئتم لصاحبنا تخرجونه من أرضنا وتبايعونه على حربنا
 فانكروا ذلك وصار بعض المشركين الذين لم يحضروا المبايعة
 يخلفون هم انهم لم يحصل منهم شيء في ليلتهم وعبد الله بن
 أبي أحد المشركين يقول ما كان قومي ليفتاتوا على بشيء من
 ذلك ولما رجع الانصار الى المدينة ظهر بينهم الاسلام أكثر
 من المرة الاولى أما رسول الله وأصحابه فازداد عليهم أذى
 المشركين لما سمعوا انه حالف قوما عليهم فأمر عليه السلام
 جميع المسلمين بالهجرة الى المدينة فصاروا يتسألون خيفة قريش
 ان تمنعهم وأول من خرج أبو سلمة الخزرجي زوج أم سلمة
 ومعه زوجه وكان قومها منعوها منه ولكنهم أطلقوها بعد
 فلتحت به وتتابع المهاجرون فراراً بدينهم ليتمكنوا من عبادة
 الله الذي امتزج حبه بلحمهم ودمهم حتى صاروا لا يعبأون
 بمفارقة اوطانهم والابتعاد عن آبائهم وأبنائهم مادام في ذلك
 رضى الله ورسوله ولم يبق بمكة منهم الا أبو بكر وعلى وصهيب
 وزيد بن حارثة وقليلون من المستضعفين الذين لم تمكنهم حالتهم

هجرة المسلمين
 الى المدينة

من الهجرة وقد أراد أبو بكر الهجرة فقال له عليه السلام على رسلك فاني أرجو أن يؤذن لي فقال أبو بكر وهل ترجو ذلك بأبي أنت قال نعم فحبس أبو بكر نفسه على رسول الله ليصحبه وعلف راحتين كاتنا عنده ورق السمر استعداداً لذلك أما قريش فكانوا كانوا أصيدوا بمس الشيطان حينما بلغ مسامعهم مبايعة الانصار له على الذود عنه حتى الموت فاجتمع رؤساؤهم وقادتهم في دار الندوة لينظروا في هذا الامر الذي ظنوا من ورائه شرأ لهم فقال قائل منهم نخرجه من أرضنا كي نستريح منه فرفض هذا الرأي لانهم قالوا اذا خرج اجتمعت حوله الجموع لما يرونه من حلاوة منطقه وعذوبة لفظه وقال آخر نوثقه ونحبسه حتى يدركه ما أدرك الشعراء قبله من الموت فرفض هذا الرأي كسابقه لانهم قالوا ان الخبر لا يلبث أن يبلغ أنصاره ونحن أدرى الناس بمن دخل في دينه حيث يفضلونه على الآباء والابناء فاذا سمعوا ذلك جاؤا لتخليصه وربما جر هذا من الحرب علينا ما نحن في غنى عنه وقال لهم طاغيتهم بل نقتله ولنمنع بنى أبيه من الاخذ بثاره ناخذ من كل قبيلة شاباً جلداً يجتمعون امام داره فاذا خرج ضربوه ضربة رجل

واحد فيتفرق دمه في القبائل فلا يقدر بنو عبد مناف على حرب قريش كلهم بل يرضون بالدية فأقروا على هذا الرأي وهذا مكرهم ولكن ارادة الله فوق كل ارادة فاعلم نبيه بما دبره الاعضاء في سرهم وأمره بالحق بدار هجرته بدار فيها ينتشر الاسلام ويكون فيها لرسول الله صلى الله عليه وسلم العزة والمنعة وهذا من الحكمة بمكان عظيم فانه لو انتشر الاسلام بمكة لقال المبغضون ان قريشاً أرادوا ملك العرب فعمدوا الى شخص منهم وأوعزوا اليه أن يدعى هذه الدعوى حتى تكون وسيلة لنوال ما ربههم ولكنهم كانوا له أعداء الداء آذوه شديد الاذى حتى اختار الله له مفارقة بلادهم والبعاد عنهم فتوجه من ساعته الى صديقه أبي بكر وأعلمه ان الله قد أذن له في الهجرة فسأله أبو بكر الصحبة فقال نعم ثم عرض عليه احدى راحتيه اللتين كانتا معدتين لذلك فلم يرض عليه السلام الا بالثمن ثم جهزاهما أحث الجهاز وصنعت لهما سفرة في جراب فقطعت أسماء بنت أبي بكر نطاقها وربطت به على فم الجراب واستأجرا رجلاً من بني الديل وهو من بني عدى هادياً ماهراً وهو على دين كفار قريش فأمناه ودفعنا اليه راحتيهما وواعده

غار ثور بعد ثلاث ليال ثم فارق الرسول عليه السلام أبا بكر
وواعدته المقابلة ليلاً خارج مكة وكانت هذه الليلة هي ليلة
استعداد القرشيين لتنفيذ ما أقرؤا عليه فاجتمعوا حول باب
الدار ورسول الله داخله فلما جاء ميعاد الخروج أمر ابن عمه
علياً بالمبيت مكانه كي لا يقع الشك في وجوده أثناء الليل فانهم
كانوا يرددون النظر من شقوق الباب ليعلموا وجوده ثم سجد
علياً ببردته وخرج على القوم وهو يقرأ (وجعلنا من بين هجرة المصطفى
أيديهم سداً ومن خلفهم سداً فاغشيناهم فهم لا يبصرون)
فالتقى الله النوم عليهم حتى لم يره منهم أحد ولم يزل عليه السلام
سائراً حتى تقابل مع الصديق وسارا حتى بلغا غار ثور فاختفيا
فيه أما المشركون فلما علموا بفساد مكرهم وأنما باتوا يحرسون
على بن أبي طالب لا محمد بن عبد الله هاجت عواطفهم فأرسلوا
الطلب من كل جهة وجعلوا الجوائز لمن يأتي بمحمد أو يدل
عليه وقد وصلوا في طلبهم الى ذلك الغار الذي فيه طلبتهم
بحيث لو نظر أحدهم تحت قدميه لنظرهما حتى أبكى ذلك أبا
بكر فقال له عليه السلام (لا تحزن ان الله معنا) فأعمى الله أبصار
المشركين حتى لم يحن لاحد منهم التفاتة الى ذلك الغار بل

صار أعدى الأعداء أمية بن خلف يبعد لهم اختفاء المطلوبين في مثل هذا الغار فأقاما فيه ثلاث ليال حتى ينقطع الطيب وكان يبيت عندهما عبدالله بن أبي بكر وهو شاب ثقف للقم فدخل من عندهما بسحر فيصبح مع قرين بمكة كبأت بها فلا يسمع أصرا يكتاد ان به الاوعاه حتى يأتيهما بخبر ذلك حين يختلط الظلام وكان عامر بن فهيرة يروح عليهما بقطعة من غنم يرعاها حين تذهب ساعة من العشاء ويغدو بها عليهما فاذا خرج من عندهما عبد الله تبع أثره عامر بالغنم كيلا يظهر لقدميه أثر ولما انقطع الطيب خر جا بعد ان جاءهما الدليل بالرحلتين صبح ثلاث وسارا متبعين طريق الساحل وفي الطريق لحقهم طالبا سراقه بن جعشم وكان قد رأى رسل مشركي قريش يجعلون في رسول الله وأبي بكر دية كل واحد منهما لمن قتله أو أسره فبينما هو في مجلس من مجالس قومه بني مدلج اذا قبل رجل منهم حتى قام عليهم وهم جلوس فقال ياسراقه اني رأيت آنفا أسودة بالساحل أراها محمداً وأصحابه فعرف سراقه أنهم هم ولكنه أراد أن يثني عزم مخبره عن طلبهم فقال انك رأيت فلاناً وفلاناً انطلقوا بأعيننا يتبعون ضالة

لهم ثم لبث في المجلس ساعة وقام وركب فرسه ثم سار حتى
دنا من الرسول ومن معه فعمرت به فرسه فخر عنها ثم ركبها
ثانياً وسار حتى صار يسمع قراءة المصطفى وهو لا يلتفت وأبو بكر
يكثر الالتفات فساخت قوائم فرس سراقه في الارض حتى
بلغتا الركبتين فخر عنها ثم زجرها حتى نهضت فلم تكدر تخرج
يديها حتى سطع لآثرهما غبار ساطع في السماء مثل الدخان فعلم
سراقه أن عمله ضائع سدى وداخله رعب عظيم فزادها بالامان
فوقف عليه السلام ومن معه حتى جاءهم ويقول سراقه
وفع في نفسي حين لقيت مالفيت أن سيظهر أمر رسول الله
فقلت ان قومك قد جعلوا فيك الدية وأخبرهم بما يريد بهم
الناس وعرض عليهم الزاد والمتاع فلم يأخذ منه شيئاً بل قال
له اخف عنا فسأله سراقه أن يكتب له كتاب أمن فامر عامر
ابن فهيرة فكتب وبذلك انقضت هذه المشكة التي أضر الله
فيها مزبذعنايته برسوله وكان أهل المدينة حينئذ سمعوا
بمخرج رسول الله وقدومه عليهم فخرجوا إلى الحرة حتى
يردهم حر الظهيرة فانقلبوا يوماً بعد ان أطلوا انتظارهم فلما
آووا إلى بيوتهم آووا إلى رجل من يهود على أطرافهم

لامر ينظر اليه فبصر برسول الله وأصحابه يزول بهم السراب
يظهرهم تارة ويخفيهم أخرى فقال اليهودى بأعلى صوته
يا معشر العرب هذا حظكم الذى تنتظرون فثاروا الى السلاح
فتلقوا رسول الله بظهر الحرة فعدل بهم ذات اليمين حتى
نزل بهم فى بنى عمرو بن عوف بقاء وذلك يوم الاثنين لاثنتى
عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الاول وهذا أول تاريخ جديد (١)
لظهور الاسلام بعد أن مضى عليه ثلاث عشرة سنة وهو
مضيق عليه من مشركى قريش ورسول الله ممنوع من الجهر
بعبادة ربه أما الآن فقد آواه الله هو وصحابته رضوان الله
عليهم بعد أن كانوا قليلاً يخطفهم الناس وبهذه الهجرة تمت
لرسولنا سنة اخوانه من الانبياء قبله فما من نبي منهم الا نبت
به بلاد نشأته فهاجر عنها من ابراهيم أبى الانبياء و خليل الله
الى عيسى كلمة الله وروحه كلهم على عظيم درجاتهم ورفعة

هجرة الانبياء

(١) لما أراد المسلمون فى خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب وضع التاريخ
جعلوا مبدأ من هذه الهجرة الشريفة ولعدم المخالفة بين بدء الهجرة
وبدء السنة الهلالية قدموا ميعاد الهجرة شهرين واثنى عشر يوماً وجعلوا
بدء الهجرة من محرم سنتها

مقامهم أهينوا من عشائرهم فصبروا ليكونوا مثلاً لمن
يأتى بعدهم من متبعيهم في الثبات والصبر على المكاره مادام
ذلك في طاعة الله فسل مصر وتاريخها تنبئك عن اسرائيل
(يعقوب) وبنيه انهم هاجروا اليها حيناً رأوا من بنيتها رحباً
بهم وتركهم وما يعبدون اكراماً ليوسف وحكمته ولما مضت
سنون نسي فيها المصريون تدبير يوسف وفضله عليهم فاضطهدوا
بنى اسرائيل وآذوهم خرج بهم موسى وهارون ليتمكنوا
من اعطاء الله حقه في عبادته وهرب المسيح عليه السلام من
اليهود حينما كذبوه فارادوا الفتك به حتى كان من ضمن تعاليمه
لتلامذته (طوبى للمطرودين من أجل البر لان لهم ملكوت
السموات) ثم قال بعد (افرحوا وتهللوا لان أجركم عظيم في
السموات فانهم هكذا طردوا الانبياء الذين قبلكم) وسأل
القرى التي حلت بها نعمة الله لكفر أهلها كديار لوط وعاد
وثنود تنبئك عن مهاجرة الانبياء منها قبل حلول النعمة فلا
غربة ان هاجر عليه السلام من منعه أهلها بلاد من تميم ما أراد
الله (سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلاً)

هذا ولنين المك مجمل مادعا اليه الرسول عليه السلام اعمال مكة

بمكة من أصول الدين وذلك أمران (الاول) الاعتقاد بوحدة نية الله وأن لا يشرك معه في العبادة غيره سواء كان ذلك الغير صنما كما يفعل مشركو مكة أو ابناً أو زوجة أو بنتاً كما عليه بعض الطوائف الاخرى كالنصارى ولولا الاعتقاد بوحدة اية الاله ما كلف أحد نفسه تكاليف الحياة من آداب الاخلاق بل كان يسير فيما تأمره به نفسه من شهواتها وملذاتها مادام ذلك خافياً عن الناس (الثاني) الاعتقاد بالبعث والنشور وان هناك يوماً ثانياً للانسان يجازى فيه على ما صنعه في الدنيا ان خيراً نفيراً وان شراً فشر وعلى هذين الامرين جاء غالب الآى المبكية فقلما ترى سورة من سور مكة الا ورأيتها مشحونة بالاستدلال عليهما وتوبيخ من تركهما وكل ذلك بأساليب نأخذ بالعقل وبراهين لا تحتاج لفلسفة الذين يشغلون أنفسهم بما لا طائل تحته مما يضيع الوقت سدى ولما نزل عليه السلام بقاء نزل على شيخ بن عمرو كلثوم بن الحدم وكان يجلس للناس ويتحدث لهم في بيت سعد بن خيشمة لانه كان عزباً ونزل أبو بكر بالسنج (محلة بالمدينة) على خارجة بن زيد وأقام رسول الله بقاء بضعة عشرة ليلة اسس فيها مسجد بقاء

الذى وصفه الله بأنه مسجد أسس على التقوى من أول يوم
وصلى فيه عليه السلام بمن معه من الانصار والمهاجرين
وهم آمنون مطمئنون وكانت المساجد على عهد رسول الله
في غاية من البساطة ليس فيها شئ مما اعتاده بناء المساجد في
القرون الاخيرة لان الرسول وأصحابه لم يكن جل همهم الا منصرفاً
لتزيين القلوب وتنظيفها من حظ الشيطان فكان سور المسجد
لا يتجاوز القامة وفوفة مظلة يتقى بها حر الشمس (ثم) تحول
عليه السلام الى المدينة والانصار محيطون به متقلدين سيوفهم
وهنا حدث عن سرور أهل المدينة ولا حرج فكان عليهم
يوماً سعيداً لم يُروا فرحين بشئ فرحهم برسول الله وخرج
النساء والصبيان والولائد يقطن

الوصول الى
المدينة

أشرق البدر علينا * من ثنيات الوداع

وجب الشكر علينا * ما دعا لله داع

أيها المبعوث فينا * جئت بالامر المطاع

وكانت الناس تسير وراء رسول الله ما بين ماش وراكب
يتنازعون زمام ناقته كل يريد أن يكون نزله وأدركته عليه
السلام صلاة الجمعة في بني سالم بن عوف فنزل وصلاها

ورجعه

وهذه أول جمعة له عليه السلام ثم سار وكلم امر على دور من دور الانصار يتضرع اليه أهلها بأن ينزل عندهم ويأخذون بزمام الناقة فيقول دعوها فانها مأمورة ولم تزل سائرة حتى أتت بفناء بنى عدى بن النجار وهم أخواله الذين تزوج منهم هاشم جده فبركت بمحلة من محلاتهم أمام دار أبى أيوب الانصارى واسمه خالد بن زيد وذلك محل مسجده الشريف فقال عليه السلام ههنا المنزل ان شاء الله (رب أنزلنى منزلاً مباركاً وأنت خير المنزلين) فاحتمل أبو أيوب رحله ووضعها فى منزله وجاء أسعد بن زرارة فاخذ بزمام ناقته فكانت عنده وخرجت ولائد بنى النجار يقطن

النزول على
ابى أيوب

نحن جوار بنى النجار • يا حبذا محمد من جار

فقال عليه السلام لمن أتجيبنى فقلن نعم فقال الله يعلم ان قلبى يحبكن واختار عليه السلام النزول فى الدور الاسفل من دار أبى أيوب ليكون أريح لوائريه ولكن لم يرض رضى الله عنه ذلك كرامة لرسول الله لما يمكن ان يصيبه من التراب الذى يحدثه وطء الاقدام او الماء الذى يهراق فقد حصل ان كسرت من زوجته جرة ماء بالليل فقام هو وهى بقطيفتهما التى ليس لهما غيرها

يمسحان الماء خوفاً على رسول الله ولذلك لم يزل أبو أيوب يستعطفه حتى كان في العلو وكانت تأتيه الجفان كل ليلة من سراة الانصار كسعد بن عباد وأسمد بن زرارة وأم زيد بن ثابت فسا من ليلة الا وعلى بابہ الثلاث او الاربع من جفان الثريد ولما تحول مع رسول الله أغلب المهاجرين تنافس فيهم الانصار فحكموا القرعة بينهم فما نزل مهاجري على أنصاري الا بقرعة ومن يتأمل الى هذه المحبة التي يستحيل ان تكون بتأثير بشر بل بفضل من الله ورحمته يفهم كيف اتصرو هؤلاء الاقوام على معانديهم من المشركين وأهل الكتاب مع قلة العدد والمدة وكان الانصار يؤثرون اخوانهم المهاجرين على انفسهم وهذا أعلى درجات الاخوة حتى عرض سعد بن الربيع على عبد الرحمن بن عوف ان يتنازل له عن احدى زوجتيه وكل ذلك كانوا يرونه قليلاً بالنسبة لما وجب عليهم لاخوانهم فان رسول الله عليه السلام ليتمكن بينهم الاخاء آخى بين المهاجرين والانصار فكان كل أنصاري ونزله أخوين في الله ومن العبث ان نكلف القلم بأن يوضح للقارى ان هذه الاخوة كانت أرقى بكثير من الاخوة العصبية بل نحل ذلك

نزل
المهاجرين

اخوة الاسلام

الاحساس الاسلامي فانه أفصح منطقاً من القلم وعلى الاجمال
قتلك فلوب ألف الله بينها حتى صارت شيئاً واحداً في أجسام
متفرقة وعسى أن يوفق الله مسلمي عصرنا الى هذا الاخاء
حتى يسودوا كما ساد المتحدون وكان هذا الاخاء على المواساة
واحق وان يتوارثوا بعد الموت دون ذوى الارحام وكان
عليه السلام يقول لكل اثنين (تاخوا في الله أخوين أخوين) ودام
هذا الميراث الى ان نسخ الله بقوله (وأولو الارحام بعضهم
اولى ببعض في كتاب الله)

ولما استقر عليه السلام بالمدينة أرسل زيد بن حارثة
وأبا رافع الى مكة ليأتيا بمن تخلف من أهله وأرسل معهما عبد
الله بن أريقط يدلهما على الطريق فقدموا بفاطمة وأم كلثوم
بنتيه عليه السلام وسودة زوجته وأم أيمن زوج زيد وابنها
أسامة أما زينب فمنعها زوجها أبو العاص بن الربيع وخرج مع
الجميع عبد الله بن أبي بكر بأم رومان زوج أبيه وعائشة أخته
وأسماء زوج الزبير بن العوام وكانت حاملاً بابنها عبد الله وهو
أول مولود للمهاجرين بالمدينة ولم يكن هواء المدينة في البدء
موافقاً للمهاجرين من أهل مكة فأصاب كثيراً منهم الحمى وكان

هجرة أهل
البيت

حمى المدينة

رسول الله يعودهم فلما شكوا اليه الامر قال اللهم حبب الينا المدينة كما حببت اليها مكة وأشد وبارك لنا في مدها وفي صاعها وانقل وباءها الى الجحفة فاستجاب الله لجل وعلا دعوته وعاش المهاجرون في المدينة بسلام

ومنع مشركو مكة بعضاً من المسلمين عن الهجرة وحبسوهم وعذبوهم منهم الوليد بن الوليد وعياش بن ربيعة وهشام بن العاص فكان عليه السلام يدعو لهم في صلاته وهذا أصل القنوت وقد حصل في اوقات مختلفة ومحلات في الصلاة مختلفة فكان في وتر العشاء وصلاة الصبح بعد الركوع وقبله فروى كل صحابي ما رآه وهذا سبب اختلاف الأئمة

ثم شرع عليه السلام في بناء مسجده في مبرك ناقه أمام محلة بني النجار وكان محله مربداً للتمر يملكه غلامان يتيان في حجر أسعد بن زرارة فدعا الغلامين وساومهما المربد ليتخذه مسجداً فقالا بل نهيه لك يا رسول الله فأبى عليه السلام أن يقبله منهما هبة بل ابتاعه منهما وكان فيه قبور للمشركين وبعض حفر ونخل فامر بالقبور فنبشت وبالحفر فسويت وبالنخل فقتلع ثم أمر باتخاذ اللبن فاتخذ وشرعوا في البناء به وجعلوا

منع
المنضعين

السنة الاولى
بناء المسجد

عضادتي اللباب من الحجارة وسقفوه بالجريد وجعلت عمده
من جذوع النخل ولا يزيد ارتفاعه عن القامة الا قليلاً وقد
عمل فيه رسول الله بنفسه ليرغب المسلمين في العمل وصاروا
يرتجزون وهو يقول معهم * اللهم لاخير الاخير الاخرة
* فارحم الانصار والمهاجرة وجعلت قبة المسجد الى بيت
المقدس وجعل له ثلاثة أبواب ثم حصبت أرضه لان المطر
كان قد اثر فيه فامر عليه السلام بحصبه ولم يزين المسجد
بفرش حتى ولا بالحصر وبنى بجانبه حجرتان احدهما لسودة
بنت زمعة والاخرى لعمالة ولم يكن عليه السلام متزوجاً غيرهما
اذ ذاك وكانت الحجرتان مجاورتين وملاصقتين للمسجد على
شكل بنائه وصارت الحُجرات تبنى كلما جاءت زوجة

بدء الاذان

اوجب الله الصلاة على المسلمين ليكونوا دائماً متذكّرين عظمة
العلی الا على فيتبعون او امره ويحْتَنِبُونَ نواهيهِ ولذلك قال في
محكم كتابه (ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر) وجعل افضل
الصلاة ما كان جماعة ليذاكر المسلمون بعضهم بعضاً في شؤونهم
واحتياجاتهم ويقوون روابط الالفة والاتحاد بينهم ومتى حان
وقت الصلاة لابد من عمل ينبه الغافل ويذكر الساهي حتى

يكون الاجتماع عاماً فأنتم النبي عليه الصلاة والسلام مع الصحابة فيما يفعل لذلك فقال بعضهم نرفع راية اذا حاز وقت الصلاة ليراها الناس فلم يرتضوا ذلك لانها لا تفيد النائم ولا الغافل وقال آخرون نشعل نارا على مرتفع من الهضاب فلم يقبل ايضاً واثار آخرون يوق وهو ما كانت اليهود تستعمله لصلواتهم فكرمه رسول الله لانه لم يكن يحب تقليد اليهود في عمل ما واثار بعضهم بالناقوس وهو ما تستعمله النصراني فكرمه الرسول ايضاً واثار بعضهم بالنداء فيقوم بعض الناس اذا حانت الصلاة وينادي بها فقبل هذا الرأي وكان أحد المنادين عبد الله بن زيد الانصاري فبينما هو بين النائم واليقظان اذ عرض له شخص وقال الا اعلمك كلمات تقولها عند النداء بالصلاة قال بلى فقال له قل الله اكبر الله اكبر مرتين وتشهد مرتين ثم قل حي على الصلاة مرتين ثم حي على الفلاح مرتين ثم كبر ربك مرتين ثم قل لا اله الا الله فلما استيقظ توجه الى النبي صلى الله عليه وسلم واخبره خبر رؤياه فقال انها لرؤيا حق ثم قال له لئن ذلك بلالاً فانه اندى صوتاً منك وبينما بلال يؤذن اذ جاء عمر يجر رداءه فقال والله لقد

رأيت مثله يارسول الله وكان بلال أحد مؤذنيه بالمدينة والآ خر
عبد الله ابن أم مكتوم وكان بلال يقول في أذان الصبح بعد
حى على الفلاح الصلاة خير من النوم مرتين وأقره الرسول
على ذلك وكان عليه السلام يأمر فى فجر رمضان بأذانين أولهما
يوقظ به الغافلون حتى يتبهبوا للسحور والثانى للصلاة أما
الاقامة وهى الدعوة للصلاة فى المسجد فقد اختلفت الروايات
فى نصها فرواها الامام الشافعي مفردة الا لفظ قد قامت
الصلاة فثنى ورواها الامام مالك مفردة كلها ورواها الامام
أبو حنيفة مثنى كلها (هذا) وكما انبى الله المسلمين فى مكة بمشركى
قريش ابتلاهم فى المدينة يهودها وهم بنو قينقاع وقريظة
والنضير فانهم اظهروا المداوة والبغضاء حسداً من عند أنفسهم
من بعد ما تبين لهم انه الحق وكانوا قبل محبى الرسول يستفتحون
على المشركين من العرب اذا شبت الحرب بين الفريقين
بنبي يبعث قد قرب زمانه فلما جاءهم ما عرفوا استعظم
رؤساؤهم ان تكون النبوة فى ولد اسماعيل فكفروا بما
أنزل الله بغيا مع انهم يرون ان رسول الله محمداً لم يأت الا
مصدقاً لما بين يديه من كتب الله التى أنزلها على من سبقه

سورة مدية

من المرسلين مييناً ما أفسد التأويل منها ولكنهم نبذوه وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون ومما عابوه على الاسلام نسخ الاحكام وما دروا ان القادر العليم يعلم ما يحتاجه الانسان أكثر منهم فانه ميال بطبعه للترقى والرسول عليه السلام وجد بادی بدء بين جماعة من العرب أميين ليسوا على شئ من الاعتقادات الالهية فكانت الحكمة داعية لان يكون التشريع لهم على التدرج لانه لو حرم الله عليهم شرب الخمر وعدم أكل الربا وأمرهم بالصلاة والزكاة وهكذا الى آخر الاوامر والمناهي التي جاء بها الشرع الاسلامي لما أجابه احد من هؤلاء النافرة قلوبهم المختلفة هواؤهم الذين كانوا منغمسين في كثير من الاضاليل فجاءهم رسول الله عليه الصلاة والسلام بالامر شيئاً فشيئاً حتى روضت عقولهم وهذبت نفوسهم وكانت الاحكام لا ينزلها الله عليه الا عقب الحوادث التي تقتضيها ليكون التأثير على النفوس أشد ولكن اليهود أرادوا على يد القدرة عن ان تفعل الا ما يشتهون وقد حججهم القرآن الشريف بما يدل على انهم يعلمون من أنفسهم البعد عن الحق فقال (قل ان كانت لكم لدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس

فتمنوا الموت ان كنتم صادقين) ثم حتم جبل ذكره عدم
اجابتهم بقوله (ولن يتمنوه أبداً بما قدمت أيديهم والله عليم
بالظالمين) فلو كانوا يعلمون من انفسهم انهم على الحق لما تأخروا
عما طلب منهم مع سهولته وحرصهم على تكذيب الصادق
الامين ولم يتقل لنا عن أحد منهم انه تمنى ذلك ولو نطقاً
باللسان وقد تبين الهدى لاحد رؤساء بني قينقاع وهو عبد
الله بن سلام فترك هواه وأسلم بعد ان سمع القرآن وبعد ان
كان اليهود يعدونه من رؤسائهم عدوه من سفهاهم حينما
بلغهم اسلامه فيابئس ما اشتروا لانفسهم ولما استحكمت في
قلوبهم عداوة الاسلام صاروا يجهدون انفسهم في اطفاء نوره
(ويأبى الله الا ان يتم نوره ولو كره الكافرون) (وكان) يساعدهم
على مقاصدهم جماعة من عرب المدينة اعصى الله بصائرهم
فاخفوا كفرهم خوفاً على حياتهم ويرأس هذه الجماعة عبد
الله بن أبي بن سلول الخزرجي ولا شك ان ضرر المنافقين
اشد على المسلمين من ضرر الكفار لان اولئك يدخلون بين
المسلمين فيعلمون اسرارهم ويشيعونها بين الاعداء من اليهود
وغيرهم كما حصل ذلك مراراً والاساس الذي كان عليه رسول

المنافقون

الله أن يقبل ما ظهر ويترك لله ما بطن ولكنه عليه السلام مع ذلك كان لا يأمنهم في عمل ما فكثيراً ما كان يتغيب عن المدينة ويولى عليها بعض الانصار ولكن لم يعهد أنه ولى رجلاً ممن عهد عليه النفاق لانه عليه السلام يعلم ما يكون منهم لو وُلُوا عملاً فانهم بلا شك يتخذون ذلك فرصة لاضرار المسلمين وهذا درس مهم لرؤساء الاسلام يعلمهم أنهم لا يثقون في الاعمال المهمة الا بمن لم تظهر عليهم شبهة النفاق أو اظهر ما يخالف ما في الفتواد هذا وقد علمت انه كان يضاد المسلمين في المدينة فتان اليهود والمنافقون ولكن الرسول قبل من هؤلاء ظواهرهم وعقد مع أولئك عهداً مقتضاه ترك الحرب معاهدة اليهود والاذى فلا يحاربهم ولا يؤذيهم ولا يعينون عليه أحداً ومن دهمه بالمدينة عدو ينصرونه وأقرهم على دينهم

قد علم مما تقدم أن رسول الله عليه السلام لم يكن يقاتل أحداً على الدخول في الدين بل كان الامر قاصراً على التبشير والانذار وكان الله سبحانه ينزل عليه من الآي ما يقويه على الصبر أمام ما كان يلاقه من أذى قريش ومن ذلك (فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل ولا تستعجل لهم) وكان

مشروعية القتال

كثيراً ما يقص الله عليه أنباء اخوانه من المرسلين قبله ايثبت به فؤاده ولما ازداد طغيان أهل مكة أُلجؤه الى الخروج من دياره بعد أن ائتمروا على قتله فكانوا هم البادئين بالعداء على المسلمين بأن أخرجوهم من ديارهم بغير حق فبعد الهجرة أذن الله للمهاجرين بقتال مشركي قريش بقوله (أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله) ثم أمرهم بذلك في قوله (وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تمتدوا إلى الله لا يحب الممتدين واقتلوهم حيث ثقتهموهم وأخرجوهم من حيث أخرجوكم والفتنة أشد من القتل ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه فإن قاتلوكم فاقتلوهم كذلك جزاء الكافرين فإن انتهوا فإن الله غفور رحيم وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله فإن انتهوا فلا عدوان إلا على الظالمين) وبذلك لم يكن الرسول يتعرض إلا لقريش دون سائر العرب فلما تملاً على المسلمين غير أهل مكة من مشركي العرب واتحدوا عليهم مع الأعداء أمر الله بقتال المشركين كافة بقوله (وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم

كافة) وبذلك صار الجهاد عاماً لكل من ليس له كتاب من الوثنيين وهذا مصداق قوله عليه السلام (أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فاذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم الا بحقها وحسابهم على الله) ولما وجد المسلمون من اليهود خيانة للعهد حيث انهم ساعدوا المشركين في حروبهم أمر الله بقتالهم بقوله (واما تخافن من قوم خيانة فانبذ اليهم على سواء ان الله لا يحب الخائنين) وقتالهم واجب حتى يدينوا ويعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون ليؤمن المسلمون جانبهم وصار قتال رسول الله الاعداء على هذه المبادئ الآتية

(١) اعتبار مشركي قريش محاربين لانهم يدؤا بالعدوان فصار للمسلمين قتالهم ومصادرة تجارتهم حتى يأذن الله بفتح مكة أو تعقد هدنة وقتية بين الطرفين

(٢) متى رأى من اليهود خيانة وتحيز للمشركين قاتلوا حتى يؤمن جانبهم بالنبي أو القتل

(٣) متى تعدت قبيلة من العرب على المسلمين أو ساعدت قريشاً قاتلت حتى تدين بالاسلام

(٤) كل من بادء بعداوة من أهل الكتاب كالنصارى
قوتلوا حتى يذعن بالاسلام أو يعطى الجزية عن يده وهو صاغر
(٥) كل من أسلم فقد عصم دمه وماله الا بحسابه

والاسلام يقطع ما قبله

وقد أنزل الله في القرآن الكريم كثيراً من الآى
تحريضاً على الاقدام فى قتال الاعداء وتبعيدها عن القرار من
الزحف فقال فى الموضوع الاول (فليقاتل فى سبيل الله
الذين يشرّون الحياة الدنيا بالآخرة ومن يقاتل فى سبيل
الله فيقتل او يغلب فسوف نؤتيه أجراً عظيماً) وقال فى
الموضوع الثانى (يا أيها الذين آمنوا! اذا لقيتم الذين كفروا
زحفاً فلا تولوهم الادبار ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفاً
لقتال او متحيزاً الى فئة فقد باء بغضب من الله وماواه جهنم
وبئس المصير)

بدء القتال

تعودت قريش ان تذهب بتجارتها الى الشام لتبيع
وتبتاع ويسمى الركب السائر بهذه التجارة عيراً وكان
يسير معها لحراستها كثير من أشراف القوم وسراهم ولابد
لوصولهم الى الشام من المرور على دار الهجرة فرأى رسول

اللهان يصادر تجارتهم ذاهبة وآية ليكون في ذلك عقاب
لمشركى مكة حتى تضعف قوتهم المالية فيكون ذلك أدعى
لخذلانهم في ميدان القتال الذى لا بد وان يكون لان قريشاً
لم تكن لتسكت عن سفه أحلامهم وعاب عبادتهم خصوصاً
وهم قدوة العرب في الدين ففي شهر رمضان أرسل عمه حمزة
ابن عبد المطلب في ثلاثين رجلاً من المهاجرين وعقد له لواء
أيض حملة ابو مرثد حليف حمزة ليعترض عيرا لقريش آية
من الشام فيها ابو جهل وثلاثمائة من أصحابه المشركين فسار
حمزة حتى وصل ساحل البحر من ناحية العيص فصادف العير
هناك فلما تصافوا للقتال حجز بين الفريقين مجزى بن عمرو
الجهني فأطاعوه وانصرفوا وشكر عليه السلام مجدياً على عمله
لما كان من قلة عدد المسلمين وكثرة عدوهم

وفي شوال أرسل عبيدة بن الحارث ابن عم حمزة في
ثمانين راكباً من المهاجرين وعقد له لواء أيض حملة مسطح
ابن أثالة ليعترض عيرا لقريش فيها مائتا رجل فوافوا العير

السرية قطعة من الخيش وزيد بها كل غزاة لم يكن فيها رسول

الله والتي كان فيها غزوة

بيطن رابع فكان بينهم الرمي بالنبل ثم خاف المشركون ان يكون للمسلمين كين فاهزموا ولم يتبعهم المسلمون وفر من المشركين الى المسلمين المقداد بن الاسود وعتبة بن غزوان وكنا قد أسلموا وخرجوا ليلحقا بالمسلمين

وفيات

وفي هذه السنة توفي من المهاجرين عثمان بن مظعون أخو رسول الله من الرضاع اسلم قديماً وهاجر الهجرتين ولما دفن أمر عليه السلام بأن يرش قبره بالماء ووضع على قبره حجراً وقال أتعلم به قبر أخى وأدفن اليه من مات من أهلى وهذا كان القصد من وضع الاحجار على المقابر لئلا يقصده أهل العصور الاخيرة من تشييد الهياكل على القبور وتصويرها بصور ترى فى عين الناظر كالاصنام لئلا تآكل الميت ويصنعون عندها احتفالات كثيرة ما تشبه ما كان يفعلوه مشركو مكة عند معابدهم ومن العبث فعل شئ لم يفعله رسول الله مما يتعلق بأشياء الآخرة

ومات من الانصار أسعد بن زراة أحد النقباء الاثنى عشر كان رضى الله عنه نقيب بنى النجار ولما مات اختار رسول الله نفسه للنقابة عليهم لان ابن أخت القوم منهم ومات ايضاً

البراء بن معرور احد النقباء وهو الذي كان يتكلم عن القوم في
العقبة الثانية ومات من مشبكى مكة في هذه السنة الوليد بن
المغيرة ولما احتضر جزع فقال له ابو جهل ما جزعك يا عم
فقال والله ما بى من جزع من الموت ولكن اخاف ان يظهر
دين ابن ابى كبشة بمكة فقال ابو سفيان لا تخف انى ضامن
ان لا يظهر وفيها مات العاصى بن وائل السهمى وقد كفى
الله المسلمين شر هذين الشقيين

ولا تثنى عشرة ليلة خات من صفر السنة الثانية خرج
رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة بعد ان استخلف عليها
سمعد بن عباد ايعترض عيرا القریش فساد حتى بلغ ودان وهي
فرية بين مكة والمدينة بينها وبين الابواء ستة اميال وكان يحمل
لواءه ممة حمزة ولم يلق هناك حرباً لان الهير كانت قد سبقته
وفي هذه الغزوة صالح بنى ضمرة على انهم آمنون على انفسهم
ولهم النصر على من راءهم وان عليهم نصرة المسلمين اذا دُعوا
ثم رجع الى المدينة بعد مضى خمس عشرة ليلة

غزوة بواط

ولم يمض على رجوعه غير قليل حتى بلغه ان عيرا القریش
آبسة من الشام فيها أمية بن خلف ومائة من قریش وألفان

وخمسمائة بعير فصار اليها في مائتين من المهاجرين وذلك في ربيع الاول وكان يحمل لواءه سعد بن ابى وقاص فصار حتى بلغ بواط وهو جبل ينبع فوجد العير قد فاته فرجع ولم يلق كيداً وذلك كله لما كان يأخذه المشركون من الخذر على انفسهم والاجتهاد في نعمة اخبارهم عن اهل المدينة

وأعقب رجوعه عليه السلام خروج فريش باعظم عيرها فقد جمعوا فيها اموالهم حتى لم يبق بمكة قرشي أو قرشية لها مثقال فصاعد الا بعثت به في تلك العير وكان يرأسها ابو سفيان ابن حرب ومعه بضعة وعشرون رجلاً فخرج لها الرسول في جمادى الاولى ومعه مائة وخمسون من المهاجرين واستخلف على المدينة أباسلمة بن عبد الاسد وحمل لواءه عمه حمزة ولم يزل سائراً حتى بلغ العشيرة وهي موضع بطريق ينبع فوجد العير قد مضت وحالف عليه السلام في هذه الغزوة بنى مذبح وحلفاءهم ثم رجع عليه السلام الى المدينة ينتظر هذه العير حينما ترجع

وبعد رجوعه عليه السلام بقليل جاء كرز بن جابر الفهري وأغار على سرح المدينة وهرب فخرج الرسول في طلبه

غزوة بدر
الاولى

واستخلف على المدينة زيد بن حارثة الانصارى وحمل لواءه
 على بن أبى طالب فسار حتى بلغ سفوان وهو واد من ناحية
 بدر وفاته كرز فلم يلق حرباً وتسمى هذه الغزاة بدر الاولى
 وفى رجب من هذه السنة أرسل سرية عدتها ثمانى
 رجال يرأسها عبد الله بن جحش وأعطاه أمراً مختوماً لا
 يفرضه الا بعد أن يسير يومين ثم ينظر فيه فسار عبد الله
 يومين ثم فتح الكتاب فاذا فيه (اذا نظرت كتابى هذا فامض
 حتى تنزل نخلة فتصد بها قریشاً وتعلم لنا من أخبارهم) وانما
 لم يخبرهم عليه السلام بمقصدهم وهم بالمدينة حذراً من شيوع
 الخبر فيدل عليهم أحد الاعداء من المنافقين أو اليهود فتصد
 لهم قریش ولا يخفى أن عدد السرية قليل لا تمكنه المقاومة ثم سار
 عبد الله رضى الله عنه وفى أثناء السير تخلف سعد بن أبى وقاص
 وعتبة بن غزوان لانهما أضلا بغيرهما الذى كانا يعقبانه وسار
 الباقيون حتى وصلوا نخلة فمرت بهم غير قرشية تريد مكة فيها
 عمرو بن الحضرمي وعثمان بن عبد الله بن المغيرة وأخوه نوفل
 والحكم بن كيسان فاجمع المسلمون أمرهم على أن يحملوا
 عليهم ويأخذوا ما معهم فحملوا عليهم فى آخر يوم من رجب

فقتلوا عمرو بن الحضرمي وأسروا عثمان والحكم وهرب
نوفل واستاقوا العير وهي أول غنيمة غنمها المسلمون من
أعدائهم قریش ثم رجعوا ولم يتمكن المشركون من الاحاق بهم
فلما قدموا المدينة وشاع أنهم قاتلوا في الاشهر الحرم وعابتهم
قریش واليهود بذلك غنهم المسلمون وقال لهم عليه السلام
ما أمرتكم بقتال في الاشهر الحرم فندموا فأنزل الله (ويستلونك
عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير وصد عن سيل
الله وكفر به والمسجد الحرام وأخرج أهله منه أكبر عند الله
والفتنة أكبر من القتل) فسرى عنهم وقد طلب المشركون
فداء أسيريهما فقال عليه السلام حتى يرجع سعد وعتبة فلما
رجعا قبل عليه السلام القعدة في الاسيرين فاما الحكم بن
كيسان فأسلم وحسن اسلامه وبقي مع المسلمين وأما عثمان
فلاحق بمكة كافراً

نحويل القبلة مكث عليه بالمدينة السلام ستة عشر شهراً يستقبل بيت المقدس
في صلاته وكان يجب ان تكون قبلته الكعبة ويقلب وجهه في
السماء داعياً الله بذلك فيينا هو في صلاته اذ أوحى الله اليه
بتحويل القبلة الى الكعبة فتحول وتحول من ورائه وكانت هذه

الحادثة سبباً لاقتتان بعض المسلمين الذين ضعفت قلوبهم
فارتدوا على أعقابهم وقد أكثر اليهود من التنديد على الاسلام
بهذا التحويل وما دروا ان الله المشرق والمغرب يهدي من
يشاء الى صراط مستقيم

وفي شعبان من هذه السنة أوجب الله صوم شهر صوم رمضان
رمضان على الامة الاسلامية وكان عليه السلام قبل ذلك يصوم
ثلاثة أيام من كل شهر والصيام من دعائم هذا الدين والفرائض
التي بها يتم النظام فان الانسان مجبول على حب نفسه والسعي
فيما يعود عليها بالنفع الخاص تاركاً ما وراء ذلك من حاجات
الضعفاء والمساكين فلا بد من وازع يزرعه لحاجات قوم أقمعتهم
قواهم عن ادراك حاجاتهم ولا أقوى من ذوق قوارص
الجوع والعطش اذ بهما تلين نفسه وتهذب خلقه فيسهل عليه
بذل الصدقات ولذلك أوجب الشارع الحكيم عقب الصوم
زكاة الفطر فترى الانسان يبذلها بسخاء نفس ومحبة خالصة
وفي هذا العام فرضت زكاة الاموال وهذه هي النظام
الوحيد الذي به يأكل الفقراء والمساكين من اخوانهم الاغنياء
بلا ضرر على هؤلاء فاذا بلغت الدنانير عشرين او الدراهم

صدقة الفطر

زكاة المال

أربعمائة و حال عليها الحول و جب عليك ان تؤدى ربع عشرها
 اى اثنين ونصفا فى كل مائة وما زاد فبحسابه و اذا بلغت الشياه
 أربعين او البقر عشرين او الابل خمسا و حال عليها الحول و جب
 عليك كذلك ان تؤدى منها جزءاً مخصوصاً حدده الشارع
 ومثلها عروض التجارة و محصولات الزراعة كل هذا يقبضه
 الامام و يوزعه على مستحقيه من الفقراء و المساكين و بقيه
 المذكورين فى آية الصدقة و اللبيب العاقل البعيد عن التعصب
 يحكم لاول نظرة ان هذا النظام مع عدم اضراره بالاغنياء
 مقل لمصائب الفقر التى ألبأت كثيراً من فقراء الامم ان
 يخالفوا نظام دولهم و يؤسسوا مبادئ تقويض العمران و تداعى
 الا من كما يفعله الاشتراكيون و غيرهم

غزوة بدر
 الكبرى

لم يطل العهد بتلك العير العظيمة التى خرج لها عليه
 السلام و هى متوجهة الى الشام فلم يدركها و لم يزل مترقباً
 رجوعها فلما سمع برجوعها ندب اليها اصحابه و قال هذه عير
 قريش فاخرجوا اليها لعل الله ان يفلحكموها فاجاب قوم و ثقل
 آخرون لظنهم ان الرسول عليه السلام لم يرد حرباً فانه لم
 يحتفل بها بل قال من كان ظهره حاضراً فليركب معنا و لم

ينتظر من كان ظهره غائباً فخرج لثلاث ليال خلون من رمضان
 بعد ان ولى على المدينة عبد الله ابن أم مكتوم وكان معه ثلثمائة
 وثلاثة عشر رجلاً مائتان واربعون من الانصار والباقيون
 من المهاجرين ومعهم فرسان وسبعون بعيراً يعقبونها والхамل
 للواء مصعب بن عمير ولما علم ابوسفيان بخروج الرسول استأجر
 راكباً ليأتى قريشا ويخبرهم الخبر فلما علموا بذلك ادركتهم حميتهم
 وخافوا على تجارتهم فنفروا سراغاً ولم يتخلف من اشرافهم الا
 ابو لهب فانه ارسل بدله العاص بن هشام بن المغيرة واراد
 أمية بن خلف ان يتخلف لحديث حدثه اياه سعد بن معاذ حينما
 كان معتمراً بعد الهجرة بقليل حيث قال سمعت من رسول
 الله يقول انهم قاتلوك قال بمسكة قال لا ادرى ففزع لذلك
 وحلف ان لا يخرج فعابه ابو جهل ولم يزل به حتى خرج قاصداً
 الرجوع بعد قليل ولكن ارادة الله فوق كل ارادة فان منيته ساقته
 الى حتفه بالرغم عن انفسه وكذلك عزم جماعة من الاشراف
 على القعود فعيب عليهم ذلك وبهذا اجمعت رجال قريش على
 الخروج فخرجوا على الصعب والذلول امامهم القينات يفتنين
 بهجاء المسلمين وزين لهم الشيطان اعمالهم وقال لا غالب لكم

اليوم من الناس وقد ضرب الله عمل الشيطان هذا مثلاً يعتبر به ذوو الرأي من بعدهم فقال (كمثل الشيطان اذ قال للانسان اكفر فلما كفر قال انى برىء منك انى اخاف الله رب العالمين) وهكذا كان عمله فى هذه الواقعة فانه لما تراءت القفتان نكص على عقبيه وقال انى برىء منكم فى ارى ما لا ترون انى أخاف الله والله شديد العقاب وكان عدة من خرج من المشركين تسعمائة وخمسين رجلاً منهم مائة فرس وسبعمائة بعير (أما) رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يكن يعرف شيئاً مما فعله المشركون ولم يكن خروجه الا للعر فعمسكريدوت السقبا خارج المدينة واستعرض الجيش فرد من ليس له قدرة على الحرب ثم أرسل اثنين ينجسان الاخبار عن العير ولما بلغ الروحاء وهى على بعد أربعين ميلاً من الجنوب الغربى للمدينة جاءه الخبر بمسير قريش لمنع عيرهم وجاءه مخبراه بأن العير ستصل بداراً غداً أو بعد غد فجمع عليه السلام كبراء الجيش وقال لهم (أيها الناس ان الله قد وعدنى احدى الطائفتين أنها لكم العير أو النفير) فتبين له عليه السلام ان بعضهم يريدون غير ذات الشوكة وهى العير ليستعينوا بما فيها من الاموال

فقد قالوا هلاً ذكرت لنا القتال فنستعد ثم قام المقداد ابن الاسود رضى الله عنه فقال يا رسول الله امض لما أمرك الله فوالله لا نقول لك كما قالت بنو اسرائيل لموسى (اذهب أنت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون) ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا انا معكما مقاتلون والله لوسرت بنا الى برك الغماد لالذنا معك من دونه حتى تبلغه فدعا له بخير ثم قال عليه السلام أشيروا على أيها الناس وهو يريد الانصار لان بيعة العقبة ربما يفهم منها انه لا يجب عليهم نصرته الا ما دام بين أظهرهم فان فيها يا رسول الله انا براء من ذمتك حتى تصل الى دارنا فاذا وصلت اليها فانت في ذمتنا نمنعك مما نمنع منه أبناءنا ونساءنا فقال سعد بن معاذ كانك تريدنا يا رسول الله فقال أجل فقال سعد قد آمننا بك وصددناك وأعطيناك عهدنا فامض لما أمرك الله فوالذى بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لنخوضه معك وما نكره ان تكون تلقى العدو بنا غدا انا لصبر عند الحرب حسن عند اللقاء ولعل الله يريك منا ما تقر به عينك فمر على بركة الله فأشرق وجهه عليه السلام وسر بذلك وقال (ابشروا والله لكأني أنظر الى

مصارع القوم) فعلم القوم من هذه الجملة ان الحرب لا بد حاصلة
وحقيقة فان أبا سفيان لما علم بخروج المسلمين له ترك الطريق
المسلوكة وسار متبعا ساحل البحر فنجأ وارسل الى قريش
يعلمهم بذلك ويشير عليهم بالرجوع فقال أبو جهل لا نرجع
حتى نحضر بدرًا فنقيم فيه ثلاثًا نخر الجزر ونظم الطعام ونسقي
الحمر وتسمع بنا العرب فلا يزالون يهابونا أبدًا فقال الأخنس
ابن شريق الثقفي لبني زهرة وكان حليفًا لهم ارجعوا يا قوم فقد
نجى الله أموالكم فرجعوا ولم يشهد بدرًا زهري ولا عدوى
ثم سار الجيش حتى وصلوا وادي بدر فنزلوا عدوته
القصوى عن المدينة في أرض سهلة لينية أما جيش المسلمين
فانه لما قارب بدرًا أرسل عليه السلام على بن أبي طالب والزبير
ابن العوام ليعرفا الاخبار فصادا فسقاة لقريش فيهم غلام
لبني الحجاج وغلام لبني العاص فأتيا بهما والرسول قائم يصلى
ثم سألاهما عن أنفسهما فقالا نحن سقاة لقريش بعثونا نسقيهم
الماء فضر باهما لانهما ظنا أن المسلمين لا يبي سفیان ولما أتم
الرسول صلاته قال اذا صدقاكم ضربتموها واذا كذباكم
تركتموها صدقا والله انهما لقريش ثم قال لهما أخبراني عن

قريش قالوا هم وراء هذا الكشيبي فقال لهما كم هم فقالوا لا ندري قال كم ينحرون كل يوم قال يوماً تسعاً ويوماً عشرة قال القوم ما بين التسعمائة والالف ثم سألهما عن في النفير من اشراف قريش فذكر له عدداً عظيماً فقال عليه السلام لاصحابه هذه مكة قد آلت اليكم أفلا ذكبتها ثم ساروا حتى نزلوا بعدوة الوادي الدنيا من المدينة بعيداً عن الماء في أرض سبخة فاصبح المسلمون عطاشاً بعضهم جنب وبعضهم محدث فخذتهم الشيطان بوسوسته ولولا فضل الله عليهم ورحمته لذهبت غزائهم فانه قال لهم ما ينتظر المشركون منكم الا أن يقطع العطش رقابكم ويذهب قواكم فيتحكموا فيكم كيف شاؤوا فأرسل الله لهم الغيث حتى سال الوادي فشربوا واتخذوا الحياض على عدوة الوادي واغتسلوا وتوضؤوا وملؤا الاسقية ولبدت الارض حتى ثبتت عليها الاقدام على حين ان كان هذا المطر مصيبة على المشركين فانه وحل الارض حتى لم يعودوا يقدررون على الارتحال وقد أرى الله رسوله في منامه الاعداء كما أراهوه وقت اللقاء قبل العدة كيلا يفشل المسلمون وليقضى الله أمراً كان مفعولاً ثم سار جيش المسلمين حتى نزل أدنى ماء من بدر فقال له الحباب

ابن المنذر الانصارى وكان مشهوراً بجودة الرأى يا رسول الله أهذا منزل أنزلكه الله ليس لنا أن نتقدم عنه أو نتأخر أم هو الرأى والحرب والمكيـدة فقال بل هو الرأى والحرب والمكيـدة فقال يا رسول الله ليس لك هذا بمـنزل فانهض بالناس حتى تأتى أدنى ماء من القوم فأنى أعرف غزارة مائه وكثرته فتنزله وتؤور ماعده من الآبار ثم نبى عليه حوضاً فتملوه ماء فشرب ولا يشربون فقال الرسول عليه السلام لقد أشرت بالرأى ونهض حتى أتى أدنى ماء من القوم ثم أمر بالآبار التى خلفهم فغورت لينقطع أمل المشركين فى الشرب من وراء المسلمين وبنى حوضاً على القلب الذى نزل عليه ثم قال له سعد بن معاذ سيد الأوس يا نبي الله الانبى لك عريشاً تكون فيه ونعد عندك ركائبك ثم نلقى عدونا فان أعزنا الله تعالى وأظهرنا على عدونا كان ذلك ما أحببنا وان كانت الاخرى جلست على ركائبك فلحقمت بمن وراءنا فقد تخلف عنك أقوام يا نبي الله ما نحن بأشدك حبا منهم ولا أطوع لك منهم لهم رغبة فى الجهادونية ولو ظنوا انك تلقى حرباً ما تخلفوا عنك انما ظنوا انها العير يمنعك الله بهم ويناصحونك

ويجاهدون معك فقال عليه السلام أو يقضى الله خيراً من ذلك ثم بنى للرسول عريش فوق تل مشرف على ميدان الحرب ولما اجتمعوا عدل عليه السلام صفوفهم مناكبهم متلاصقة فصاروا كأنهم بنيان مرصوص ثم نظر لقريش فقال (اللهم هذه قريش قد أقبلت بخيلائها وفخرها تحاذك وتكذب رسولك اللهم فنصرك الذي وعدتني به) وفي هذا الوقت وقع خلف بين رؤساء سكر المشركين فان عتبة بن ربيعة أراد أن يمنع الناس من الحرب ويحمل دم حليفه عمرو بن الحضرمي الذي قتل في سرية عبد الله بن جحش ويحمل ما أصيب من غيرهم ودعا الناس الى ذلك فلما بلغ أبا جهل الخبر وسمه بالجهن وقال والله لا ترجع حتى يحكم الله بيننا وبين محمد وقبل ان تقوم الحرب على ساقها خرج من صفوف المشركين الاسود بن عبد الاسد المخزومي وقال أعاهد الله لا شرب من حوضهم ولا هدم منه أولاء وتن دونه فخرج اليه حمزة وضربه ضربة قطع بها قدمه بنصف ساقه فوقع على ظهره فزحف على الحوض حتى اقتحم فيه ليبر بقسمه فاتبعه حمزة فقتله ثم وقف عليه السلام يحرض الناس على اثبات والصبر

وكان فيما قال (وان الصبر في مواطن البأس مما يفرج الله به
 الهم وينجي به من الغم) ثم ابتدأ القتال بالمبارزة فخرج من
 صفوف المشركين ثلاثة نفر عتبة بن ربيعة بين أخيه شيبة
 وابنه الوليد فطلبوا أكفاءهم فخرج اليهم ثلاث من
 الانصار فقالوا لا حاجة لنا بكم انما نريد أكفاءنا من بني
 عمناء فخرج لهم عليه السلام عبيدة بن الحارث للاول وحمزة
 ابن عبد المطلب للثاني وعلي بن أبي طالب للثالث فاما حمزة
 وعلي فقتلا صاحباهما وأما عبيدة وعتبة فاختلفا بضربتين كلاهما
 جرح صاحبه فحمل رفيقا عبيدة على عتبة فأجهزا عليه وحمل
 عبيدة من بين الصفوف جريحا يسيل مخ ساقه وأضجعوه الى
 جانب موقفه صلى الله عليه وسلم فأفرشه رسول الله قدمه
 الشريف فوضع خده عليها وبشره عليه السلام بالشهادة فقال
 وددت والله ان أبا طالب كان حيا ليعلم اننا أحق منه بقوله
 ونسلمه حتى نصرع حوله * ونذهل عن أبنائنا والحلائل
 وبعد انقضاء هذه المبارزة وقف عليه السلام بين الصفوف
 يعدلها بقضيب في يده فمر بسواد بن غزية حليف بني النجار
 وهو خارج من الصف فضربه بالقضيب في بطنه وقال استقم

ياسود فقال اوجعتني يا رسول الله وقد بعثت بالعدل فأقذني
من نفسك فكشف الرسول عن بطنه وقال استقد ياسود
فاعتقه سواد وقبل بطنه فقال عليه السلام ماحمك على ذلك
فقال يا رسول الله قد حضر ماترى فاردت ان يكون آخر العهد
أن يس جلدى جلدك فدعاه له بخير ثم ابتدأ عليه السلام يوصي
الجيش فقال (لا تحملوا حتى آمركم وان اكتفتكم القوم فانضحوهم
بالنبل ولا تسلوا السيوف حتى يغشوكم) ثم حضهم على الصبر
والثبات ثم رجع الى عريشه ومعه رفيقه أبو بكر وحارسه
سعد بن معاذ واقف على باب العريش متوشح سيفه وكان
من دعاء الرسول ذاك الوقت (اللهم أنشدك عهدك ووعدك
اللهم ان شئت لم تعبد) فقال أبو بكر حسبك فان الله سينجز لك
وعدك فخرج عليه السلام من العريش وهو يقول (سيهزم
الجمع ويولون الدبر) ثم قال عليه السلام يحرض الجيش (والذي
نفس محمد بيده لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابراً محتسباً
مقبلاً غير مدبر الا أدخله الله الجنة ومن قتل قتيلاً فله سلبه)
فقال عمير بن الحمام ويده تمرات يأكلها يخ ما بيني وبين
أن أدخل الجنة الا ان يقتلني هؤلاء ثم قذف التمرات من يده

واخذ سيفه وقاتل حتى قتل ثم اشتد القتال وحمى الوطيس
وأيد الله المسلمين بالملائكة بشرى لهم ولتطمئن به قلوبهم
فلم تكن الساعة حتى هزم الجمع وولوا الدبر وتبعهم المسمون
يقتلون ويأسرون فقتل من المشركين نحو السبعين منهم
من قريش عتبة وشيبة ابنا ربيعة والوليد بن عتبة وقد
قتلوا مبارزة أول القتال وأبو البجترى بن هشام والجراح والد
أبي عبيدة قتله ابنه بعد أن ابتعد عنه فلم يزدجر وقتل أمية بن
خلف- وابنه على اشترك في قتلها جماعة من الانصار مع بلال
ابن رباح وعمار بن ياسر وقد سميا في ذلك لما كان يفعله بهما
أمية في مكة ومن القتل حنظلة بن أبي سفيان وابو جهل بن
هشام اثخنه قتيان صغيران من الانصار لما كانا يسمعانه من انه
كان شديد الايذاء لرسول الله واجهز عليه عبد الله بن مسعود
وقتل نوفل بن خويلد قتله على بن ابي طالب وقتل عبيدة
والعاصي ولدا ابي احبيحة سعيد بن العاص بن أمية وقتل
كثيرون غيرهم اما الاسرى فكانوا سبعين ايضاً قتل منهم
عليه السلام وهو راجع عقبه بن ابي معيط والنضر بن الحارث
الذين كانا بمكة من أشد المستهزئين

وقد أمر عليه السلام بالقلبي فنقلوا من مصارعهم التي كان الرسول أخبر بها قبل حصول الموقعة إلى فليب بدولانه عليه السلام كان من سنه في مغازيه اذا مر بحقيقة انسان أمر بها فدفنت لا يسأل عنه مؤمناً أو كافراً ولما أتى عتبة والد أبي حذيفة أحد السابقين إلى الاسلام تغير وجه ابنه ففظن الرسول لذلك فقال لملك دخلك من شأن أبيك شيء فقال لا والله ولكن كنت اعرف من أبي رأياً يؤولحاً وفضلاً فكنت ارجو ان بهديه الله الاسلام فلما رأيت مامات عامه أحزنى ذلك فدعا له الرسول بخير ثم أمر عليه السلام براحله فشد عاها حتى قام على شفة القلب الذي رمى فيه المشركون فجعل يناديهم بأسمائهم وأسماء آبائهم يا فلان ابن فلان ويا فلان ابن فلان ابسر كم انكم كنتم أطعمتم الله ورسوله فانا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً فهل وجدتم ما وعد ربكم حقاً فقال عمر يا رسول الله ما تكلم من أجساد لا أرواح فيها فقال انهم الآن يعلمون ان ما كنت أقول لهم حق هكذا روت عائشة قالت يعلمون ذلك حينما تبوؤا مقاعدهم من النار ثم أرسل عليه السلام المبشرين فأرسل عبد الله بن رواحة لاهل العالية

وأرسل زيد بن حارثة لاهل السافلة راكباً على ناقية رسول الله وكان المنافقون والكفار من اليهود قد أرجفوا بالرسول والمسلمين عادة الاعداء في اذاعة الضراء يقصدون بذلك فئنة المسلمين فجاء أولئك المبشرون بما سر أهل المدينة وكان ذلك وقت انصرفهم من دفن رقية بنت رسول الله وزوج عثمان ثم قتل رسول الله راجعاً وهنا وقع خلف بين بعض المسلمين في قسمة الغنائم فالشبان يقولون بأشرنا القتل فهي لنا خالصة والشيخوخ يقولون كنا رداء لكم فنشارككم ولما كان هذا الاختلاف مما يدعو الى الضعف ويزرع في القلوب العداوة والبغضاء المؤديين الى تشتت الشمل أنزل الله حسماً لهذا الخلاف (يسئلونك عن الانفال قل الانفال لله والرسول فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم وأطيعوا الله ورسوله ان كنتم مؤمنين) فسطع على افئدتهم نور القرآن فتألفت بعد ان كادت تفترق وتركوا امر الغنائم لرسول الله يضعها كيف شاء كما حكم القرآن فقسمها عليه السلام على السواء الراجل مع الراجل والفارس مع الفارس وادخل في الاسهام بعض من لم يحضر لامر كلف به وهم أبو لبابة الانصاري لانه كان

مخلفاً على اهل المدينة والحارث بن حاطب لان الرسول خلفه
على بنى عمرو بن عوف ليحقق امراً بلغه والحارث بن الصمة
وخوات بن جبير لانهما كسرا بالروحاء فلم يتمكننا من السير
وطاحه بن عبيد الله وسعيد بن زيد لانهما أرسلتا يتجسسان
الاخبار فلم يرجعا الا بعد انتهاء الحرب وعثمان بن عفان لان
الرسول خلفه على ابنته رقية يمرضها وعاصم بن عدى لانه خلفه
على اهل قباء والعالية وكذلك اسهم لمن قتل بيدر وهم أربعة
عشر منهم عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم
الذى جرح فى المبارزة الاولى فانه رضى الله عنه مات عند
رجوع المسلمين من بدر ودفن بالروحاء ولما قارب عليه
السلام المدينة تلقته الولا ئد بالدفوف يقطن

أشرق البدر علينا * من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا * ما دعا لله داع
أيها المبعوث فينا * جئت بالامر المطاع

ولما دخلوا المدينة استشار عليه السلام أصحابه فيما يفعل
بالاسرى فقال عمر بن الخطاب يا رسول الله قد كذبوك
وقاتلوك وأخرجوك فأرى أن تمكننى من فلان لنسيب له

اسرى بدر

فأضرب عنقه وتمكن حمزة من أخيه العباس وعلياً من أخيه
عقيل وهكذا حتى يُعلم أنه ليس في قلوبنا مودة للمشركين
ما أرى أن تكون لك أسرى فاضرب أعناقهم هؤلاء صناديدهم
وأئمتهم وقادتهم ورافقه على ذلك سعد بن معاذ وعبد الله بن
رواحة وقال أبو بكر يا رسول الله هؤلاء أهلاك وقومك قد
أعطاك الله الظفر والنصر عليهم أرى أن تستبقهم وتأخذ
الفداء منهم فيكون ما أخذنا منهم قوة لنا على الكفار وعسى
أن الله يهديهم بك فيكونوا لك عضداً فقال عليه السلام إن
الله ليلين فلوب أقوام حتى تكون ألين من اللين وإن الله
ليشد قلوب أقوام حتى تكون أشد من الحجارة وإن مثلك
يا أبا بكر مثل إبراهيم قال (فمن اتبعني فانه مني ومن عصاني
فانك غفور رحيم) وإن مثلك يا عمر مثل نوح قال (رب لا
تذر على الأرض من الكافرين دياراً) ورأى عليه السلام رأى
أبي بكر بعد أن مدح كلا من الصاحبين لأن الوجهة واحدة وهي
اعزاز الدين وخذلان المشركين ثم قال لأصحابه أتم اليوم
عالة فلا يفلتن أحد من أسراكم إلا بفداء وقد بلغ قریشاً ما
عزم عليه الرسول في أمر الأسرى فتاحت على القنلى شهراً

الفداء

ثم أشير عليهم من كبارهم أن لا يفعلوا كيلا يبلغ محمدا وأصحابه
جزعهم فيسئمتوا بهم فسكتوا وصمموا ان لا يبكوا قتلاهم
حتى يأخذوا بثأرهم وتواصوا فيما بينهم ان لا يعجلوا في طلب
الفداء لئلا يتغالى المسلمون فيه فلم يلتفت الى ذلك المطالب
ابن أبي وداعة السهمي وكان أبودمن الاسرى فخرج خفية
حتى أتى المدينة وفدى أباه بأربعة آلاف درهم وعند ذلك
بعثت قريش في فداء أسراها وكان من أربعة آلاف الى ألف
درهم ومن لم يكن معه فداء وهو يحسن القراءة والكتابة
أعطوه عشرة من غلمان المدينة يعلمهم وكان ذلك فداءه
(ومن) الاسرى عمرو بن أبي سفيان ولما طلب من أبيه
فداؤه أبى وقال والله لا يجمع محمد بين ابني ومالي دعوه
يمسكوه في أيديهم مابدا لهم فينما أبو سفيان بمكة اذ وجد سعد
ابن النعمان الانصاري معتمرا فعدا عليه فحبسه بابه عمرو فمضى
فوم سعد الى رسول الله وأخبروه الخبر فأعطاهم عمرا ففكوا
به سعدا (ومن) الاسرى أبو العاص بن الربيع زوج زينب
بنت الرسول وكان عليه السلام قد أثني عليه خيرا في مصاهرته
فانه لما استحكمت العداوة بين قريش ورسول الله بمكة

طلبوا من أبي العاص ان يطلق زينب كما فعل ابن ابي لهب
بابنتي الرسول فامتنع وقال والله لا أفارق صاحبتى وما أحب
ان لى بها امرأة من قريش ولما أسر أرسلت زينب في فدائه
قلادة لها كانت حلتها بها أمها خديجة ليلة عرسها فلما رأى
عليه السلام تلك القلادة رق لها رقة شديدة وقال لاصحابه
ان رأيتم ان تطلقوا لها أسيرها وتردوا عليها قلادتها فافعلوا فرضى
الاصحاب بذلك فاطلقة عليه السلام بشرط ان يترك زينب تهاجر
الى المدينة فلما وصل الى مكة أمرها بالاحاق بأبيها وكان الرسول
أرسل لها من يأتي بها فاحتملوها (هذا) ولما أسلم العاص بن
الربيع قبيل الفتح رد عليه امرأته بالنكاح الاول (ومن) الاسرى
سهيل بن عمرو كان من خطباء قريش وفسحاءها وطالما آذى
المسلمين بلسانه فقال عمر بن الخطاب دعنى يا رسول الله أنزع
ثنى سهيل يدلع لسانه فلا يقوم عليك خطيباً في موطن أبداً
فقال عليه السلام لا أمثل فيمثل الله بى وان كنت ندياً وعسى
أن يقوم مقاماً لا تدمه وقدم بفدائه مكرز بن حفص ولما
ارتضى معهم على مقدار حبس نفسه بدله حتى جاء بالفداء
هذا وقد حقق الله خبر الرسول في سهيل فانه لما مات عليه

السلام أراد أهل مكة الارتداد كما فعل غيرهم من الاعراب
فقام سهيل هذا خطيباً وقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه وصلى
على رسوله أيها الناس من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات
ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت ألم تعلموا ان الله
قال (انك ميت وانهم ميتون) وقال (وما محمد الا رسول
قد خلت من قبله الرسل أفأتئنم مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم)
ثم قال والله اني اعلم ان هذا الدين سيمتد امتداد الشمس في
طلوعها فلا يغيرنكم هذا (يريد أبا سفيان) من أنفسكم فانه
ليعلم من هذا الامر ما أعلم لكنه قد ختم على صدره حسد
بنى هاشم وتوكلوا على ربكم فان دين الله قائم وكلمته تامة وان
الله ناصر من نصره ومقو دينه وقد جمعكم الله على خيركم
(يريد أبا بكر) وان ذلك لم يزد الاسلام الا قوة فمن رأيناه
ارتد ضربنا عنقه فتراجع الناس عما كانوا عزموا عليه وكان
هذا الخبر من معجزات نبينا صلى الله عليه وسلم (ومن)
الاسرى الوليد بن الوليد افتكه اخواه خالد وهشام فلما
اقتدى ورجع الى مكة أسلم فقبل له هلاً أسلمت قبل الفداء
قال خفت ان يعبدوا اسلامي خوفاً ولما أراد الهجرة منعه

أخواه قفر الى النبي في عمرة القضاء (ومن) الاسرى السائب
ابن يزيد وكان صاحب الرابطة في تلك الحرب فدى نفسه وهو
الجند الخامس الامام محمد بن ادريس الشافعي (ومهم) وهب
ابن عمير الجمحي كان أبوه عمير شيطاناً من شياطين قریش
كثير الابداء لرسول الله جلس يوماً بعد انتهاء هذه الحرب
مع صفوان بن أمية ينذاكران مصاب بدر فقال عمير والله
لولا دين عليّ ليس عندى قضاؤه وعيال أخشى عليهم النقر
بعدى كنت أنى محمداً فأقتله فان ابني أسير فى أيديهم فقال له
صفوان دنك علىّ وعيالك مع عيالى فأخذ عمير سيفه وشجذه
وسمه وانطلق حتى قدم المدينة فبينما عمر مع نفر من المسلمين
اذ نظر الى عمير متوشحاً سيفه فقال هذا الكلب عدو الله ما
جاءه الا بشر ثم قال للنبي عليه السلام هذا عدو الله عمير قد
جاء متوشحاً سيفه فقال أدخله على فأخذ عمر بحمائل سيفه
وأدخله فلما رآه عليه السلام قال أطلقه يا عمر أذن يا عمير فدنا
وقال انعموا صباحاً فقال عليه السلام قد أبدلنا الله بتحية خير
من تحينك وهى السلام ثم قال ما جاء بك يا عمير قال جاءت
لهذا الاسير الذى فى أيديكم فاحسنوا فيه قال فما بال السيف

قال قبجها الله من سيوف وهل أغنت عنا شيئاً فقال عليه السلام أصدقني ما الذي جئت له قال ما جئت الا لذلك قال عليه السلام كلا بل قعدت أنت وصفوان في الحجر وقلتما كيت وكيت فاسلم عمير وقال كننا نكذبك بما نأتى به من خبر السماء وما ينزل عليك من الوحي وهذا أمر لم يحضره الا انا وصفوان فقال عليه السلام فقهوا أخاكم في دينه وأفرؤه القرآن واطلقوا أسيره فماد عمير الى مكة وأظهر اسلامه (ومن) الاسرى أبو غزير بن عمير أخو مصعب بن عمير م به أخوه فقال للذي أسره شديدك به فان أمه ذات متاع لعلها تقديه منك فقال لدا أخي هذه وصايتك بي بعثت أمه بفدائه أربعة آلاف درهم (ومن) الاسرى العباس بن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم كان قد خرج لهذه الحرب مكرها ولما وقع في الاسر طلب منه فداء نفسه وابن أخيه عقيل بن أبي طالب فقال علام ندفع وقد استكرهنا على الخروج فقال عليه السلام لقد كنت في الظاهر علينا فأخذت منه فدية نفسه وابن أخيه ثم قال للرسول لقد تركتني فقير قريش ما بقبت قال كيف وقد تركت لام الفضل أموالاً

وقالت لها ان مت فقد تركتك غنية فقال العباس والله ما
اطلع على ذلك أحد وهذا العمل غاية ما يفعل من العدل
والمساواة فانه عليه السلام لم يعاف عمه مع علمه بأنه انما
خرج مكرها وقد عانى غيره جماعة تحقق له فقرهم فهكذا
العدل ولا غرابة فذلك أدب قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا
كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم او الوالدين
والاقربين) (ومن) الاسرى أبوعزة الجمحي الشاعر كان
شديد الایذاء لرسول الله بمكة فلما أسرقا يا محمد انى فقير
وذوعيال وذوحاجة قد عرفتها فامنن على فمن عليه فضلاً منه
ولما تم الفداء أنزل الله فى شأنه (ما كان لنبى أن يكون
له أسرى حتى يثخن فى الارض تريدون عرض الدنيا والله
يريد الآخرة والله عزيز حكيم لولا كتاب من الله سبق
لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم) نهى سبحانه عن اتخاذ الاسرى
قبل الاثنان فى قتل الذين يصدون عن سبيل الله ويمنعون
دين الله عن الانتشار وعاب بعض المسامنين على ارادة عرض
الدنيا وهو الفدية ولولا حكم سابق من الله أن لا يعاقب
مجتهداً على اجتهاده مادام المقصد خيراً لكان العذاب ثم أباح

العقاب فى الفداء

لهم الاكل من تلك الفدية المبني أخذها على النظر الصحيح
وهذا من أقوى الأدلة على صدق نبينا عليه السلام فيما جاء به
لانه لو كان من عنده ما كان يعاتب نفسه على عمل عمله بناء
على رأى كثير من الصحابة وقد وعد الله الاسرى الذين يعلم
في قلوبهم خيراً بأن يؤتيهم خيراً مما أخذ منهم ويغفر لهم فقال
(يا أيها النبي قل لمن في أيديكم من الاسرى ان يعلم الله في
قلوبكم خيراً يؤتكم خيراً مما أخذ منكم ويغفر لكم والله
غفور رحيم) وهذه الغزوة هي التي أعز الله بها الاسلام وقوى
أهله ودمغ فيه الشرك وخرب محله مع قلة المسلمين وكثرة
عدوهم فهي آية ظاهرة على عناية الله تعالى بالاسلام وأهله
مع ما كان عليه العدو من القوة بسوابغ الحديد والعدة الكاملة
والخيل السومة والخيلاء الزائدة ولذلك قال الله ممتنا على عباده
بهذا النصر (ولقد نصركم الله بيدر وأنتم أذلة) أى قليل عدوكم
لتعلموا أن النصر انما هو من عند الله فهي أعظم غزوات
الاسلام اذ بها كان ظهوره وبعد وقوعها أشرق على الآفاق
نوره فقد قتل فيها من صناديد قريش من كانوا الاعداء الالاء
للإسلام ودخل الرعب في قلوب العرب الآخرين فكانت

للمسلمين هيبة بها يكسرون الجيوش وهزمون الرجال فلا
جرم ان شكرنا العلى الاعلى على هذه العناية واتخذنا يوم النصر
فى بدر وهو السابع عشر من رمضان عيداً نذكر فيه نعمة
الله على رسوله ولى المسلمين

غزوة قينقاع هذا واذا كان للشخص عدوان فانه على أحدهما
حركه ذلك شجوا الآخر وهاج فؤاده فتبدو بغضاؤه غير
مكترث بعاقبة عدائه وهذا ما حصل من يهود بنى قينقاع عند
تمام الظفر فى بدر فانهم بذوا ما عاهدوا المسلمين عليه وأظهروا
مكنون ضمائرهم فبدت البغضاء من أفواههم وانتهكوا حرمة
سيده من نساء الانصار وهذا مما يدعو المسلمين للتحريم منهم
وعدم ائتمانهم فى المستقبل ذاشت الحرب فى المدينة بين
المسلمين وغيرهم فانزل الله (واما تخافن من قوم خيانة فانبذوا)
اليهم على سواء ان الله لا يحب الخائنين (فدعا عليه السلام
رؤساءهم وحذرهم عاقبة البنى ونكث العهد فقالوا يا محمد

(١) أى فاطرح اليهم العهد على طريق مستو قصد بأن تطهر لهم بذ
العهود ولا تاجزهم الحرب وهم على توهم بقاء العهد لان ذلك خيانة
ولدا قال (ان الله لا يحب الخائنين)

لا بغرنك ما لقيت من قومك فانهم لا علم لهم بالحرب ولو
 لقيتنا لتعلمن انا نحن الناس وكانوا أشجع يهود فانزل الله (قل
 للذين كفروا ستغلبون وتحذرون الى جهنم وبئس المهاد فد
 كان لكم آية في فئتين النقتا فئة تقاتل في سبيل الله وأخرى
 كافرة يرونهم مثلهم رأى العين وان يؤيد نصره من يشاء
 ان في ذلك لعبرة لأولى الابصار) وعند ذلك تبرأ من
 حلفهم عبادة بن الصامت أحد رؤساء الخزرج وتشبث بالحلف
 عبد الله بن أبي وقال انى رجل أخشى الدوائر فانزل الله (بأيها
 الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء
 بعض ومن يتبرأهم منهم ان لا يهدى القوم
 الظالمين فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون
 نخشى أن تصيبنا دائرة فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من
 عنده فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم نادمين) وعند ما
 تظاهر يهود قينقاع بالعداوة وتحصنوا بحصونهم سار اليهم
 عليه السلام في نصف شوال من هذه السنة يحمل لواءه
 عمه حمزة وخلف على المدينة أبا لبابة الانصارى فحاصرهم
 خمس عشرة ليلة ولما رأوا من أنفسهم العجز عن مقاومة المسلمين

وأدركهم الرعب سألوا رسول الله أن يخلي سبيلهم فيخرجوا
 من المدينة ولهم النساء والذرية وللمسلمين الاموال فقبِل ذلك
 عليه السلام ووكّل بجلائهم عبادة بن الصامت وأمّهم ثلاث
 ليال فذهبوا الى أذرعات ولم يحل عليهم الحول حتى هلكوا
 كلهم وخمس عليه السلام أموالهم وأعطى سهم ذوى القربى
 لبنى هاشم ولبنى المطاب دون بنى أخويهما عبدشمس ونوفل
 ولما سئل عن ذلك قال إنما بنو هاشم وبنو المطلب شئ واحد
 فى الجاهلية والاسلام هكذا وشبك بين أصابعه

غزوة السويق كان أبو سفيان متّهباً لانه لم يشاهد بدرًا التى قتل فيها
 ابنه وذوو قريبه خلف ان لا يمس رأسه الماء حتى يغزو محمداً
 وليبر بقسمه خرج بمائتين من أصحابه يريد المدينة ولما قاربها
 أراد أن يقابل اليهود من بنى النضير ليهيّجهم ويستعين بهم على
 حرب المسلمين فأتى سيدهم حبي بن أخطب فلم يرض بمقابلته
 فأتى سلام بن مشكم فاذن له واجتمع به ثم خرج من عنده
 وأرسل رجالاً من قريش الى المدينة ففرقوا بعض نخلها
 ووجدوا انصارياً فقتلوه ولما علم بذلك رسول الله خرج
 أثرهم فى مائتين من أصحابه لخمس خلون من ذى الحجة بعد

ان ولى على المدينة بشير بن عبد المنذر ولكن لم يلحقهم لانهم
هربوا وجعلوا يخففون ما يحملونه ليكونوا أقدر على الاسراع
فالتقوا ما معهم من جرب السويق فأخذته المسلمون ولذلك
سميت هذه الغزوة بغزوة السويق

وفي هذا العام سن الله للعالم الاسلامى سنة عظيمة بها صلاة العيد
يتمكن أبناء البلدة الواحدة من المسلمين ان يجددوا عهود الاخاء
ويقووا عروة الدين الوثقى وهى الاجتماع فى يومى عيد الفطر
وعيد الاضحى وكان عليه السلام يجمع المسلمين فى صعيد
واحد ويصلى بهم ركعتين تضرعاً الى الله ان لا يفصم عروتهم
وان ينصرهم على عدوهم ثم يخطبهم حاضاً لهم على الائتلاف
ومذكراً لهم ما يجب عليهم لانفسهم ثم يصاصح المسلمون بعضهم
بعضاً وبعد ذلك يخرجون لأداء الصدقات للفقراء والمساكين
حتى يكون السرور عاماً لجميع المسلمين فبعد الفطر زكاته وبعد
الاضحى تضحيته نسأله تعالى ان يؤلف قلوبنا ويوفقنا لاعمال
سلفنا

وفي هذه السنة تزوج على بن أبى طالب وعمره احدى
وعشرون سنة بفاطمة بنت رسول الله وسنها خمس عشرة سنة
زواج على بفاطمة

وكان منها عقب رسول الله بنو الحسن والحسين وزينب (وفيهما)
دخل عليه السلام بعائشة بذئ، أبي بكر رسنها اذ ذاك تسع
سنوات

السنة النامية

يا ياقضى على الشقى بالشقاوة حتى لا يسمع ولا يبصر
فتخذ الغدر رداء والحيانة شعاراً فلا ينجح معه الا اراحة
العالم من شدة هذا كعب بن الاشرف اليهودى عظيم بنى
النضير أعمته عداوة المسلمين حتى خلع برقع الحياء وصار يحرض
قريشاً على حرب رسول الله ويهجو به بالشعر ويجهد فى اثاره
السحناء بين المسلمين فكما جبر عليه السلام كسراً هاضمه هذا
الشقى بما ينفقه من سموم لسانه ولما انتصر المسلمون ببدر
ورأى الاسرى مفرنين فى الحبال خرج الى قبرش بسكى
قتلاه ويحرضهم على حرب المسلمين فقال عليه السلام من
الكعب بن الاشرف فانه قد آذى الله ورسوله فقال محمد بن
مسلمة الانصارى الاوسى أئحب ان أقتله قال نعم قال أنا لك
به وائذن لى ان اقول شيئاً أتمكن به فاذن له ثم خرج ومعه
أربعة من قومه حتى أتى كعباً فقال له ان هذا الرجل (يريد
رسول الله) فد سألنا صدقة وانه قد عنانا وانى قد أتيتك

قتل كعب بن
الاشرف

استسلفك قال ايضاً والله ليملنهُ قال انا قد اتبعناه فلا نحب ان ندعه حتى ننظر الى اى شئ يصير شأنه وقد أردنا ان تسلفنا وسقاوا وسقين قال نعم ولكن ارهنوني قالوا اى شئ تريد قال ارهنوني نساءكم قالوا كيف زهنتك نساءنا وأنت اجمل العرب قال فارهنوني ابناءكم قالوا كيف زهنتك ابناءنا فيسب احدهم فيقال رهن يوسق أو وسقين هذا عار علينا ولكن زهنتك السلاح فرضى فواعده ليلاً ان يأتيه فيجاءه ليلاً ومعه أبو نائلة اخو كعب من الرضاع وعباد بن بشر والحارث بن أوس وابو عبس بن جبر وكلهم أوسيون فناده محمد بن مسلمة فاراد أن ينزل فقالت له امرأته اين تخرج الساعة وانك امرؤ نحارب فقال انما هو اخي محمد بن مسلمة ورضيعي أبو نائلة ان الكريم لو دعى الى طعنة بليل لأجاب ثم قال محمد لمن معه اذا جاءنى فاني آخذ بشعره فاشمه فاذا رأيتونى تمكنت من رأسه فدونكم فاضربوه فنزل اليهم كعب متوشحاً سيفه وهو ينفح منه ريح المسك فقال محمد ما رأيت كالיום ريحاً طيباً أتأذن لى ان اشم رأسك قال نعم فشمه فلما استمكن منه قال دونكم فاقتلوه ففعلوا وأراح الله المسلمين من شر اعماله التي

كان يفصدها بهم ثم أتوا النبي فأخبروه وكان قتل هذا الشقي في ربيع الاول من هذا العام وكان عليه السلام اذا رأى من رئيس غدراً ومقاصد سوء ومحبة لاثارة الحرب أرسل له من يريجه من تهره وقد فعل كذلك مع ابى علفك اليهودى وكان مثل كعب في الشر

فهو عطف

بلغ رسول الله ان بنى نعلبة ومحارب من غطفان تجمعوا برياسة رئيس منهم اسمه دعثور يريدون الغارة على المدينة فاراد عليه السلام ان يغل ايديهم كيلا يتمكنوا من هذا الاعتداء فخرج اليهم من المدينة في اربعمائة وخمسين رجلاً اثنتى عشرة ليلة مضت من ربيع الاول وخلف على المدينة عثمان بن عفان وثنا سمعوا بسير رسول الله هربوا الى رؤس الجبال ولم يزل المسلمون سائرين حتى وصلوا ماء يسمى ذى أمر فعسكروا به وحدث انه عليه السلام نزع ثوبه يحففه من مطر لاه وارتاح تحت شجرة والمسلمون متفرقون فابصره دعثور فاقبل اليه بسيفه حتى وقف على رأسه وقال من يمنعك منى يا محمد فقال الله فادركت الرجل هيبة ورعب اسقطا السيف من يده فتناولوه عليه السلام وقال لدعثور من يمنعك منى قال لا احد

فغفا عنه فاسلم الرجل ودعا قومه للاسلام وحول الله قلبه من
عداوة رسول الله وجمع الناس لحربه الى محبته وجمع الناس له
ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء وهذا ما نتججه حسن المعاملة
والبعد عن الفظاظلة وغلظ القلب (فبما رحمة من الله لنت لهم
ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم
واستغفر لهم وشاورهم في الامر)

بلغه عليه السلام أن جمعاً من بنى سليم يريدون الغارة غزوة بجران
على المدينة فسار اليهم في ثلاثمائة من أصحابه لست خلون
من جمادى الاولى وخلف على المدينة ابن أم مكتوم ولما
وصل الى بجران وهو ماء من مياههم تفرقوا ولم يلق كيدا فرجع
لما تيقنت قریش أن طريق الشام من جهة المدينة أقفل سرية
في وجه تجارتهم ولا يمكنهم الصبر عنها لان بها حياتهم أرسلوا
غيراً الى الشام من طريق العراق وكان فيها جمع من قریش
منهم ابو سفيان بن حرب وصفوان بن امية وحويطب بن
عبد العزى فجاءت اخبارهم لرسول الله فارسل لهم زيد بن
حارثة في مائة راكب يترقبونهم وكان ذلك في جمادى الآخرة
فسارت السرية حتى لقيت العير على ماء اسمه القردة يناحية

نجد فاخذت المير وما فيها وهرب الرجال وقد خمس الرسول
 عليه السلام هذه المير حينما وصات له غزوة أحد
 لما صاب قريشاً ما أصابها ببدر واقفلت في وجوههم طرق التجارة
 اجتمع من بقي من اشرافهم الى أبى سفيان رئيس تلك المير اننى
 جلبت عليهم المصايب ولم تكن سلمت لاصحابها بعد فقالوا ان محمداً
 قد وترنا وانا رضىنا ان نترك ربح أموالنا فيها استعداداً للحرب
 محمد واصحابه وقد رضى بذلك كل من له فيها نصيب وكان
 ربحها نحواً من خمسين الف دينار فجمعوا لذلك الرجال فاجتمع
 من قريش ثلاثة آلاف رجل ومعهم الاحابيش وهم حلفاؤهم
 من بنى المصطلق وبنى الهون بن خزيمه ومعهم ابو عامر
 الراهب الاوسى وكان قد فارق المدينة كراهية في رسول الله
 صلى الله عليه وسلم ومعه عدد ممن هم على شاكلته وخرج معهم
 جماعات من اعراب كنانة وتهامة وقال صفوان بن امية لابي
 عزة الشاعر الذى لا ينسى القارىء ان الرسول من عليه ببدر
 واطلقه من غير فداء انك رجل شاعر فاعنّا بلسانك فقال انى
 عاهدت محمداً أن لا أعين عليه واخاف ان وقعت في يده مرة ثانية
 لا انجو فلم يزل به صفوان حتى أطاعه وذهب بنفر الناس

لحرب المسلمين ودعا جبير بن مطعم غلاماً حبشياً له اسمه وحشى وكان رامياً قلماً يخطى فقال له اخرج مع الناس فان انت قتلت حمزة بمعنى طعيمة فانت حر ثم خرج الجيش ومعهم القيان والدفوف والمعارف والخنور واصطحب الاشراف منهم نساءهم كيلا ينهم مواولم يزالوا سائرين حتى نزلوا مقابل المدينة بذي الحليفة أما رسول الله عليه السلام فكان قد بلغه الخبر من كتاب بعث به اليه عمه العباس بن عبد المطلب الذى لم يخرج مع المشركين فى هذه الحرب محتجاً بما اصابه يوم بدر ولما وصلت الاخبار باقتراب المشركين جمع عليه السلام اصحابه واخبرهم الخبر وقال ان رأيتم ان تقيموا بالمدينة وتدعوهم حيث نزلوا فان هم أقاموا أقاموا بشر مقام وان هم دخلوا علينا قاتلناهم فكان من رأيه شيوخ المهاجرين والانصار ورأى ذلك أيضاً عبد الله بن أبى أما الاحداث وخصوصاً من لم يشهد بدرًا منهم فأشاروا عليه بالخروج وكان من رأيهم حمزة بن عبد المطلب وما زال هؤلاء بالرسول حتى تبع رأيهم لانهم الاكثر عدداً والاقوى جلدافصلى الجمعة بالناس فى يومها لعشر خلون من شوال وحضهم فى خطبتها على الثبات

والصبر وقال لهم (لكم النصر ما صبرتم) ثم دخل حجرته ولبس
عدته فظاهر بين درعين وتقلد السيف وألقى الترس وراء
ظهره ولما رأى ذوو الرأي من الانصار أن الاحداث استكروها
الرسول على الخروج لا موهم وقالوا ردوا الامر لرسول الله
فما أمر ائتمرنا فلما خرج عليه السلام قالوا يا رسول الله نتبع
رايك فقال ما كان لابي لبس سلاحه أن يضعه حتى يحكم الله
بينه وبين أعدائه ثم عقد الالوية فاعطى لواء المهاجرين لمصعب
ابن عمير ولواء الخزرج لاجباب بن المنذر وخرج من المدينة
بألف رجل فلما وصلوا رأس الثنية نظر عليه السلام كتيبة كبيرة
فسأل عنها ف قيل هو لاء حلفاء عبد الله بن أبي من اليهود فقال
انا لا نستعين بكافر على مشرك وأمر بردهم لانه لا يأمن
جانبهم من حيث لهم اليد الطولى في الخيانة ثم استعرض
الجيش فرد من استصغر وكان فيمن رد رافع بن خديج وسمرة
ابن جندب ثم أجاز رافعاً لما قيل له انه رام فبكى سمرة وقال
لزوج أمه أجاز رسول الله رافعاً وردني مع اني أصرته فبلغ
رسول الله الخبر فامرهما بالمصارعة فكانت الغالب سمرة
فأجازه ثم بات عليه السلام محله ليلة السبت واستعمل على

حرس الجيش محمد بن مسلمة وعلى حرسه الخاص ذكوان
 ابن قيس وفي السحر سار الجيش حتى اذا كان بالشوط
 وهو بستان بين أحد والمدينة رجع عبد الله بن أبي ثلثةائة
 من أصحابه وقال عصاني وأطاع الولدان ملام نقتل أنفسنا
 فتبعهم عبد الله بن عمرو والد جابر وقال يا قوم اذكركم الله
 ان تخذلوا قومكم ونيكم قالوا لو نعلم فتالانا لابعناكم فقال
 لهم ابعداكم الله فسينفى الله عنكم نبيه ولما فعل ذلك عبد الله
 ابن أبي همت طائفتان من المؤمنين ان تفشلا بنو حارثة
 من الخرج وبنو سامة من الاوس فعصمهما الله وقد افترق
 المسلمون فرقتين فيما يفعلون بالمنخذاين فقوم يقولون
 نقاتلهم وقوم يقولون نتركهم فأنزل الله (فما لكم في المنافقين
 فئتين والله أركسهم بما كسبوا أتريدون أن تهدوا من أضل
 الله ومن يضل الله فلن تجدله سيلا) ثم نزل الجيش حتى
 نزل الشعب من أحد وجعل ظهره للجبل ووجهه
 للمدينة أما المشركون فنزلوا ببطن الوادي من قبل أحد
 وكان على ميمتهم خالد بن الوليد وعلى الميسرة عكرمة بن أبي
 جهل وعلى المشاة صفوان بن أمية فجعل عليه السلام الزير

ابن العوام بازاء خالد وجعل آخرين أمام الباقيين واستحضر
الرماة وكانوا خمسين رجلا يرأسهم عبدالله بن جبير الانصارى
فأوقفهم خلف الجيش على ظهر الجبل وقال لا تبرحوا ان
رأيتونا ظهرنا عليهم فلا تبرحوا وان رأيتوهم ظهوروا علينا
فلا تبرحوا ثم عدل عليه السلام الصفوف وخطب المسلمين
وكان فيما قال (ألقى في قلبى الروح الامين أنه لن تموت نفس
حتى تستوفى أقصى رزقها لا ينقص منه شئ واز أبطأ عنها
فانقوا ربكم واجملوا في طلب الرزق لا يحمانكم استبطاؤه ان
تظلموه بمعصية الله والمؤمن من المؤمن كالرأس من الجسد
اذا اشتكى تداعى له سائر جسده) ثم ابتدأ القتال بالمبارزة فخرج
رجل من صفوف المشركين فبرز له الزبير فقتله ثم حمل على
صاحب اللواء طلحة بن أبي طلحة فقتله فحمل اللواء اخوه عثمان
فقتله حمزة فحملة أخ لهما اسمه أبو سعيد فاصابه سعد بن أبي وقاص
بسهم قضى عليه فتناوب اللواء بعده أربعة من أولاد طلحة
ابن أبي طلحة وكلهم يقتلون وخرج من صفوف المشركين
عبد الرحمن بن أبي بكر يطلب البراز فاراد أبوه أن يبرز له
فقال له عليه السلام متمنا بنفسك يا أبا بكر ثم حملت خيالة

المشركين على المسلمين ثلاث مرات وفي كلها ينضحهم المسلمون بالنبل فينقهقرون ولما انقضى الصفوف وحيت الحرب ابتداءً نساء المشركين يضربن بالدفوف وينشدون الاشعار تهيباً لعواطف الرجال وكان عليه السلام كلما سمع نشيد النساء يقول (اللهم بك أحول وبك أصول وبك اقاتل حسبي الله ونعم الوكيل) وفي هذه الموقعة قتل حمزة بن عبد المطلب عم رسول الله سيد الشهداء غافله وحشى وهو يجول في الصفوف وضربه بحربة لم تخطى شأيا بطانه (هذا) ولما قتل حملة اللواء من المشركين ولم يقدر أحد على الدنومه ولوا الادبار ونساؤهم يبكين ويولولن وتبعهم المسلمون يجمعون الغنائم والاسلاب فلما رأى ذلك الرماة الذين يحمون ظهور المسلمين فوق الجبل قالوا ما لنا فى الوقوف من حاجة ونسوا أمر السيد الحكيم صلى الله عليه وسلم فذكرهم رئيسهم به فلم يلتفتوا وانطلقوا ينتهبون اما رئيسهم فثبت فلما رأى خالد بن الوليد أحد رؤساء المشركين خلوا الجبل من الرماة انطلق ببعض الجيش فقتل من ثبت من الرماة وأتى المسلمين من ورائهم وهم مشتغلون بديارهم فلما رأوا ذلك البلاء دهشوا وتركوا

ما بأيديهم وانتقضت صفوفهم واختلطوا من غير شعور حتى
 صار يضرب بعضهم بعضاً ورفعت إحدى نساء المشركين
 اللواء فاجتمعوا حوله وكان من المشركين رجل يقال له ابن قنفة
 قتل مصعب بن عمير صاحب اللواء وأشاع أن محمداً قد قتل
 فدخل الفشل في المسلمين حتى قال بعضهم علام نقاتل اذا
 كان محمد قد قتل فارجعوا الى قومكم يؤمنوكم وقال جماعة
 اذا كان محمد قد قتل فقاتلوا عن دينكم وكان من نتيجة هذا
 الفشل ان انهزم جماعة من المسلمين من بينهم الوليد بن عقبة
 وخارجة بن زيد ورفاعة بن المعلى وعثمان بن عفان وتوجهوا
 الى المدينة ولكنهم استحيوا أن يدخلوها فرجعوا بعد ثلاث
 وثبت رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه جماعة منهم أبو
 طلحة الانصارى استمر بين يديه يمنع عنه بحجفته وكان رامياً
 شديد الرمي فثر كنفاته بين يدي رسول الله وصار يقول
 وجهي لوجهك فداء وكل من كان يمر ومعه كنانة يقول
 عليه السلام انثرها لابي طلحة وكان ينظر الى القوم ليرى ماذا
 يفعلون فيقول له أبو طلحة يا نبي الله بأبي أنت وأمي لا تنظر
 يصيبك سهم من سهام القوم نحري دون نحرك (وممن)

ثبت سعد بن أبي وقاص فكان عليه السلام يقول له ارم سعد
فداك أبي وأمي (ومنهم) سهل بن حنيف وكان من مشاهير
الرماة نضح عن رسول الله بالنبل حتى انفرج عنه الناس
(ومنهم) أبو دجانة الانصاري تترس على رسول الله فصار
النبل يقع في ظهره وهو منحني حتى كثر فيه (وكان) يقاتل
عن الرسول زيادة بن الحارث حتى أصابت الجراح مقاتله فأمر
به فأدنى منه ووسده قدمه حتى مات (وقد) أصابه عليه السلام
شدائد عظيمة تحملها بما أعطاه الله من الثبات فقد أقبل أبي
ابن خلف يريد قتله فأخذ عليه السلام الحربة ممن كانوا معه
وقال خلوا طريقه فلما قرب منه ضربه ضربة كانت سبب هلاكه
وهو راجع ولم يقتل رسول الله غيره (وكان) أبو عامر الراهب
قد حفر حفراً وغطاها ليقع فيها المسلمون فوقع الرسول في
حفرة منها فأنغمى عليه وخذشت ركبته فأخذه على يده ورفع
طلحة بن عبيد الله وها ممن ثبت معه حتى استوى قائماً فراه عتبة
ابن أبي وقاص بحجر كسر رباعيته فتبعه حاطب بن أبي بلتعة
فقتله وشج وجهه عليه السلام عبد الله بن شهاب الزهري
وجرحه وجتاه بسبب دخول حلقتي المغفر فيهما من ضربة

ضربه بها ابن قنينة غضب الله عليه فجاء أبو عبيدة وعالج
الحلقين حتى نزعهما فكسرت في ذلك ثنيته و قال حينئذ عليه
السلام كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم فأنزله الله (ليس
الك من الامر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فانهم ظالمون)
وكان أول من عرف رسول الله بعد هذه الدهشة كعب بن
مالك الانصاري فنادى يا معشر المسلمين ابشروا فأشار اليه
الرسول ان انصت ثم سار بين سعد بن أبي وقاص وسعد بن
عبادة يريد الشعب ومعه جمع منهم ابو بكر وعمر وعلى وطاحه
والزبير والحارث بن الصمة وأقبل عليه اذ ذاك عثمان بن عبد
الله بن المغيرة يقول ابن محمد لا نجوت ان نجاة فعرثر به فرسه
ووقع في حفرة فمضى اليه الحارث بن الصمة وقتله ولما وصل
الشعب جاءت فاطمة فغسلت عنه الدم وكان على يسكب الماء
ثم أخذت قطعة من حصير فاحرقتها ووضعتها على الجرح
فاستمسك الدم ثم اراد عليه السلام ان يعلو الصخرة التي في
الشعب فلم يمكنه القيام لكثرة ما نزل من دمه فحمله طاحه بن
عبيد الله حتى أصعده فنظر الى جماعة من المشركين على ظهر
الجبل فقال لا ينبغي لهم ان يعلونا اللهم لا قوة لنا الا بك ثم

ارسل اليهم عمر بن الخطاب في جماعة فانزلوهم (وقد) اصاب
المسلمين الذين كانوا يحوطون رسول الله كثير من الجراحات
لان الشخص منهم كان يتلقى السهم خوفاً ان يصل للرسول
فوجد بطلحة نيف وسبعون جراحة وشلت يده واصاب
كعب بن مالك سبع عشرة جراحة اما القتلى فكانوا نيفاً وسبعين
منهم ستة من المهاجرين والباقيون من الانصار (ومن) المهاجرين
حمزة بن عبد المطلب ومصعب بن عمير ومن الانصار حنظلة
ابن أبي عامر وعمر بن الجموح وابنه خالد بن عمرو واخوه
زوجته والد جابر بن عبد الله فأتت زوجة عمرو وهند بنت حرام
وحملتهم زوجها وابنها واخاها على بعير لتدفنهم بالمدينة فنهى
عليه السلام عن الدفن خارج أحد فأرجعوا (وقتل) سعد بن
الربيع وارسل عليه السلام من يأتيه بخبره فوجده بين القتلى
وبه رمق فقيل له ان رسول الله يسأل عنك فقال لمبلغه قل
اقمى يقول لكم سعد بن الربيع الله الله وما عاهدتم عليه رسوله
ليلة العقبة فوالله ما لكم عندي عذر (وقتل) أنس بن النضر
عم مالك بن أنس لما سمع بقتل رسول الله قال يا قوم ما تصنعون
بالبقاء بعده موتوا على ما مات عليه اخوانكم فلم يزل يقابل

حتى قتل رضى الله عنه ومثلت قریش بقتلى أحد حتى ان هنداً
 زوجة ابى سفيان بقرت بطن حمزة وأخذت كبده تأكلها
 فلاكتها ثم ارسلتها ففعلوا قريباً من ذلك باخوانه الشهداء (ثم)
 ان ابا سفيان صعد الجبل ونادى باعلى صوته انعمت فعال ان
 الحرب سجال يوم بيوم بدر وموعدكم بدر العام المقبل ثم قال
 انكم ستجدون فى قتلاكم مثلة لم آمر بها ولم أسرني ثم ان
 المشركين رجعوا الى مكة ولم يرجوا على المدينة وهذا مما يدل
 على ان المسلمين لم ينهزموا فى ذلك اليوم والا لم يكن بد من
 تعقب المشركين لهم حتى يغيروا على مدينتهم ثم تفقد عليه
 السلام القتلى وحزن على حمزة حزناً شديداً ودفن الشهداء
 كلهم باحد كل شهيد بثوبه الذى قتل فيه وكان يدفن الرجلين
 والثلاث فى لحد واحد لما كان عليه المسلمون من التعب فكان
 يشق عليهم ان يحفروا لكل شهيد حفرة (ولما) رجع المسلمون
 الى المدينة سخر بهم اليهود والمنافقون واطهروا ما فى قلوبهم
 من البغضاء وقالوا لاخوانهم لو كانوا عندنا ما ماتوا وماقتلوا
 وهذا الذى ابتلى به المسلمون درس مهم لهم يذكركم
 بأمرين عظيمين تركهما المسلمون فأصيبوا أولهما طاعة الرسول

في أمره فقد قال للرماة لا تبرحوا من مكانكم ان نحن نصرنا
او قهرنا فعصوا أمره ونزلوا الثاني ان تكون الاعمال كلها لله
غير منظور فيها لهذه الدنيا التي كثيراً ما تكون سبباً في مصايب
عظيمة وهؤلاء أرادوا عرض الدنيا واتهموا بالغنائم حتى عوقبوا
وفي ذلك أنزل الله (ولقد صدقكم الله وعده اذ تحسبونهم
بأذنه حتى اذا فشلتم وتنازعتم في الامر وعصيتهم من بعد ما أراكم
ما تحبون منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة ثم
صر فكم عنهم ليبتليكم ولقد عفا عنكم والله ذو فضل على المؤمنين)
فسبب هذا الابتلاء التنازع فينبغي الاتفاق والفشل فينبغي
الثبات والعصيان فينبغي طاعة الرئيس نسأل الله التوفيق

نا رجع عليه السلام الى المدينة أصبح حذراً من رجوع
المشركين الى المدينة لئلا يتمموا انتصارهم فنادى في أصحابه بالخروج
خلف العدو وان لا يخرج الامن كان معه بالامس فاستجابوا
لله والرسول من بعد ما أصابهم القرع فكمدوا جراحاتهم
وخرجوا واللواء معقود لم يحل فأعطاه على بن أبي طالب وولى
على المدينة ابن أم مكتوم ثم سار الجيش حتى وصلوا حمراء
الاسد وهو محل على ثمانية أميال من المدينة في طريق مكة

غزوة حمراء
الاسد

وقد كان مآظنه الرسول حقاً فان المشركين تلاوموا على ترك المسلمين من غير شن الغارة على المدينة حتى يتم لهم النصر فأصر واعلى الرجوع واكن لما بلغهم خروج الرسول في أثرهم ظنوا انه قد حضر معه من لم يحضر بالامس وألقى الله الرعب في قلوبهم فتمادوا في سيرهم الى مكة وظفر عليه السلام وهم في حمراء الاسد بأبي عزة الشاعر الذي منّ عليه ببدر بعد ان تعهد ان لا يكون ضد المسلمين فأمر بقتله فقال يا محمد أُنّاني وامنن علىّ ودعني ابناي وأعطيك عهداً أن لا أعود لمثل ما فعلت فقال عليه السلام لا والله لا تمسح عارضيك بمكة نقول خدعت محمداً مرتين (لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين) اضرب عنقه يا زيد فضرب عنقه وفي هذا تأديب عظيم من صاحب الشريعة الشريف فان الرجل الذي لا يحترز مما أصيب منه لبس بعقل فلا بد من الحزم لاقامة دعائم الملك في هذه السنة زوج عليه السلام بنته أم كلثوم عثمان بن عفان بعد ان ماتت رقية عنده ولذلك كان يسمى ذا النورين (وفيها) تزوج عليه السلام حفصة بنت عمر بن الخطاب وأمها أخت عثمان بن مظعون وكانت قبيلة تحت

خنيس بن حذافة رضى الله عنها فتوفى عنها بجراحة أصابته
ببدر (وفيها) تزوج عليه السلام زينب بنت خزيمة كانت
تدعى فى الجاهلية أم المساكين لراقتها واحسانها اليهم وكانت
قبله تحت عبد الله بن جحش فقتل عنها بأحد وهى أخت ميمونة
بنت الحارث لامها (وفيها) ولد الحسن بن على رضى الله
عنهما (وفيها) حرمت الخمر وكان تحريمها بالتدريج لما كان عليه
العرب من المحبة الشديدة لها فيصعب اذاً تحريمها دفعة واحدة
وكان ذلك التحريم تابعاً لحوادث تنفر عنها لان المنكر اذا
أُسند تحريمه لحادثة أقر الجميع على نقيحها كان ذلك أشد
تأثيراً على النفس فاول ما بين فيها (يستلونك عن الخمر والميسر
فل فبهما اثم كبير ومنافع للناس) فمنفعة الميسر التصديق برحمه
على الفقراء كما كانت عادة العرب ومنفعة الخمر تقوية الجسم
ولما شربها بعض المسلمين وخالط فى القراءة حرمت الصلاة
على السكران فقال تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا
الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون) ولما حدث من
شربها اعتداء بعض المسلمين على اخوانهم حرمت قطعياً
بقوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والأنصاب

(١) والاذلام (٢) رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم
تفاجون انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الحمر
والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل انتم منتهون) وقد
أجاب المسلمون على ذلك بقولهم انتهينا فليجب المسلمون الآن
في بدء السنة الرابعة بلغ رسول الله ان طليحة وسلمة

السنة الرابعة

ابن خويلد الاسد بين يدعوان قومهما بنى اسد لحربه عليه السلام
فدعا أبا سلمة بن عبد الاسد المخزومي وعقد له لواء وقال سر
حتى تنزل أرض بنى أسد بن خزيمه فأغر عليهم وارسل معه
رجالا فسار في هلال المحرم حتى بلغ قطنا وهو جبل بناحية
فيد ماء لبنى أسد فاغار عليهم فهربوا عن منازلهم ووجدوا
سامة ابلا وشاء فاخذها ولم يلق حربا ورجع بعد عشرة ايام
من خروجه (وفي) بدئها ايضا بلغه عليه السلام ان سفيان بن
خالد بن نبيح الهذلي المقيم بعرة وهو موضع قريب من عرفة
يجمع المجموع لحربه فارس له عبد الله بن أنيس الجبني وحده

(١) هي حجارة تصب عليها دماء الذبائح وتعبد

(٢) هي القداح التي كانوا يستقسمون بها وفي قرر الحمر والميسر

بالانصاب والاذلام نهاية التنفير ولذلك قال عابه السلام شارب الحمر
كعابد الوثن اه

ليقتله فاستأذن رسول الله أن يتقول حتى يتمكن فاذن له وقال
انتسب لخزاعة فخرج لخمس خلون من المحرم ولما وصل اليه
قال له سفيان ممن الرجل قال من خزاعة سمعت بجمعك لمحمد
فجئت لاكون معك فقال له أجل انى انى اجمع له فمشى عبدالله
معه وحديثه وسفيان يستحلى حديثه فلما انتهى الى خبائه تفرق
الناس عنه فجلس معه عبدالله حتى نام فقام وقتله ثم ارتحل حتى
أتى المدينة ولم يلحقه الطلب وكفى الله المؤمنين القتال

سرية

وفى صفر أرسل عليه السلام عشرة رجال عيوناً على
قريش وأمر عليهم عاصم بن ثابت الأنصارى فخرجوا ليسيروا
الليل ويكمنون النهار حتى اذا كانوا بالرجيع وهو ماء لهذيل
بين مكة وعسفان أحس بهم قوم سفيان بن خالد الهذلى الذى
قتله عبد الله بن أنيس فنفروا اليهم فيما يقرب من مائة رام
واقفوا آثارهم حتى قربوا منهم فلما أحس بهم رجال السرية
لجؤا الى جبل هناك فقال لهم الأعداء انزلوا وإلّاكم العهد ان
لا تقتلكم فنزل اليهم ثلاثة اغتروا بمهدهم وقتلهم الباقون ومعهم
عاصم غير راضين بالنزول فى ذمة مشرك ولما رأى الثلاثة
الذين سلموا عين الغدر امتنع أحدهم فقتلوه وأما الاثنان

فباعوها بمكة ممن كان له ثار عند المسامين وهناك قتلوا وقد
قال أحدهما وهو خبيب بن عدي حين أرادوا قتله
واستأبأ إلى حين أفضل مسلماً * على أي جنب كان في الله مصرعي
وذلك في ذات الاله وان يشأ * يبارك على أوصال شلو ممزق
في صفر وفد على رسول الله أبو عامر بن مالك ملاعب
الأسنة وهو من رؤس بني عامر فدعاه عليه السلام إلى الاسلام
فلم يسلم ولم يبعد بل قال اني أرى أمرك هذا حسناً شريعاً
ولو بعثت معي رجالاً من أصحابك إلى أهل نجد فدعوهم إلى
أمرك رجوت ان يستجيبوا لك فقال عليه السلام اني أخشى
عليهم أهل نجد فقال أبو عامر أنا لهم جار فأرسل معه المنذر بن
عمر وفي سبعين من أصحابه كانوا يسمون الفراء الكثرة ما كانوا
يخفزون من القرآن فساروا حتى نزلوا سر معونه وهي بين
أرض بني عامر وحره بني سليم فبعثوا حرام بن ملحان بكتاب
إلى عامر بن الطفيل سيد بني عامر فلما وصل إليه لم يلتفت
إلى الكتاب بل عدا على حرام فقتله ثم استصرخ على قبة البعثة
أصحابه من بني عامر فلم يرضوا أن يخفروا جوار ملاعب الأسنة
فاستصرخ عليهم قبائل من بني ساجم وهم رعل وذكوار وعصبة

سرية

فأجابوه وذهبوا معه حتى اذا التقوا بالقراء أحاطوا بهم وقتلوهم حتى قتلوهم عن آخرهم بعد دفاع شديد لم يجدهم نفعا لقلعة عددهم وكثرة عدوهم ولم ينبج الا كعب بن زيد وقع بين القتل حتى ظن انه منهم وعمر بن أمية كان في سرح القوم وأبلغ عليه السلام خبر القراء فخطب في أصحابه وكان فيما قال (ان اخوانكم قد القوا المشركين وقتلوهم وانهم قالوا ربنا بلغ قومنا انا قد لقينا ربنا فرضينا عنه ورضى عنا) وكان وصول خبر هذه السرية وسرية الرجيع في يوم واحد فحزن عليهم صلى الله عليه وسلم حزنا شديدا وأقام يدعو على الغادرين بهم شهرا في الصلاة

يا لله ما أسوأ عاقبة الطيش فقد تكون الامة مرتاحة
 بال هادئة الخواطر حتى تقوم جماعة من رؤسائها بعمل غدر
 يظنون من ورائه النجاح فيجلب عليهم الشرور ويشتمهم من
 ديارهم وهذا ما حصل ليهود بنى النضير حلفاء الخزرج الذين
 كانوا يجاورون المدينة فقد كان بينهم وبين المسلمين عهد يأمن
 بها كل منهم الآخر ولكن بنو النضير لم يوفوا بهذه العهد
 حسدا منهم وبغيا فبينما رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعض

غزوة
 بنى النضير

من أصحابه في ديار بني النضير اذ ائتمر جماعة منهم على قتله
 بأن يأخذ أحد منهم صخرة ويلقيها عليه من علو فاطلع عليه
 السلام على قصدهم فرجع وتبعه أصحابه ثم أرسل لهم محمد بن
 مسلمة يقول لهم اخرجوا من بلادى فقد هممت بما هممت
 من الغدر اذ الحزم كل الحزم أن لا يتهاون الانسان مع من عرف
 منه الغدر فنهياً القوم لا رحيل فأرسل لهم اخوانهم المنافقون
 يقولون لا تخرجوا من دياركم ونحن معكم فلئن أخرجتم لنخرجن
 معكم ولئن قوتلتم لننصرنكم فطمع اليهود بهذه النصرة وعصوا
 عن الجلاء فأمر عليه السلام بالتهيؤ لقتالهم فلما اجتمع الناس
 خرج بهم واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم واعطى
 رايته علياً أما بنو النضير فتحصنوا في حصونهم وظنوا انها
 مانعتهم من الله فحاصرهم عليه السلام ست ليال ثم أمر بقطع
 نخيلهم ليكون أدعى الى تسليمهم فحذف الله في قلوبهم الرعب
 ولم يروا من عبد الله بن أبي مساعدة بل خذلهم كما خذل
 بنى قينقاع من قبلهم فسألوا رسول الله أن يجلبهم ويكف عن
 دمائهم وان لهم ما حملت الابل من أموالهم الا آلة
 الحرب ففعل وصار اليهود يخربون بيوتهم بأيديهم

كيلا يسكنها المسلمون ولما سار اليهود نزل بعضهم بخير
 ومنهم اكابرهم حي بن أخطب وسلام بن أبي الحقيق ومنهم
 من سار الى اذرعات بالشام وأسلم منهم اثنان يامين بن عمرو
 وأوسعد بن وهب ولم يخمس رسول الله ما أخذ من بني النضير
 فانه في لم يوجف عليه بخيل ولا ركاب ومثل هذا يكون
 لمعدات الحرب وللرسول يطعم منه أهله ولذوى القربى واليتامى
 والمساكين وابن السبيل فاعطى عليه السلام من هذا الفئ
 فقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم وردوا
 لاخوانهم من الانصار ما كانوا قد أخذوه منهم أيام هجرتهم
 وأخذ عليه السلام أرضاً يزرعها ويدخر منها قوت أهله عاماً
 وفي ربيع الآ خر بلغه عليه السلام أن قبائل من نجد يتهيئون
 لحربه وهم بنو محارب وبنو ثعلبة فتجهز لهم وخرج في
 سبعمائة مقاتل وولى على المدينة عثمان بن عفان ولم يزلوا
 سائرين حتى وصلوا ديار القوم فلم يجدوا بها أحداً غير نسوة
 فاخذوهم فبلغ الخبر رجالهم فخافوا وتفرقوا في رؤس الجبال
 ثم اجتمع جمع منهم وجاؤا للحرب فتقارب الناس وأخاف بعضهم
 بعضاً ولما حانت صلاة العصر وخاف عليه السلام أن يغدرهم

غزوه داب
 الرقاب

الاعداء وهم يصلون صلى بالمسلمين صلاة الخوف فالتقى الله
الرعب في قلوب الاعداء وتفرقت جموعهم خائفين منه
صلى الله عليه وسلم

ومال الامام البخارى الى أن هذه الغزوة كانت في السنة
السابعة وأجمع أهل السير على خلافه

معه وهو بدر
الآن

لما أهل شعبان هذا العام كان موعد أبى سفيان فانه بعد
انقضاء غزوة أحد قال للمسلمين موعدنا بدر العام المقبل
فاجابه الرسول الى ذلك وكان بدر محل سوق يعقد كل عام
للتجارة في شعبان يقيم التجار فيه ثمانياً فلما حل الاجل وقريش
مجدبون لم يتمكن أبى سفيان من الايفاء بوعدده فاراد أن يخذل
المسلمين عن الخروج كيلا يوسم بخلف الوعد فاستأجر نعيم
ابن مسعود الاشجى ليأتى المدينة ويرجف بما جمعه أبى سفيان
من الجموع العظيمة فقدم نعيم المدينة وقال للمسلمين ان أهل
مكة قد جمعوا لكم فاخشوهم فما زادهم ذلك الا ايماناً وقالوا
حسبنا الله ونعم الوكيل ولم يلتفت عليه السلام لهذا الارجاف
اتكلاً على ربه بل خرج بالف وخمسمائة من اصحابه واستخلف
على المدينة عبدالله بن عبدالله بن أبى ولم يزلوا سائرين حتى

أتوا بدرًا فلم يجدوا بها أحدًا لأن ابنا سفيان أشار على قریش بالخروج على نية الرجوع بعد مسير ليلة او ليلتين ظانًا ان ارجاف نعيم يفيد فيكون المخلف هم المسلمون فصار حتى أتى معجّة وهى سوق معروف من ناحية مصر الظهران فقال لقومه ان هذا عام جدد ولا يصلحنا الا عام عشب فارجموا أما المسلمون فاقاموا ببدر لا يشاركهم فى تجارته احد (فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم) ولما سمع بذلك صفوان بن أمية قال لابی سفيان قد والله نهيتك أن تعد القوم وقد اجترؤا علينا ورأوا انا أخلقناهم

وفى هذا العام ولد الحسين بن على (وفيه) توفيت زينب حوادث بنت خزيمة أم المؤمنين (وفيه) توفى أبو سلمة رضى الله عنه ابن عمه رسول الله وأخوه من الرضاة وأول من هاجر الى الحبشة (وفيه) تزوج عليه السلام أم سلمة هنداً زوج أبى سلمة بعد وفاته

السنة الخامسة
غزوة دومة
وسلم ان جمعا من الاعراب بدومة الجندل (وهى مدينة بينها الجندل

وبين دمشق خمس ليال وبينها وبين طيبة خمس عشرة ليلة)
 يظلمون من مرسهم وانهم يريدون الدنو من المدينة فتجهز
 انزروهم وخرج في ألف من أصحابه بعد ان ولى على المدينة
 سباع بن عرفطة الغفارى ولم يزل يسير الليل ويكمن النهار
 حتى قرب منهم فلما بلغهم الخبر تفرقوا فهجم المسلمون على
 ماشيتهم ورعائهم فأصاب من أصاب وهرب من هرب
 ثم نزل بساحتهم فلم يلق أحداً وبث السرايا فلم تجدد منهم
 أحداً فرجع عليه السلام غانماً وصالح وهو عائد عينة بن
 حصن الفزارى وهو الذى كان يسميه عليه السلام الاحمق
 المطاع لانه كان يتبعه ألف فتاة وأقطعه عليه السلام أرضاً
 يرعى فيها بهيمة على بعد ستة وثلاثين ميلاً من المدينة لان
 أرضه كانت قد أجذبت

غزوة بنى
 المصطلق

في شعبان بلغه عليه السلام أن الحارث بن ضرار سيد
 بنى المصطلق الذين ساعدوا فريشاً على حرب المسلمين في أحد
 يجمع الجموع لحربه فخرج له عليه السلام في جمع كثير وولى على
 المدينة زيد بن حارثة وخرج معه من نسائه عائشة وأم سلمة
 وخرج معه ناس من المنافقين لم يخرجوا قط في غزوة قبلها

يرجون أن يصبوا من عرض الدنيا في أثناء مسيره عليه السلام التقى بعين بنى المصطلق فسأله عن أحوال العدو فلم يجب فأمر بقتله ولما بلغ الحارث رئيس الجيش محبى المسلمين لحربه وأنهم قتلوا جاسوسه خاف هو وجيشه خوفاً شديداً حتى تفرق عنه بعضهم ولما وصل المسلمون الى المريسيع وهو ماء من مياههم تصاف الفريقان للقتال بعد أن عرض عليهم الاسلام فلم يقبلوا فتراموا بالنبل ساعة ثم حمل المسلمون عليهم حملة رجل واحد فلم يتركوا الرجل من عدوهم مجالاً للهرب بل قتلوا عشرة منهم وأسر وابقى مع النساء والذرية واستاقوا الابل والخيول وكانت الابل ألفي بعير والشاء خمسة آلاف استعمل الرسول على ضبطها مولاه شقران وعلى الاسرى بريدة وكان في نساء المشركين برة بنت الحارث سيد القوم وقد أخذ من قومها مائتايت أسرى وزعت على المسلمين وهنا يظهر حسن السياسة ومنتهى الكرم فان بنى المصطلق من أعز العرب داراً فأسر نساءهم بهذه الحال صعب جداً فاراد عليه السلام أن يجعل المسلمين ينعون على النساء بالحرية من تلقاء أنفسهم فتزوج برة بنت الحارث التي سماها جويرية

فقال المسلمون أصهار رسول الله لا ينبغي أسرهم في أيدينا
 فمنوا عليهم بالعق وكانت جويرية أيمن امرأة على قومها كما قالت
 عائشة رضى الله عنها وتسبب عن هذا الكرم العظيم وهذه
 المعاملة الجليلة أن أسلم بنو المصطلق عن بكرة أبيهم وكانوا المسلمين
 بعد أن كانوا عليهم (وقد) حصل في هذه الغزاة نادران لولا
 أن صاحبتهما حكمة رسول الله صلى الله عليه وسلم لعادتا
 بالتفريق على المسلمين فأولاهما أن أجيرا المعمر بن الخطاب
 اختصم مع حليف للخزرج فضرب الاجير الحليف حتى سال
 دمه فاستصرخ بقومه الخزرج واستصرخ الاجير بالمهاجرين
 فأقبل الذعر من الفريقين وكادوا يقتتلون لولا أن خرج عليهم
 رسول الله فقال ما بال دعوى الجاهلية وهى ما يقال فى الاستغاثة
 يا فلان فاخبر باخبر فقال دعوا هذه الكلمة فانها منتنة ثم كلم
 المضروب حتى أسقط حقه وبذلك سكنت الفتنة فلما بلغ عبد
 الله بن أبى هذا الخصام غضب وكان عنده رهط من الخزرج
 فقال ما رأيت كاليوم مذلة أوقد فعلوها نافرونا فى ديارنا
 والله ما نحن والمهاجرون الا كما قال الاول سمن كلبك يأكلك
 أما والله لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل ثم

التفت الى من معه وقال هذا ما فعلتم بأنفسكم أحللتهم وهم
 بلادكم وقاسمتهم أموالكم أما والله لو أمسكتهم عنهم بأيديكم
 لتحولوا الى غير داركم ثم لم ترضوا بما فعلتم حتى جعلتم أنفسكم
 غرضاً لادنائادون محمد فاجتمعت أموالكم وقلاتكم وكثروا فلا تنفقهوا
 عليهم حتى نفضوا من عنده وكان في مجلسه شاب حدث السن
 قوى الاسلام اسمه زيد بن ارقم فاخبر رسول الله الحبر فقغير
 وجهه وقال يا غلام لعلك غضبت عليه فقلت ما قلت فقال
 والله يا رسول الله لقد سمعته قال اعله أخطأ سمعك فاستأذن
 عمر الرسول في قتل ابن ابي أو ان بأمر أحد غير بقتله فمأاد
 عن ذلك وقال كيف يا عمر اذا يحدث الناس أن محمداً يقبل
 اصحابه ثم أذن بالرحيل في وقت لم يكن يرتحل فيه حين اشته
 الحبر بقصد بذلك عليه السلام اشغال الناس عن التكلم في هرا
 الموضوع بجاءه أسيد بن حضير وسأله عن سبب لار محال في
 هذا الوقت فقال أو ما بانك ما قال صاحبكم زعم انه ان رجع
 الى المدينة ابخرجن الاعرض منها الاذل قال أنت والله يا رسول
 الله تخرجه ان شئت هو والله الذليل وانت العزيز ثم سار
 عليه السلام بالناس سيرا حثيثاً حتى آذتهم الشمس فنزل

بالناس فلم يلبثوا أن وجدوا مس الأرض حتى وقعوا نياماً
 وكلم رجال من الانصار عبدالله بن أبي في أن يطاب من الرسول
 الاستغفار فلو رأوه واستكبر وهنا نزل على الرسول سورة
 المنافقين التي فضحت عبدالله بن أبي واخوانه وصدقت ريد بن
 أرقم ولما بلغ ذلك عبد الله بن عبد الله بن أبي استأذن رسول
 الله في قتل أبيه حذراً من أن يكلف بذلك غيره فيكون عنده
 من ذلك أضغان وأحقاد فأمره عليه السلام بالاحسان
 حدثت الافك الى أبيه (النادرة الثانية) وهي أفضع من الاولى وأجلب
 منها للمصائب وهي رمى عائشة الصديقة زوج رسول الله
 بالافك فاتهموها بصفوان بن المعطل السامى وذلك انهم لما دنوا
 من المدينة أذن عليه السلام ليلة بالرحيل وكانت السيدة فدمضت
 لقضاء حاجتها حتى جاوزت الجليش فلما قضت شأنها أقبلت الى رحابها
 فلمست صدرها فاذا عقد لها من جزع ظفار فهد انقطع
 فرجعت لتتمس عقدها فخبسها ابتغاه فاقبل الرهط الذين
 كانوا يرحلون فاحتملوا هودجها ظانين انها فيه لان النساء
 كن اذ ذاك خفافاً لم يغشن الاحم فلم يسنكر القوم خفة
 الهودج وكانت عائشة جارية حديثة السن لجاءت منزل

الجيش بعد ان وجدت عقدتها وايس بالمنزل داع ولا يجيب
فعلبتها عيناها فنامت وكان الذى يسير وراء الجيش يفنقد
ضائعه صفوان بن المعطل فأصبح عند منزلها فعرفها لانه
كان رآها قبل الحجاب فاسترجع فاستيقظت باسترجاعه
وسترت وجهها بجلابها فأناخ راحلته وأركبها من غير أن يتكلم
بكلمة ثم انطلق يقود بها الراحلة حتى وصل الجيش وهو
نازل للراحة فقامت قيامة أهل الافك وقالوا ما قالوا فى
عائشة وصفوان والذى تولى كبر الافك عبد الله بن أبى
ولما قدموا المدينة مرضت عائشة شهراً والناس يفيضون فى
قول أهل الافك وهى لا تشعر بشئ وكانت تعرف فى
رسول الله رقة اذا مرضت فلم يعطها نصيباً منها فى هذا
المرض بل كان يمر على باب الحجرة لا يزيد على قوله كيف
حالكم مما جعلها فى ريب عظيم فلما نهت خرجت هى وأم
مسطح بن اثثة أحد أهل الافك لتبرز خارج البيوت فعثرت
أم مسطح فى مرضها فقالت تعس مسطح فقالت عائشة بئس
ما قلت أتسيين رجلاً شهيد بداراً فقالت يا هنتاه أولم تسمى
ما قالوا فسألتها عائشة عن ذلك فأخبرتها الخبر فزدادت مرضاً

على مرضها ولما جاءها عليه السلام كعادته استأذنته أن تمرض
 في بيت أبيها فاذن لها فسأت أمها مما يقول الناس فقالت
 يابنية هوني عليك فوالله لقلما كانت امرأة قط وضيئة عند
 رجل يحبها لها ضرائر إلا أكثرن عليها فقالت عائشة سبحان
 الله أو لقد تحدث الناس بهذا وبكت تلك الليلة حتى أصبحت
 لا يرقأ لها دمع ولا تكتحل بنوم وفي خلال ذلك كان عليه
 السلام يستشير كبار أهل بيته فيما يفعل فقال له أسامة بن
 زيد لما يعلمه من براءة عائشة أهلك أهلك ولا تعلم عنهم
 إلا خيراً وقال علي بن أبي طالب لم يضيق الله عليك والنساء
 سواها كثير وصل الجارية نصدقك فدعا نبيه السلام بربرة
 جاريته عائشة وقال لها هل رأيت من شيء يريبك فقالت
 والذي بعثك بالحق ما رأيته عليها أمراً فطأنمضه غير أنها
 جارية حديثة السن تنام عن عجينها فتأتي الدجن وتأكله فقام
 عليه السلام من يومه وصعد المنبر والمسامير مجتمعون وقال
 من يعذرني من رجل قد باغى أذاه في أهلي والله ما علمت
 على أهلي إلا خيراً ولقد ذكروا رجلاً ما علمت بطله إلا
 خيراً وما بدخل على أهلي إلا معي فقال سعد بن مبادئ

يارسول الله أعذرك منه فان كان من الأوس ضربت عنقه وان
 كان من اخواننا من الخزرج أمرنا ففعلنا أمرك فقام سعد بن
 عبادَةَ الخزرجي وقال كذبت لعمر الله لا تقتله ولا تقدر على قتله
 ولو كان من رهطك ما أحببت انه يقتل فقام أسيد بن
 حضير وقال لسعد بن عبادَةَ كذبت لعمر الله لا تقتله فانك
 منافق تجادل عن المنافقين وكادت تكون فتنة بين الأوس
 والخزرج لولا أن رسول الله نزل من فوق المنبر وخفضهم
 حتى سكتوا أما عائشة فبقيت ليلتين لا يرقأ لها دمع ولا
 تكتحل بنوم . وبينما هي مع أبويها اذ دخل عليه السلام فسلم
 ثم جالس فقال أما بعد يا عائشة انه بلغني عنك كذا وكذا
 فان كنت بريئة فسيبرئك الله وان كنت الممت بذنب فاستغفري
 الله وتوبى اليه فان العبد اذا اعترف وتاب تاب الله عليه
 فتعاضد دمع عائشة وقالت لأبويها أجيبا رسول الله فقالا
 والله ما ندرى ما نقول فقالت انى والله لقد علمت انكم
 سمعتم هذا الحديث حتى استقر في انفسكم وصدقتم به .
 فلئن قلت لكم انى بريئة لاتصدقوني ولئن اعترفت لكم
 بأمر والله يعلم انى منه بريئة لتصدقنى فوالله لا أجدى ولكم

مثلاً إلا أبو يوسف قال (فصر جميل والله المستعان على ما تصفون) ثم تحولت واضطجعت على فراشها ولم يزاول رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلسه حتى نزلت عليه الآيات من سورة النور ببراءة السيدة المطهرة عائشة الصديقة وأولها (ان الذين جاؤا بالافك عصبة منكم لا تحسبوه شرّاً لكم بل هو خير لكل امرئ منهم ما اكتسب من الاثم والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم) فسرى عن رسول الله وهو يضحك وبشر عائشة بالبراءة فقالت لها امها قومي فاشكري رسول الله فقالت لا والله لا أشكر الا الله الذي برأني وبعد ذلك أمر عليه السلام بان يجلد من صرح بالافك ثمانين جلده وهي حد القاذف وكانوا ثلاثة حمّة بنت جحش ومسطح بن أثانة وحسان بن ثابت وكان أبو بكر ينفق على مسطح بن أثانة لقربائه منه فلما تكلم بالافك قطع عنه النفقة فأنزل الله (ولا يأتل أولو الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولى القربى واليتامى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله وليعفووا وليصنفحو الا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم) فقال أبو بكر بلى نحب ذلك يا رسول الله وأعاد النفقة على مسطح فهذه

مضار المنافقين الذين يدخلون بين الامم مظهرين لهم المحبة
وقلوبهم مملوءة حقداً يتربصون الفتن فنى رأوا باباً لها ولجوه
فنعوذ بالله منهم

لم يقر لعظماء بنى النضير قرار بعد جلائهم عن ديارهم غزوة الخندق
وارث المسلمين لها بل كان فى نفوسهم دائماً أن يأخذوا ثأرهم
ويستردوا بلادهم فذهب جمع منهم الى مكة وقابلوا رؤساء
قريش وحرصوهم على حرب رسول الله ومَنّوهم بالمساءدة
فوجدوا منهم قبولاً لما طلبوه ثم جاؤا الى قبيلة غطفان وحرصوا
رجالها كذلك وأخبروهم بمبايعة قريش لهم على الحرب فوجدوا
منهم ارياحاً فنجّهت قريش وأتباعها يرأسهم أبوسفیان ويحمل
لواءهم عثمان بن طلحة بن ابى طلحة وعددهم اربعة آلاف
معهم ثلاثمائة فارس وألف بعير وتجهزت غطفان يرأسهم عينة
ابن حصن الذى جازى احسان رسول الله كفراً فانه كما قدمنا
أقطعهم أرضاً يرعى فيها سوائه حتى اذا سمن خفه وحافره قام
يقود الجيوش لحرب من أنعم عليه وكان معه ألف فارس وتجهزت
ينومرة يرأسهم الحارث بن عوف المرى وهم اربعمائة وتجهزت
بنو أشجع يرأسهم أبو مسعود بن رخیله وتجهزت بنو سليم

يرأسهم سفيان بن عبد شمس وهم سبعمائة وتجهزت بنو أسد
يرأسهم طليحة بن خويلد الاسدي وعدة الجميع عشرة آلاف
محارب قائدهم العام أبو سفيان ولما بلغه عليه السلام أخبار
هاته التجهيزات استشار أصحابه فيما يصنع أيمكث بالمدينة أم
يخرج للقاء هذا الجيش الجرار فأشار عليه سلمان الفارسي
بعمل الخندق وهو عمل لم تكن العرب تعرفه فأمر عليه السلام
المسلمين بعمله وشرعوا في حفره شمالى المدينة من الحرة الشرقية
الى الحرة الغربية وهذه هى الجهة التى كانت عورة تؤتى المدينة
من قبلها أما بقية حدودها فمشتبكة بالبيوت والنخيل لا يتمكن
العدو من الحرب جهتها وقد قاسى المسلمون صعوبات جسيمة
فى حفر الخندق لانهم لم يكونوا فى سعة من العيش حتى يتيسر
لهم العمل وعمل معهم عليه السلام فكان بنقل التراب متمثلاً
بشعر ابن أبي راحة

الهم لو لانت ما اهتدينا * ولا تصدقنا ولا صلينا
فانزلن سكينه علينا * وثبت الاقدام ان لا قينا
والمشركون قد بغوا علينا * وان أرادوا فتنة أينا
وأقام الجيش فى الجهة الشرقية مسنداً ظهره الى سلع

وهو جبل مطل على المدينة وعدتهم ثلاثة آلاف وكان لواء المهاجرين مع زيد بن حارثة ولواء الانصار مع سعد بن عبادة أما قریش فنزلت بمجمع الاسيال وأما غطفان فنزلت جهة أحد وكان المشركون معجبين بمكيدة الخندق التي لم تكن العرب تعرفها فصاروا يترامون مع المسلمين بالنبل ولما طال المطال عليهم أكره جماعة منهم أفراسهم على اقتحام الخندق منهم عكرمة بن أبى جهل وعمر بن ود وآخرون وقد برز على ابن أبى طالب لعمر بن ود فقتله وهرب اخوانه وهوى فى الخندق نوفل بن عبد الله فاندقت عنقه (ورمى) سعد بن معاذ رضى الله عنه بسهم فقطع أكهله وهو ثريان الذراع واستمرت المناوشة والمراماة بالنبل يوماً كاملاً حتى فأت المسلمین صلاة ذلك اليوم وقضوها بعد وجعل عليه السلام على الخندق حراساً حتى لا يقنجمه المشركون بالليل وكان يحرس بنفسه ثلثة فيه مع شدة البرد وكان عليه السلام يبشر أصحابه بالنصر والظفر ويعدهم الخير أما المنافقون فقد أظهروا فى هذه الشدة ما تكنه ضمائرهم حتى قالوا ما وعدنا الله ورسوله الا غروراً وانسحبوا قائلين ان ييوتنا عورة نخاف أن يغير

عليها العدو وما هي بعورقة ان يريدون الا فراراً واشتد الحال
بالمسلمين فان هذا الحصار صاحبه ضيق على فقراء المدينة
والذى زاد الشدة عليهم ما بلغهم من أن يهود بنى قريظة الذين
يساكنونهم فى المدينة قد انتهزوا هذه الفرصة لنقض العهد
وسبب ذلك أن حى بن أخطب سيد بنى النضير المجلىين
توجه الى كعب بن أسد القرظى سيد بنى قريظة وكان له
كالشيطان اذ قال الانسان اكفر فحسن له نقض العهد ولم
يزل به حتى أجابه لقتال المسلمين ولما بلغت هذه الاخبار
رسول الله أرسل مسلمة بن أسلم فى مائتين وزيد بن حارثة
فى ثلاثمائة لحراسة المدينة خوفاً على النساء والذرارى وأرسل
الزبير بن العوام يستجلى له الخبر فلما وصلهم وجدهم حائقين
يظهر على وجوههم الشر ونالوا من رسول الله والمسلمين
أمامه فرجع وأخبر الرسول بذلك وهناك اشتد وجل المسلمين
وزلزلوا زلزالاً شديداً لان العدو جاءهم من فوقهم ومن
أسفل منهم وزاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر وظنوا
بالله الظنون وتكلم المنافقون بما بدا لهم فاراد عليه السلام أن
يرسل لعينة بن حصن ويصالحه على ثلث ثمار المدينة لينسحب

غطفان فأبى الانصار ذلك قائلين انهم لم يكونوا ينالون منا
قليلا من ثمرنا ونحن كفار أقبعد الاسلام يشاركونا فيها واذا
اراد الله العناية بقوم هيا لهم أسباب الظفر من حيث لا
يعلمون فانظر الى هذه العناية من الله بالتمسكين بدينه القويم
جاء نعيم بن مسعود الاشجعي وهو صديق قريش واليهود
ومن غطفان فقال يا رسول الله انى قد اسلمت وقومى لا
يعلمون باسلامى فرنى بأمرى حتى أساعدك فقال أنت رجل
واحد وماذا عسى أن تفعل ولكن خذل عنا ما استطعت فان
الحرب خدعة فخرج من عنده وتوجه الى بنى قريظة الذين
نقضوا عهود المسلمين فلما رأوه أكرموه لصداقته معهم فقال
يا بنى قريظة تعرفون ودى لكم وخوفى عليكم وانى محدثكم
حديثا فآكتموه عنى قالوا نعم فقال لقد رأيتم ما وقع لبنى
قينقاع والنضير من اجلائهم وأخذ أموالهم وديارهم وان
قريشا وغطفان ليسوا مثلكم فهم اذا رأوا فرصة اتهموها والا
انصرفوا بالادهم وأما اتم فتساكنون الرجل (يريد الرسول)
ولا طاقة لكم بحربه وحدثكم فارى أن لا تدخلوا فى هذه الحرب
حتى تستيقنوا من قريش وغطفان أنهم لن يتركوكم ويذهبوا

الخدعة
في الحرب

الى بلادهم بأن تأخذوا منهم رهائن سبعين شريفاً منهم فاستحسنوا
 رأيه وأجابوه الى ذلك ثم قام من عندهم وتوجه الى قریش
 فاجتمع رؤسائهم وقال أئتم تعرفون ودي لكم ومحبتى اياكم وانى
 محمدكم حديثاً فاكتموه عني قالوا نفعل فقال لهم ان بنى قريظة
 قد ندمو اعلی ما فعلوه مع محمد وخافوا منكم ان ترجعوا وتركوهم
 معه فقالوا له ارضيك ان تأخذ جمعاً من اشرافهم ونعطيهم لك
 وترد جناحنا الذى كسرت (يريد بنى النضير) فرضى بذلك
 منهم وهاهم مرسلون اليكم فاحذروهم ولا تذكروا مما قلت
 لكم حرفاً ثم اتى غطفان فأخبرهم بمثل ما أخبر به قريشاً فأرسل
 ابو سفیان وفداً لقريظة يدعوهم للقتال فاجابوا انا لا يمكننا
 ان نقاتل فى السبت (وكان ارساله لهم ليلة السبت) ولم يصبننا ما صابنا
 الا من التمدى فيه ومع ذلك فلا نقاتل حتى تعطونا رهائن
 منكم حتى لا تتركونا وتذهبوا الى بلادكم فنجحقت قریش
 وغطفان كلام نعيم بن مسعود وتفرقت القلوب بخاف بعضهم
 بعضاً وكان عليه السلام قد ابتهل الى الله الذى لا ملجأ الا اليه
 ودعاه بقوله (اللهم منزل الكتاب سريع الحساب اهزم الاحزاب
 اللهم اهزمهم وانصرنا عليهم) وقد اجاب الله دعاءه عليه السلام

فارسى على الاعداء ريحاً باردة فى ليلة مظلمة يخاف العرب
أن تتفق اليهود مع المسلمين ويهجموا عليهم فى الليلة المدممة
فاجمعوا أمرهم على الرحيل قبل أن يصبح الصباح ولما سمع
عليه السلام الغوغاء فى جيش العدو قال لاصحابه لا بد من حادث
فمن منكم ينظر لنا خبر القوم فسكتوا حتى كرر ذلك ثلاثاً
وكان فيهم حذيفة بن اليمان فقال له عليه السلام تسمع صوتى
منذ الليلة ولا تجيب فقال يا رسول الله البرد شديد فقال اذهب
فى حاجة رسول الله واكشف لنا خبر القوم فضاطر رضى الله
عنه بنفسه فى خدمة نبيه حتى اطلع على جاية الخبر وان الاعداء
عازمون على الرحلة وقد بلغ من خوفهم ان كان رئيسهم أبو
سفیان يقول لهم ليتعرف كل منكم أخاه وليسك بيده حذراً
من ان يدخل بينكم عدو وقد حل عقاب بعيره يريد ان يبدأ
الرحيل فقال له صفوان بن أمية انك رئيس القوم فلا تتركهم
وتغضى فنزل أبو سفیان وأذن بالرحيل وترك خالد بن الوليد
فى جماعة ليجمعوا ظهور المرتحلين حتى لا يدهموا من ورائهم
وأزاح الله عن المسلمين هذه الغمة التى تخرب فيها الاحزاب
من عرب ويهود ضد المسلمين ولولا لطف الله وعنايته بهذا

هزيمة
الاحزاب

الدين منة منه وفضلاً لساءت الحال وكان جلاء الاحزاب
في ذى القعدة وكان حقاً على الله ان يسميه نعمة بقوله في سورة
الاحزاب (يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ جاء تكلم
جنود فارسلنا عليهم رجلاً و جنوداً لم تروها وكان الله بما تعلمون
بصيراً اذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم واذا غارت الابصار
وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا هنالك ابتلى
المؤمنون وزلزلوا زلزالاً شديداً)

غزوة
بني قريظة

ولما رجع عليه السلام بأصحابه وأراد أن يخلع لباس الحرب
أمره الله بالحقوق بني قريظة حتى يطهر أرضه من قوم لم
تعد تنفع معهم اليهود ولا تربطهم المواثيق ولا يأمن المسلمون
جانهم في شدة فقال لأصحابه لا يصلين أحد منكم العصر الا
في بني قريظة فساروا مسرعين وتبعهم عليه السلام راكباً
على حماره ولواؤه بيد على بن أبي طالب وخليفته على المدينة
عبد الله بن أم مكتوم وكان عدد المسلمين ثلاثة آلاف وقد
أدرك جماعة من الاصحاب صلاة العصر في الطريق فصلاها
بعضهم حاملين أمر الرسول بعدم صلاتها على قصد السرعة
ولم يصلها الآخرون الا في بني قريظة بعد مضى وقتها حاملين

الامر على حقيقته فلم يعنف فريقاً منهم (ولما) رأى بنو قريظة جيش المسلمين أتى الله الرعب في قلوبهم وأرادوا التنصل من فعلتهم القبيحة وهى الغدر بمن عاهدوهم وقت الانشغال بعدو آخر ولكن أنى لهم وقد ثبت للمسلمين غدرهم فلما رأوا ذلك تحصنوا ب حصونهم وحاصرهم المسلمون خمساً وعشرين ليلة فلما رأوا ان لا مناص من الحرب وانهم ان استمروا على ذلك ماتوا جوعاً طلبوا من المسلمين ان ينزلوا على ما نزل عليه بنو النضير من الجلاء بالاموال وترك السلاح فلم يقبل الرسول صلى الله عليه وسلم فطلبوا ان يجلوا بأنفسهم من غير سلاح فلم يرض أيضاً بل قال لا بد من النزول والرضا بما يحكمهم عليهم خيراً كان أو شراً فقالوا له أرسل لنا أبا لبابة نستشيره وكان أوسياً من حلفاء قريظة له بينهم أولاد وأموال فلما توجه اليهم استشاروه فى النزول على حكم الرسول فقال لهم انزلوا وأوماً بيده على حلقه يريد أن الحكم الذبح ويقول ابو لبابة لم ابارح موقفي حتى علمت انى خنت الله ورسوله فنزل من عندهم قاصداً المدينة خجلاً من مقابلة رسول الله وربط نفسه فى سارية من سواري المسجد

حتى يقضى الله فيه أمره ولما سأل عنه عليه السلام أخبر بما فعل فقال اما انه لو جاءني لاستغفرت له اما وقد فعل ما فعل فتركه حتى يقضى الله فيه ثم ان بنى قريظة لما لم يروا بد آمن النزول على حكم رسول الله فعلوا فأمر برجالهم فكنفوا بخاءه رجال من الاوس وسألوه ان يعاملهم كما عامل بنى قينقاع حلفاء اخوانهم الخزرج فقال لهم الا يرضيكم ان يحكم فيهم رجل منكم فقالوا نعم واختاروا سيدهم سعد بن معاذ الذى كان جريحاً من السهم الذى أصيب به فى الخندق وكان مقيماً بخيمة فى المسجد معدة لمعالجة الجرحى فارسل عليه السلام من يأتى به فحملوه على حماره والتف عليه جماعة من الاوس يقولون له احسن فى مواليك الا ترى ما فعل ابن أبي فى مواليه فقال رضى الله عنه لقد آن لسعد أن لا تأخذه فى الله لومة لائم ولما أقبل على الرسول واصحابه وهم جلوس قال عليه السلام قوموا الى سيدكم فانزلوه فقعلوا وقالوا له ان رسول الله قد ولاك أمر مواليك لنحكم فيهم وقال له الرسول احكم فيهم يا سعد فالتفت سعد للناحية التى ليس فيها رسول الله وقال عليكم عهد الله وميثاقه ان الحكم كما حكمت فقالوا

نعم فالتفت الى الجهة التي فيها الرسول وقال وعلى من هنا
كذلك وهو غاض طرفه اجلالا فقالوا نعم قال فاني أحكم
أن تقتل الرجال وتسبي النساء ولذرية فقال عليه السلام لقد
حكمت فيهم بحكم الله يا سعد لان هذا جزاء الخائن الفادر
ثم أمر بتنفيذ الحكم فنفذ عليهم وجمعت غنائمهم فكانت ألفا
 وخمسمائة سيف وثلثمائة درع وألفي رحل وخمسمائة
 ترس وجحفة ووجد أثاثا كثيرا وآنية واجمالا نواضح
 وشياها فخمس ذلك كله مع النخل والسبي للراجل
 ثلث الفارس وأعطى النساء اللاتي كن يمرضن الجرحى
 ووجد في الغنمة جرار خمر فأريقت وبعد تمام هذا الامر
 انفجر جرح سعد بن معاذ فمات منه رضى الله عنه وأرضاه
 كان في الانصار كأبي بكر في المهاجرين وقد كان له العزم
 الثابت في جميع المشاهد التي تقدمت الخندق وكان عليه السلام
 يحبه كثيرا وبشره بالجنة على عظيم اعماله (وعقب) رجوع
 المسلمين الى المدينة تاب الله على أبي لبابة بقوله (والذين خلطوا
 عملا صالحا وآخر سيئا عسى الله أن يتوب عليهم ان الله غفور
 رحيم) وقد عاهد الله أن يهجر ديار قريظة التي حصلت له فيها

هذه الزلة وبتمام هذه الغزوة أراح المسلمين من شر مجاورة اليهود الذين عودوهم الغدر والخيانة ولم تبق الا بقية من كبارهم بخير مع اهلها وهم الذين كانوا السبب في اثاره الاحزاب وسيأتى للقارئ قريباً اليوم الذى يعاقبون فيه

حوادث
قواج زينب

وفى هذا العام تزوج عليه السلام زينب بنت جحش وأما أميمة عمته بعد أن طلقها مولاه زيد بن حارثة وكان من أمر زواجها لزيد أن الرسول خطبها له فتأنف أهلها من ذلك لمكانها فى الشرف العظيم فهى من قریش الذين يكرهون تزويج بناتهم من غيرهم يعتقدون أن لا كفء من سواهم لبناتهم ويريد وان كان الرسول تبناه ولكن هذا لا يلحقه بالاشراف فلما نزل قوله تعالى (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم) ومن بعض الله ورسوله فقد ضل ضلالاً مبيناً) لم يروا بدا من القبول فلما دخل عليها زيد أرتته من كبريائها وعظمتها ما لم يتحملة فاشتكاها لرسول الله فامره باحتمالها والصبر عليها الى أن ضاقت نفسه فاخبره بالعزم على طلاقها وكرر ذلك ولما كانت العشرة بين مثل هذين الزوجين ضرب من العبث أمر الله نبيه أن

يتزوج زينب بعد طلاقها حسماً لهذا الشقاق من جهة وحفظاً
 لشرفها أن يضيع بعد زواجها بمولى من جهة أخرى ولكن
 رسول الله خشى من لوم اليهود والعرب عليه في زواجه
 بزواج ابنه فقال لزيد أمسك عليك زوجك واتق الله وأخفى
 في نفسه ما أبداه الله فبت الله حكمه بإبطال هذه القاعدة
 وهى تحريم زوج المتبنى على المتبنى بقوله (فلما قضى زيد منها
 وطراً زوجناكها لكيلا يكون على المؤمنين حرج في أزواج
 أدعيائهم اذا قضوا منهن وطراً وكان أمر الله مفعولاً) ثم إن
 الله حرم التبنى على المسلمين لما فيه من الاضرار وأنزل فيه
 (ما كان محمد أباً أحدهم من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم
 النبيين وكان الله بكل شئ عليماً) ومن هذا الحين صار اسم
 زيد (زيد بن حارثة) بدل (زيد بن محمد) وأبدل بذلك
 أن ذكر اسمه في قرآن يتلى على سر الدهور والاعوام ويقول جهال
 المؤرخين وذوو المقاصد السالفة منهم فى هذه القصة أقوالاً لا
 تجوز الا على من ضاع رشده ولم يفقه حقيقة ما يقول فانهم
 يذكرون أن الرسول توجه يوماً لزيارة زيد فرأى
 زوجته بالصدفة لان الريح رفعت الستر عنها ف وقعت فى قلبه فقال

سبحان الله فلما جاء زوجها ذكرت له ذلك فرأى من الواجب عليه فراقها فتوجه وأخبر الرسول بعزمه فنهاه عن ذلك الخ وهذا مما يكذبه أن نساء العرب لم تكن تعرف ستر الوجوه وزينب هي بنت عمته وأسلمت قديماً ورسول الله بمكة فكيف لم يرها وقد مضى على اسلامها نحو عشر سنوات وهي بنت عمته الا حينما رفعت الريح الستر بالصدقة ورسول الله هو الذى زوجها زيداً فلو كان له فيها رغبة حب أو عشق لتزوجها هو ولا مانع يمنعه من ذلك ومن منا يتصور ان السيد الاكرم يقول لقومه انه مرسل من ربه ويتلو عليهم صباح مساء أمر الله له بقوله في سورة الحجر المكية (ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به أزواجاً منهم) وفي سورة طه المكية أيضاً (ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به أزواجاً منهم زهرة الحياة الدنيا) ثم هو بعد ذلك يدخل بيت رجل من متبعيه وينظر الى زوجته بالصدقة ثم يشتهي زواجها ان هذا الامر عظيم تشعر بذلك صدورنا ولو حدث أمر مثله من أقل الناس لعب عليه فكيف بمن أجمعت كلمة المؤرخين على أنه أحسن الناس خلقاً وأبعدهم عن الدنايا وأشدهم ذكاء وفراصة حتى مدحه الله بقوله (وانك

لعمل خلق عظيم) لا شك أن هذه الحرافة مما يلتحق بحرافة
الفرانيق وضعها أعداء الدين ليصلوا بها الى أغراضهم والحمد
لله قد ناقضت النقل والعقل فلم تبق شبهة في أن الحقيقة ما
نقلناه لك أولاً وهو الذى يستفاد من القرآن الشريف (واذ
تقول للذى أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك
واتق الله. وتخفى فى نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله
أحق أن تخشاه فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها لكيلا
يكون على المؤمنين حرج فى أزواج أدعيائهم اذا قضوا منهن
وطرا وكان أمر الله مفعولاً)

(وفيه) نزلت آية الحجاب وهو خاص بنساء رسول الله
صلى الله عليه وسلم وكان عمر بن الخطاب قبل نزول آيته
يحببه ويذكره كثيراً ويود أن ينزل فيه قرآن وكان يقول لو
أطاع فيكن ما رأتهن عـين فنزل (واذا سألتن منهن متاعاً
فـأـألوهن من وراء حجاب ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن)
فقال بعضهم أنهى أن تكلم بنات عمنا إلا من وراء حجاب لئن
مات محمد لا تزوجن عائشة فنزل (وما كان لكم أن تؤذوا رسول
الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبداً إن ذلكم كان عند الله

لحجاب

عظيماً) أما غير أزواجه عليه السلام من المؤمنات فأمرن بغض
الابصار وحفظ الفروج كما أمر بذلك الرجال وأمرن أن لا يبدن
زيتهن للاجانب الا ما ظهر منها كالخاتم في الاصبع والخضاب
في اليد والكحل في العين اما ما خفي منها فلا يحل ابدائه
كاسوار للذراع والدمج للمعصود والخلخال للرجل والقلادة للعنق
والاكليل للرأس والوشاح للصدر والقرط للاذن والمراد بالزينة
الظاهرة والخفية مواضعها وأمرن أيضاً بأن يضربن بخمرهن
على الجيوب كيلا يتبين صدورهن مكشوفة فان النساء اذ ذاك
كانت جيوههن واسعة تبدو منها نحورهن وصدورهن وما
حواليها وكن يسدن الحمر من ورائهن ونهين عن أن يضربن
بأرجلهن ليعلم أنهن ذوات خلخال واذا كان النهي عن اظهار
صوت الحلى بعد ما نهين عن اظهار الحلى علم بذلك أن النهي
عن اظهار مواضع الحلى أبلغ وأبلغ (وكان) النساء في أول
الاسلام كما كن في الجاهلية متبدلات تبرز المرأة في درع
وخمار لا فصل بين الحرة والامة وكان القتيان وأهل الشطارة
يتعرضون الامة اذا خرجن بالليل الى مقاضى حوائجهن في
النخيل والنيطان وربما تعرضوا للحرة بعة الامة يقولون

حسبناها أمة فامرنا أن يخالفن بزينة عن زى الاماء بأن
يدنين عليهن من جلابيين لينغطي الوجه والأعطاف يحتشم
ويهن فلا يطمع فيهن طامع (أما) حجب المرأة عمن يريد
خطبتها فهو أمر لم يكن يفعل في عهد الرسول صلى الله عليه
وسلم ولا في عهد السلف الصالح فان الشارع الحكيم سن
ذلك ليكون الرجل على علم مما يقدم عليه حتى يتم الوفاق
والوائام بين الزوجين وهذا أمر أجمع عليه أئمة الدين
قال حجة الاسلام الغزالي في الاحياء (وقد ندب الشرع الى
مراعاة أسباب الألفة ولذلك استحب النظر فقال اذا وقع
الله في نفس أحدكم من امرأة فلينظر اليها فانه أحرى أن يؤدم
بينهما أى يؤلف بينهما من وقوع الأدمة على الأدمة وهى
الجلدة الباطنة والبشرة الجلدة الظاهرة وانما ذكر ذلك للمبالغة
فى الائتلاف وقال عليه السلام ان فى أعين الانصار شيئاً فاذا
أراد أحدكم أن يتزوج منهن فلينظر اليهن قيل كان فى أعينهن
عمش وقيل صغر وكان بعض الصالحين لا ينكحون كرائمهم
الا بعد النظر احترازاً من الغرور وقال الاعمش كل تزويج
يقع على غير نظر فأخره هم وغم) ولا يبعد أن يكون فساد الزمن

والابتعاد عن التربية الدينية التي تسوق الى مكارم الاخلاق
فد حسنا عند عامة المسلمين في العصور الأولى حجب
المرأة مطلقاً حسماً للمفاسد ودرءاً للفتنة

فرض الحج (وفي هذا العام) على ما عليه الأَكثرون فرض الله
على الأُمة الاسلامية حج البيت من استطاع اليه سبيلاً ليجتمع
المسلمون من جميع الاقطار فيتوجهون الى الله ويتהלون اليه
أن يؤيدهم بنصره ويعينهم على اتباع دينه القويم وفي ذلك
من تقوية الرابطة واتحاد القلوب ما فيه للمسلمين الفائدة
العظمى

المنة السادسة ولعشر خلون من محرم السنة السادسة أرسل عليه
سرية السلام محمد بن مسلمة في ثلاثين راكباً لشن الغارة على بني
بكر بن كلاب الذين كانوا نازلين بناحية ضريبة على بعد سبع
ليال من المدينة في طريق البصرة فسار اليهم يكمن النهار
ويسير الليل حتى دهمهم فقتل منهم عشرة وهرب باقيهم
فاستأقت السرية النعم والشيء وعادوا راجعين الى المدينة
وقد التقوا وهم عائدون بثامة بن أثال الحنفي سيد بني حنيفة
فأسروه وهم لا يعرفونه فلما أتوه رسول الله عرفه وعامله

بمنتهى مكارم الاخلاق فانه أطلق أساره بعد ثلاث أبى فيها
الانقياد للإسلام بعد أن عرض عليه ولما رأى ثمامة هذه المعاملة
وهذه المكارم رأى من العيث أن يتبع هواه ويترك دينه
عماده المحامد فرجع الى رسول الله وأسلم غير مكروه وخاطب
الرسول بقوله يا محمد والله ما كان على الارض من وجه أبغض
الى من وجهك فقد أصبح وجهك أحب الوجوه كلها الى والله
ما كان على الارض من دين أبغض الى من دينك فقد أصبح
أحب الدين كله الى والله ما كان من بلد أبغض الى من
بلدك فقد أصبح أحب البلاد الى فسر عليه السلام كثيراً بإسلامه
لان من ورائه قوماً يطيعونه ولما رجع ثمامة الى بلاده مر
بمكة معتمراً وأظهر فيها اسلامه فأرادت قريش ايذاءه فذكروا
احتياجهم لحبوب اليمامة التى منها ثمامة فتركوه ومع ذلك
فقد حلف هو ان لا يرسل اليهم من اليمامة حبواً حتى يؤمنوا
فجهدوا جداً ولم يروا بدا من الاستغاثة برسول الله فعاملهم
عليه السلام بما جبل عليه من الشفقة والرحمة وأرسل لثمامة
ان يعيد عليهم ما كان يأتيهم من أقوات اليمامة ففعل وقد كان
لهذا الرجل الكريم الأصل قدم راسخ في الاسلام عقب وفاة

الرسول حينما ارتد أكثر أهل بلاده فكان ينهى قومه عن اتباع مسيلمة ويقول لهم إياكم وأمرأاً مظلماً لا نور فيه وانه لشقاء كتبه الله على من اتبعه فثبت معه كثير من قومه رضى الله عنه

غزوة
بنو لحيان

بنو لحيان هم الذين قتلوا عاصم بن ثابت واخوانه ولم يزل رسول الله حزناً عليهم متشوّفاً للقصاص من عدوهم حتى ربيع الاول من هذه السنة فأمر أصحابه بالتجهز ولم يظهر لهم مقصده كما هي عادته عليه السلام في غالب الغزوات لتعمى الاخبار عن الأعداء وولى على المدينة ابن أم مكتوم وسار في مائتى راكب معهم عشرون فرساً ولم يزل سائراً حتى مقتل أصحاب الجميع فترحم عليهم ودعاهم ولما سمع به بنو لحيان تفرقوا في الجبال فأقام عليه السلام بديارهم يومين يبعث السرايا فلا يجدون أحداً ثم أرسل بعضاً من أصحابه ليأتوا عسفان حتى يعلم بهم أهل مكة فيدخلهم الرعب فذهبوا الى كراع النعيم وهو جبل جنوب عسفان ثمانية أميال ثم رجع عليه السلام الى المدينة وهو يقول (آيبون تائبون لرنا حامدون أعوذ بالله من وعشاء السفر وكآبة المنقلب وسوء المنظر فى الأهل والمال)

كان للنبي عليه السلام عشرون لقعة ترعى بالغابة وهي عزوة الغابة موضع على بريد من المدينة جهة غطفان فأغار عليها عيينة بن حصن في أربعين راكباً واستلبها من راعيها فجاءت الاخبار رسول الله عليه الصلاة والسلام والذي بلغه هو سلمة بن الأكوع أحد رماة الانصار وكان عداء فأمره الرسول بأن يخرج في أثر القوم ليشغلهم بالنبل حتى يدر كهم المسلمون فخرج يشتد في أثرهم حتى لحقهم وجعل يرميهم بالنبل فاذا وجهت الحيل نحوه رجع هارباً فلا يلحق فاذا دخلت الحيل بعض المضائق علا الجبل فرمى عليهم الحجارة حتى ألقوا كثيراً مما بأيديهم من الرماح والأبراد ليخففوا عن أنفسهم حتى لا يلحقهم الجيش ولم يزل سلمة على ذلك حتى تلاحق به الجيش فان الرسول دعا أصحابه فأجابوه وأول من انتهى اليه المقداد بن الاسود فقال له اخرج في طلب القوم حتى ألقك وأعطاك اللواء فخرج وتبعته المرسات حتى أدركوا أواخر العدو فخصمت بينهم مناوشات قتل فيها مسلم ومشركان واستنفذ المسلمون غالب اللقاح وهرب أوائل القوم بالبقية وطلب سلمة بن الأكوع من رسول الله أن يرسله مع جماعة

في أثر القوم ليأخذهم على غرة وهم نازلون على أحد مياههم فقال له عليه السلام (ملككت فأسجج) ثم رجع بعد خمس ليال كان بنو أسد الذين مر ذكرهم كثيراً يؤذون من يمر بهم من المسلمين فأرسل لهم عليه السلام عكاشة بن محصن في أربعين راكباً ليغير عليهم ولما قارب بلادهم علموا به فهربوا وهناك وجدوا رجلاً نائمًا فأمنوه ليدهم على نعم القوم فدخلهم عليها فاستاقوها وكانت مائة بعير ثم قدموا المدينة ولم يلقوا كيداً

سرية

وفي ربيع الاول بلغه عليه السلام ان من بذى القصة (موضع على أربعة وعشرين ميلاً من المدينة في طريق الرابذة) يريدون الاغارة على نعم المسلمين التي ترعى بالهيفاء فأرسل لهم محمد بن مسلمة في عشرة من المسلمين فبلغ ديارهم ليلاً وقد كمن لهم المشركون حينما علموا بهم فنام المسلمون ولم يشعروا الا والنبل قد دخلتهم فتواثبوا الى أسلحتهم ولكن تغلب عليهم الأعداء فقتلوهم غير محمد بن مسلمة تركوه لظنهم انه قتل فعاد الى المدينة وأخبر الرسول عليه السلام فأرسل أبا عبيدة عامر بن الجراح في ربيع الآخر ليقتص من الأعداء فلما

سرية

وصل ديارهم وجدهم تشتتوا هارين فاستاق نعمهم ورجع
 بنو سليم الذين كانوا من المتحزبين في غزوة الخندق سرية
 عاكسوا المسلمين في سيرهم فأرسل عليه السلام زيد بن حارثة
 في ربيع الآخر ليغير عليهم في الجموم وهو ناحية من بطن نخل
 فلما بلغوا ديارهم وجدوهم تفرقوا ووجدوا هناك امرأة من
 مزينة دلتهم على منازل بني سليم فاصابوا بها نكاحا وشاء ووجدوا
 رجالا أسروهم وفيهم زوج تلك المرأة فرجعوا بذلك الى المدينة
 فوهب الرسول لهذه المرأة نفسها وزوجها

بلغ الرسول أن عيرا اقريش أقبات من الشام تريد مكة سرية
 فأرسل لها زيد بن حارثة في مائة وسبعين راكباً ليعترضها فأخذها
 وما فيها وأسر من معها من الرجال وفيهم أبو العاص بن الربيع
 زوج زينب بنت رسول الله وكان من رجال مكة المعدودين
 تجارة ومالاً وأمانة فاستجار بزوجه زينب فأجارته ونادت
 بذلك في مجمع قريش فقال عليه السلام (المسلمون يد واحدة
 يجير عليهم أدناهم وقد أجرنا من أجرت) وهذا أبلغ ما قيل
 في المساواة بين أفراد المسلمين ورد عليه الرسول ماله بأسره
 لا يفقد منه شيئاً فذهب الى مكة فأدى لكل ذي حق حقه

سرية

ورجع الى المدينة مسلماً فرد عليه رسول الله زوجته
وفي جمادى الآخرة أرسل عليه السلام زيد بن حارثة
في خمسة عشر رجلاً للاغارة على بنى ثعلبة الذين قتلوا أصحاب
محمد بن مسلمة وهم مقيمون بالطرف وهو ماء على ستة وثلاثين
ميلاً من المدينة في طريق العراق فتوجهت السرية لذلك ولما
رأهم الأعداء ظنّوهم طليعة لجيش رسول الله فهربوا وتركوا
نعمهم وشاءهم فاستاقها المسلمون ورجعوا الى المدينة بعد أربع
ليال

سرية

وفي رجب أرسل عليه السلام زيد بن حارثة ليغير على
بنى فزارة لأنهم تعرضوا لزيد وهو راجع بتجارة الى الشام
فسلّبوا ما معه وكادوا يقتلونه فلما جاء المدينة واخبر الرسول
الخبر أرسله مع رجاله للقصاص من فزارة المقيمين في وادي
القرى فساروا حتى دهموا العدو وأحاطوا بهم وقتلوا منهم جمعاً
كثيراً وأخذوا امرأة من كبارهم أسيرة فاستوهبها عليه السلام
ممن أسرها وفدى بها أسيراً كان بمكة

سرية

وفي شعبان أرسل عليه السلام عبد الرحمن بن عوف مع
سبعمائة من الصحابة لغزو بني كلب في دومة الجندل وهي حصن

وقرى بينها وبين دمشق خمس ليال وبين المدينة خمس عشرة ليلة وقد وصاهم عليه السلام قبل السفر بقوله (اغزوا جميعاً في سبيل الله فقاتلوا من كفر بالله ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليداً فهذا عهد الله وسيرة نبيه فيكم) ثم أعطاه اللواء فساروا على بركة الله حتى حلوا بديار العدو فدعاهم الى الاسلام ثلاثة ايام وفي اليوم الرابع أسلم رئيس القوم الاصبغ بن عمرو النصراني وأسلم معه جمع من قومه وبقي آخرون راضين باعطاء الجزية فتزوج عبد الرحمن بنت رئيسهم كما أمره بذلك عليه السلام وهذه أقرب طريق لتمكين صلات الود بين الامراء بحيث يهمل كلاً ما يهمل الآخرون فنعما هي سياسة السلم والمحبة وفي شعبان أرسل عليه السلام على بن أبي طالب في مائة سرية رجل لغزو بني سعد بن بكر بنمذك وهي قرية بينها وبين المدينة ست ليال من جهة خير لانه بلغه انهم يجمعون الجيوش لمساعدة يهود خيبر على حرب المسلمين مقابل تمر يعطونه من تمر خير فسارت السرية وبينما هم سائرون التقوا بنجاسوس العدو وأرسلوه الى خير ليعقد المعاهدة مع يهودها فطلبوا منه أن يدهم على القوم وهو آمن فدهمهم على موضعهم فاستاق منه

المسلمون نعم القوم وهرب الرعاء فحذروا قومهم فدخلهم الرعب
وتفرقوا فرجع المسلمون ومعهم خمسمائة بعير والفاشاة ورد
الله كيد المشركين فلم يمدوا اليهود بشئ

قتل أبي رافع

وكان الحرك لأهل خيبر على حرب المسلمين هو سيدهم
أبو رافع سلام بن أبي الحقيق الملقب بتاجر أهل الحجاز لما كان
له من المهاراة في التجارة وكان ذا ثروة طائلة يقلب بها قلوب
اليهود كما يريد فاتذب له عليه السلام من يقتله فأجاب لذلك
خمسة رجال من الخزرج رئيسهم عبد الله بن عتيك ليكون لهم
مثل أجر اخوانهم من الأوس الذين قتلوا كعب بن الأشرف
فان من نعم الله على رسوله أن كان الأوس والخزرج يتفاخرون
بما يفعلونه من تنفيذ رغبات رسول الله فلا تفعل الأوس عملاً
الا اجتمعت الخزرج في مثله فأمرهم الرسول بذلك بعد أن
وصاهم أن لا يقتلوا وليداً ولا امرأة فساروا حتى أتوا خيبر
فقال عبد الله لأصحابه مكانكم فاني منطلق للبواب ومتلطف
له لعل أدخل فأقبل حتى دنا من الباب ثم تقنع بثوب كأنه
يقضى حاجته وقد دخل الناس فهتف به البواب أدخل يا عبد
الله ان كنت تريد الدخول فاني أريد ان أغلق الباب فدخل

وكن حتى نام البواب فأخذ المفاتيح وفتح ليسهل له الحرب ثم توجه الى بيت أبي رافع وصار يفتح الأبواب التي توصل اليه وكلما فتح باباً أغلقه من داخل حتى انتهى اليه فاذا هو في بيت مظلم وسط عياله فلم يمكنه تمييزه فنادى يا أبا رافع فال من فأهوى بالسيف نحو الصوت فلم يغب شيئاً وعند ذلك قالت امرأته هذا صوت ابن أبي عتيك فقال لها شككتك أمك وأين ابن أبي عتيك الآن فنادى عبدالله للنداء مغيراً صوته قائلاً ما هذا الصوت الذي نسمعه يا أبا رافع قال لا أمك الويل ان رجلاً في البيت ضربني بالسيف فعمد اليه فضربه أخرى لم تغن شيئاً فتوارى ثم جاءه كالمغيث وغير صوته فوجده مستلقياً على ظهره فوضع السيف في بطنه وتحامل عليه حتى سمع صوت العظام ثم خرج من البيت وكان نظره ضعيفاً فوق من فوق السلم فانكسرت رجله فمصبتها بعمامة ثم انطلق الى أصحابه وقال النجاة فذل والله أبو رافع فانتهاوا الى الرسول فحدثوه ثم قال لعبدالله بسط رجلك فمسحها عليه السلام فكانها لم يشتكها قط وعادت أحسن ما كانت فانظر رعاك لله الى ما كان عليه المسلمون من استسهال المصائب ما دامت

سرية

في ارضاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فرضى الله عنهم وأرضاهم
(ولما) قتل كعب ولى اليهود مكانه أسير بن رزام فارسى
عليه السلام من يستعلم له خبره فجاءته الاخبار بأنه قال اقومه
سأصنع بمحمد ما لم يصنعه أحد قبلى أسير الى غطفان فاجمعهم
لحربه وسعى فى ذلك فأرسل له عليه السلام عبدالله بن رواحة
الحزرجى فى ثلاثين من الأنصار لاستمالة فخرجوا حتى قدموا
خير وقالوا لأسير نحن آمنون حتى نعرض عليك ما جئنا له
قال نعم ولى مثل ذلك فأجابوه ثم عرضوا عليه أن يقدم على
رسول الله ويترك ما عزم عليه من الحرب فيولى الرسول على
خير فيعيش أهلها بالسلام فأجاب الى ذلك وخرج فى ثلاثين يهودياً
كلهم ودى رديف لمسلم وبينما هم فى الطريق ندم أسير على
مجيئه وأراد التخلص مما فعل بالغدر بمن آمنوه فاهوى بيده الى
سيف عبد الله بن رواحة فقال له أغدراً يا عدو الله ثم نزل
وضربه بالسيف فطاح عامة نخذه ولم يلبث أن هلك فقام
المسلمون على من معه من اليهود فقتلوه عن آخرهم
وهذا عاقبة الغدر

قصة عكل
وعرية

قدم على رسول الله فى شوال جماعة من عكل وعريته

فأظهروا الاسلام وبايعوا رسول الله وكانوا سقماً مصفرة
ألوانهم عظيمة بطونهم فلم يوافقهم هواء المدينة فأمر لهم
عليه السلام بذود من الابل معها راع وأمرهم بالالحوق بها
في مرعاها ليشرّبوا من ألبانها وأبوالها ففعلوا ولما تم شفاؤهم
جازوا الاحسان كفراً فقتلوا الراعى ومثلوا به واستاقوا
الابل فلما بلغ ذلك رسول الله أرسل وراءهم كرز بن جابر
الفهري في عشرين فارساً فلحقوا بهم وقبضوا على جميعهم ولما
جىء بهم المدينة أمر عليه السلام بأن يمثل بهم كما مثلوا بالراعى
فقطعت أيديهم وأرجلهم وسمرت أعينهم وألقوا بالحرة حتى
ماتوا فهكذا يكون جزاء الخائن الذى لا ينتظر منه صلاح
وعمل هؤلاء الشريرين مما يدل على فساد الأصل ولؤم العشيرة
جلس أبو سفيان بن حرب يوماً فى نادى قومه فقال
ألا رجل يذهب لمحمد فيقتله غدراً فإنه يمشى بالأسواق لنستريح
منه فتقدم له رجل وتعهد بما أراد فأعطاه راحلة ونفقة
وجهزه لذلك فخرج الرجل حتى وصل الى المدينة صبح
سادسة من خروجه فسأل عن رسول الله مدل عليه وهو
بمسجد بنى عبد الاشهل فلما رآه عليه السلام قال ان هذا

الرجل ليزيد غدرًا وان الله مانعني منه فذهب لينحني على
الرسول فجذبه أسيد بن حضير من ازاره وهنالك سقط
الخنجر فندم الرجل على فعلته ثم سأله عليه السلام عن سبب
عمله فأصداقه بعد ان توثق من حفظ دمه فحلى عليه السلام سبيله
فقال الرجل والله يا محمد ما كنت أخاف الرجال فما هو الا أن
رأيتك فذهب عقلي وضعفت نفسي ثم انك اطلعت على ما
هممت به مما لم يعلمه أحد فعرفت انك ممنوع وانك على حق
وان حزب أبي سفيان حزب الشيطان ثم أسلم وعند ذلك
أرسل عليه السلام عمرو بن أمية الضمري وكان رجلا جريًا
فانكأ في الجاهلية وأصبحه برفيق ليقبلا أبا سفيان غيلة جزاء
اعتدائه فلما قدما مكة توجهتا ليطوفا بالبيت قبل أن يؤديا ما
أرسلأ له فعرف عمرًا أحد رجال مكة فقال هذا عمرو بن
أمية ما جاء الا بشر فلما رأهم علموا به لم يجد مناصا من
الهرب فاصطحب معه رفيقه ورجعا الى المدينة وكان الله
سبحانه أراد ان يبعث أبو سفيان حتى يسلم بيده مفاتيح مكة
للمسلمين ويعتق الدين الخفيف القويم

غزوة الخديجة رأى عليه السلام في نومه أنه دخل هو وأصحابه المسجد

قريش وأخبرهم الخبر ولما كان عليه السلام بثنية المزار بركت ناقته فزجروها فلم تقم فقالوا خلّات القصواء فقال عليه السلام ما خلّأت وما ذلك لها بخلق ولكن حبسها حابس الفيل والذي نفس محمد بيده لا تدعوني قريش لحصلة فيها تعظيم حرّمت الله إلا أجبتهم إليها مع أن المسلمين لو قاتلوا أعداءهم في مثل هذا الوقت لظفروا بهم ولكن كف الله أيدي المسلمين عن قريش وكف أيدي قريش عن المسلمين كيلا تنهك حرّمت البيت الذي أراد الله أن يكون حرماً آمناً يوطد فيه المسلمون من جميع الاقطار دعائم اخوتهم فيه ثم أمرهم عليه السلام بالنزول في أقصى الحديبية وهناك جاءه بديل بن ورقاء الخزاعي رسولاً من قريش يسأل عن سبب محبتي المسلمين فأخبره عليه السلام بمقصده فلما رجع بديل الى قريش وأخبرهم ذلك لم يثقوا به لأنه من خزاعة الموالية لرسول الله كما كانت كذلك لأجداده وقالوا أريد محمد أن يدخل علينا في جنوده معتمراً تسمع العرب انه قد دخل علينا عنوة وبيتنا وبينه من الحرب ما بيننا والله لا كان هذا أبداً ومنا عين تطرف ثم أرسلوا الحليس بن علقمة سيد الأحابيش وهم حلفاء قريش فلما رآه

عليه السلام قال هذا من قوم يعظمون الهدى ابعثوه في وجهه
حتى يراه ففعلوا واستقبله الناس يلبون فلما رأى ذلك الحليس
رجع وقال سبحان الله ما ينبغي لهؤلاء ان يصدوا اتحج لحجم وجدام
وحير ويمنع عن البيت ابن عبد المطلب هاكت قريش ورب
البيت ان القوم اتوا معتمرين فلما سمعت قريش منه ذلك
قالوا له اجلس انما انت اعرابي لا علم لك بالمشايد ثم أرسلوا
عروة بن مسعود الثقفي سيد أهل الطائف فتوجه الى رسول
الله وقال يا محمد قد جمعت أوباش الناس ثم جئت بهم الى
أصلك وعشيرتك لتفضها بهم انها قريش قد خرجت تعاهد
الله ان لا تدخلها عليهم عنوة أبداً وإيم الله لك اني بهؤلاء قد
انكشفوا عنك فقال منه أبو بكر وقال نحن ننكشف عنه ويحك
وكان عروة يتكلم وهو يمس لحية رسول الله فكان المغيرة بن شعبة
يقرع يده اذا أراد ذلك ثم رجع عروة وقد رأى ما يصنع
بالرسول أصحابه لا يتوضأ وضوءاً الا كادوا يقتلون على فضل
وضوئه ولا يبصق بصاقاً الا كادوا يقتلون عليه يتمسحون
به واذا تكلموا خفضوا أصواتهم عنده ولا يحدون النظر اليه
فقال والله يا معشر قريش جئت كسرى في ملكه وقيصر في

عظمته فما رأيت ملاكاً في قومه مثل محمد في أصحابه ولقد رأيت قوماً لا يسلمونه لشيء أبداً فانظروا رأيكم فانه عرض عليكم رشداً فاقبلوا ما عرض عليكم فاني لكم ناصح مع أني أخاف أن لا تنصروا عليه فقالت قريش لا تتكلم بهذا ولكن زرده عامنا ويرجع الى قابل ثم ان الرسول اختار عثمان بن عفان رسولاً من عنده الى قريش حتى يعلمهم مقصده فتوجه وتوجه معه عشرة استأذنوا الرسول في زيارة أقاربهم وكلف عليه السلام عثمان أن يأنى المسنضعفين من المؤمنين بمكة فيبشرهم بقرب الفتح وان لا مظهر دينه فدخل عثمان مكة في جوار أبان بن سعيد الأموي^١ نبيهم ما مل فقالوا ان محمداً لا يدخلها علينا عنوة أبداً ثم طابوا منه ان يطوف بالبيت فقال لا أطوف ورسول الله ممنوع ثم انهم حبسوه فشناع عند المسلمين أن عثمان قتل فقال عليه السلام - فما سمع ذلك بيعة الرضوان لا نبرح حتى نناجزهم الحرب ودعا الناس للبيعة على القتال فبايعوه تحت شجرته هناك (سميت بعد بشجرة الرضوان) على الموت فشناع أمر هذه البيعة في قريش فداخاتهم منهار عبي عظيم وكانوا فدأروا^٢ خمسين رجلاً عليهم مكرز بن

حفص ليطوفوا بمسكر المسلمين عليهم يصبوا منهم غرة
 فأسرههم حارس الحليش محمد بن مسلمة وهرب رئيسهم
 ولما علمت بذلك قريش جاء جمع منهم وابتدؤا يناوشون
 المسلمين حتى أسر منهم اثنا عشر رجلاً وقتل من المسلمين واحد
 وعند ذلك خافت قريش وأرسلت سهيل بن عمرو للمكاملة في
 الصلح فلما جاء قال يا محمدان الذي حصل ليس من رأى عقلاً ثناً
 بل شيء قام به السفهاء منا فابعث الينا بمن أسرت فقال حتى
 ترسلوا من عندكم وعندئذ أرسلوا عثمان والعشرة الذين معه
 ثم عرض سهيل الشروط التي تريدها قريش وهي (١) وضع
 الحرب بين المسلمين وقريش أربع سنوات (٢) من جاء
 المسلمين من قريش يردونه ومن جاء قريشاً من المسلمين لا
 يلزمون برده (٣) أن يرجع النبي من غير عمرة هذا العام ثم
 يأتي العام المقبل فيدخلها بأصحابه بعد أن تخرج منها قريش
 فيقيم بها ثلاثة أيام ليس مع أصحابه من السلاح إلا السيف في
 القراب والقموس (٤) من أراد أن يدخل في عهد محمد من غير
 قريش دخل فيه ومن أراد أن يدخل في عهد قريش
 دخل فيه فقبل عليه السلام كل هذه الشروط أما

المسلمون فداخلهم منها أمر عظيم وقالوا سبحان الله كيف نرد اليهم من جاءنا مسلماً ولا يردون من جاءهم مرتداً فقال عليه السلام انه من ذهب منا اليهم فأبعده الله ومن جاءنا منهم فردناه اليهم فسيجعل الله له فرجاً ومخرجاً أما الأمر الثالث وهو صد المسلمين عن الطواف بالبيت فكان أشد أثراً على قلوبهم لأن الرسول أخبرهم انه رأى في منامه انهم دخلوا البيت آمنين وقد سأل عمر أبا بكر في ذلك فقال رضى الله عنه وهل ذكر انه في هذا العام ثم كتبت شروط الصالح بين الطرفين وكان الكتاب على بن أبي طالب فأملأه عليه السلام بسم الله الرحمن الرحيم فقال سهيل اكتب باسمك اللهم فأمره الرسول بذلك ثم قال هذا ما صالح عليه محمد رسول الله فقال سهيل لو نعلم أنك رسول الله ما خالفناك اكتب محمد بن عبد الله فأمر عليه السلام علياً بمحو ذلك وكتابة محمد بن عبد الله فامتنع فحاجها النبي بيده وكتبت نسختان نسخة لقريش ونسخة للمسلمين وبعد كتابة الشروط جاءهم أبو جندل بن سهيل يحجل في قيوده وكان من المسلمين ممنوعين من الهجرة فهرب للمسلمين هذه المرة ليحموه فقال له عليه السلام اصبر واحتسب فان الله

جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجا ومخرجا انا قد
عقدنا بين القوم صلحاً وأعطيناهم وأعطينا على ذلك عهداً
فلا تغدر بهم هذا وقد دخلت قبيلة خزاعة في عهد رسول الله
ودخل بنو بكر في عهد قريش

ولما انتهى الأمر عليه السلام أصحابه أن يحلقوا رؤسهم
وينحروا الهدى ليتحللوا من عمرتهم فاحتمل المسلمون من
ذلك همّاً عظيماً حتى انهم لم يبادروا بالامثال فدخل عليه
السلام على أم المؤمنين أم سلمة وقال لها هلك المسلمون
أمرتهم فلم يمتثلوا فقالت يا رسول الله اءذرهم فقد حمت
نفسك أمراً عظيماً في الصلح ورجع المسلمون من غير فتح
فهم لذلك مكروبون ولكن اخرج يا رسول الله وابدأهم بما
تريد فاذا رأوك فعلت تبعوك فقام عليه السلام الى هديه فنحرها
ودعا بالخلق فحاق رأسه فلما رآه المسلمون توابوا الى الهدى
فنحروه وحلقوا ثم رجع المسلمون الى المدينة وقد أمن كل فريق
الآخر ولما قرّر قرارهم جاءتهم مهاجرة أم كلثوم بنت عقبة بن
أبي معيط أخت عثمان لأمه فطليها المشركون فقالت يا رسول
الله اني امرأة وان أرجعت اليهم فتنوني في ديني فانزل الله (يا أيها

الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن الله أعلم
 بإيمانهن فإن علمتهن مؤمنات فلا ترجعوهن إلى الكفار لانهن
 حل لهن ولأهلهن يحلون لهن وآتوهن ما أنفقوا ولا جناح عليكم
 أن تنكحوهن إذا آتيتوهن أجورهن ولا تمسكوا بعصم الكوافر
 واسألوا ما أنفقتم وليسألوا ما أنفقوا ذلكم حكم الله ليحكم بينكم والله
 عليم حكيم فكانت المرأة المهاجرة تستحلف أنها ما خرجت رغبة
 بأرض عن أرض ولا من بغض زوج ولا لا لتماس دنيا ولا لرجل
 من المسلمين وما خرجت إلا حباً لله ولرسوله ومتى حلفت
 لا ترد بل يعطى لزوجها المشرک ما أنفق عليها ويجوز للمسلم
 تزوجها وفي الآية تحريم امساك الزوجة الكافرة بل ترد إلى
 أهلها بعد أن يعطوا ما أنفق عليها (وقد) تمكن أبو بصير رضي
 الله عنه من الفرار إلى رسول الله فأرسلت قريش في أثره
 رجلين يطلبان تسليمه فأمره عليه السلام بالرجوع معها فقال
 يا رسول الله أتردني إلى الكفار يفتنونني في ديني بعد أن خلصني
 الله منهم فقال إن الله جاعل لك ولاخوانك فرجاً فلم يجد بدا
 من اتباعه فرجع مع صاحبيه ولما قارب ذا الحليفة عدا على
 أحدهما فقتله وهرب منه الآخر فرجع إلى المدينة وقال يا رسول

الله وفت ذمتك أما أنا فنجوت فقال له اذهب حيث شئت ولا
تقم بالمدينة فذهب الى محل بطريق الشام تمر به تجارة قریش
فأقام به واجتمع معه جمع ممن كانوا مسلمين بمكة ونجوا وسار
اليه أبو جندل بن سهيل واجتمع اليه جمع من الأعراب وقطعوا
الطريق على تجارة قریش حتى قطعوا عنهم الامداد فأرسل
رجال قریش رسول الله يستغيثون به في ابطال هذا الشرط
ويعطونه الحق في امساك من جاءه مسلماً فقبل منهم ذلك وازاح
الله عن المسلمين هذه النعمة التي لم يتمكنوا من تحملها في الحديبية
حينما امرهم عليه السلام برد أبي جندل وعلموا ان رأى رسول
الله أفضل وأحسن من رأيهم حيث كان فيه أمن تسبب عنه
اختلاط الكفار بالمسلمين فخالطت بشاشة الاسلام قلوبهم حتى
قال أبو بكر رضى الله عنه ما كان فتح في الاسلام أعظم من
فتح الحديبية ولكن الناس قصر رأيهم عما كان بين محمد وربه
والعباد يعجلون والله لا يعجل لعجلة العباد حتى تبلغ الأمور ما
أراد وفي رجوعه عليه السلام من الحديبية نزلت عليه سورة
الفتح وقال سبحانه في أولها (انا فتحناك فتحاً مبيناً) وفي تسمية
هذه الغزوة بالفتح المبين تصديق لما قدمناه لك عن الصديق

مكتبة الملوك

وبعد رجوع المسلمين من الحديبية في أواخر سنة ست
وأمن الطرق من قريش راسل عليه السلام ملوك الارض
يدعوهم الى الاسلام واتخذ اذ ذاك خاتماً من فضة يختم به
خطاباته وكان نقشه (محمد رسول الله) فوجه دحية الكلبي
كتاب قيصر بكتاب الى قيصر ملك الروم وأمره ان يدفعه الى عظيم بصرى
ليوصله الى الملك وكان في الكتاب (بسم الله الرحمن الرحيم
من محمد بن عبد الله الى هرقل عظيم الروم سلام على من اتبع
الهدى أما بعد فاني أدعوك بدعاية الاسلام أسلم تسلم يؤتك
الله أجرك مرتين فان توليت فانما عليك اثم الأريسيين ويأهل
الكتاب تعاملوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ان لا نعبد الا الله ولا
نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فان
تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون) ولما وصل هذا الكتاب
قيصر قال انظروا لنا من قومه أحداً نسأله عنه وكان أبو سفيان
ابن حرب بالشام مع رجال من قريش في تجارة فجاءت رسل
فيصر لأبي سفيان ودعوه لمقابلة الملك فأجاب ولما قدموا عليه
في القدس قال لترجمانه سلهم أيهم أقرب نسباً بهذا الرجل الذي
يزعم أنه نبي فقال أبو سفيان أنا لانه لم يكن في الركب من

حديث

أ. د. سفيان

بنى عبد مناف غيره فقال قيصر اذن منى ثم أمر بأصحابه ففعلوا
 خلف ظهره ثم قال لترجمانه فل لاصحابه انما قدمت هذا امامكم
 لا سأله عن هذا الرجل الذى يزعم انه نبى وقد جعلتكم خلقه
 كيلا تتخجلوا من رد كذبه عليه اذا كذب ثم سأله كيف نسب
 هذا الرجل فيكم قال هو منا ذو نسب قال هل تكلم بهذا
 القول أحد منكم قبله قال لا قال هل كنتم تهمونه بالكذب
 قبل ان يقول ما قال قال لا قال فهل كان من آبائه من ملك
 قال لا قال فأشرف الناس يتبعونه أم ضعمفاؤهم قال بل
 ضعمفاؤهم قال فهل يزيدون أم ينقصون قال بل يزيدون
 قال هل يرتد أحد منهم سخطة لدينه قال لا قال هل يندر
 اذا عاهد قال لا ونحن الآن منه فى ذمة لا ندرى ما
 هو فاعل فيها قال فهل قاتلتموه قال نعم قال فكيف حربكم
 وخبره قال الحرب بيننا وبينه سجال مرة لنا ومرة علينا قال
 فبم يأمركم قال يقول اعبدوا الله : حده ولا تشركوا به شيئاً
 وينهى عما كان يعبد آباؤنا ويأمر بالصلاة والصدق والعفاف
 والوفاء بالعهد وأداء الامانة فقال الملك انى سألتك عن نسبه
 فزعمت انه فيكم ذو نسب وكذلك الرسل تبعث فى

نسب قومها وسألتك هل قال أحد منكم هذا القول قبله
فرعمت أن لا فلو كان أحد قال هذا القول قبله لقلت رجل
يأثم بقول قيل قبله وسألتك هل كنتم تتهمون بالكذب قبل
أن يقول ما قال فرعمت أن لا فقلت ما كان ليدع الكذب
على الناس ويكذب على الله وسألتك هل كان من آباءه من
ملك فقلت لا فلو كان من آباءه ملك لقلت رجل يطلب ملك
أبيه وسألتك أشرف الناس يتبعونه أم ضعفاؤهم فقلت
ضعفاؤهم وهم أتباع الرسل وسألتك هل يزيدون أم ينقصون
فقلت بل يزيدون وكذلك الإيمان حتى يتم وسألتك
هل يرتد أحد منهم سخطة لدينه فقلت لا وكذلك الإيمان
حين تخالط بشاشته القلوب وسألتك هل قاتلتهموه
فقلت نعم وإن اخرج بينكم وبينه سجال وكذلك الرسل
تبتلى ثم تكون لهم العاقبة وسألتك بماذا يأمر فرعمت أنه يأمر
بالصلاة والصدق والعفاف والوفاء بالعهد وأداء الأمانة وسألتك
هل يغدر فذكرت أن لا وكذلك الرسل لا تغدر فعلمت أنه نبي
وقد علمت أنه مبعوث ولم أظن أنه فيكم وإن كان ما كلمتني به حقاً
فسيملك موضع قدمي هاتين ولو أعلم أني أخلص إليه لتكلفت ذلك

قال أبو سفيان فعلت أصوات الذين عنده وكثر لفظهم فلا أدري
ما قالوا وأمر بنا فأخرجنا فلما خرج أبو سفيان مع أصحابه قال
لقد بلغ أمر ابن أبي كبشة أن يخافه ملك بني الأصفر ولما
سار قصر إلى حمص أذن لعظماء الروم في دسكرة له ثم أمر
بأبوابها فأغلقت ثم قال يا معشر الروم هل أنكم في الانحلال
والرشد وأن ثبت ملككم فقبوا هذا النبي فخاصوا حبصه
حمر الوحش إلى الأبواب فوجدوها مغلقة فلما رأى فيصر
نفرتهم قال ردوهم على فقال لهم اني فلت مفاتيح أخبر بها
شدتكم على دينكم فسجدوا له ورضوا عنه فغلبه حب ملكه
على الاسلام فذهب بآله وأهله وعقبه كما قال عليه الصلاة
والسلام ولكنه رد دحية رداً جليلاً

وأرسل عليه السلام المنذر بن عمرو الأزدي بكتاب ^{كاتب} ^{أمر مصر}
إلى أمير ^{أمر} فلما بلغ ^{أمر} وهي قرية من عمل النصارى بالبلاد
نعرض له حبان بن عمرو والفسار فقالا: ابن تيريد هذا النصارى قال
لعلك من رسل محمد قال: نعم فأمر به فضررت. فماتوا
لرسول الله عليه السلام رسول شديداً وفداً ^{أمر} جداً
شديداً

كتاب الحارث

ووجه عليه السلام شجاع بن وهب الى أمير دمشق من قبل هرقل الحارث بن أبي شمر وكان يقيم بغوطها وفيه (بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى الحارث بن أبي شمر سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله وصدق واني أدعوك أن تؤمن بالله وحده لا شريك له ببق ملكك) فلما قرأ الكتاب دعى به وقال من ينزع ملكي مني واستعد ليرسل جيشاً لحرب المسلمين وقال لشجاع أخبر صاحبك بما ترى ثم أرسل الى قيصر يستأذنه في ذلك وصادف ان كان عنده دحية فكتب قيصر اليه يثنيه عن هذا العزم ويأمره بأن يهيئ بايليا ما يلزم لزيارته فانه بعد أن قهر الفرس نذر زيارتها فلما رأى الحارث كتاب قيصر صرف شجاع بن وهب بالحسنى ووصله بنفقة وكسوة

كتاب المقوقس

ووجه عليه السلام حاطب بن أبي بلتعة بكتاب الى المقوقس أمير مصر من جهة قيصر وكان فيه (بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى المقوقس عظيم القبط سلام على من اتبع الهدى أما بعد فاني أدعوك بدعاية الاسلام أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين وان توليت فانما عليك

أثم القبط ويا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة الآية) فأوصله له
حاطب بسكندرية فلما قرأه قال ما منعه أن كان نبياً أن يدعو
على من خالفه وأخرجه من بلده فقال حاطب أأست تشهد
أن عيسى بن مريم رسول الله فماله حيث أخذه قومه فأرادوا
أن يقتلوه أن لا يكون دعا عليهم أن يهلكهم الله حتى رفعه الله
إليه قال أحسنت أنت حكيم جاء من عند حكيم ثم قال اني
قد نظرت في أمر هذا النبي فوجدت انه لا يأمر بمزهود فيه ولا
ينهى عن مرغوب فيه ولم أجده بالساحر الضال ولا الكاهن
الكذاب ووجدت معه آلة النبوة اخراج الغائب المستور
والاخبار بالنجوى وسأنظر ثم كتب رد الجواب يقول فيه
(بسم الله الرحمن الرحيم لمحمد بن عبد الله من المقوقس عظيم
القبط سلام عليك أما بعد فقد قرأت كتابك وفهمت ما
ذكرت فيه وما تدعو إليه وقد علمت أن نبياً قد بقي وكنت
أظن انه يخرج بالشام وقد اكرمت رسولك وبعثت لك
بجارتين لهما مكان عظيم في القبط وبشباب وأهديت اليك
بغلة تركبها والسلام) واحدى الجارتين مارية التي تسرى بها
عليه السلام وجاء منها بولده براهيم والأخرى أعطاها الحسن بن

ثابت ولم يسلم المقوقس

كتاب النجاشي

ووجه عليه السلام عمرو بن أمية الضمري بكتاب الى
 النجاشي ملك الحبشة وفيه (بسم الله الرحمن الرحيم من محمد
 رسول الله الى النجاشي عظيم الحبشة سلم أما بعد فاني أحمد اليك
 الله الذي لا اله الا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن
 وأشهد أن عيسى بن مريم روح الله وكلمته ألقاها الى مريم
 البتول الطيبة الحصينة فحمت بعيسى من روحه ونفخه كما
 خلق آدم يديه واني أدعوك الى الله وحده لا شريك له
 والموا لاق على طائفة وان تآبني وتوقن بالذي جاءني فاني رسول
 الله واني أدعوك وجنودك الى الله عز وجل وودعته ونصحت
 فاقبوا نصيحتي والسلام على من ابع الهدى) ولما وصله الكتاب
 احترمه غاية الاحترام وقال الله واني أعلم والله أن عيسى
 بش به ما كن اعوانى الحبشة فاني فأظنني حتى اكثر الاعوان
 والذين القلوب وودعهم صم وعل من بق من مهاجري الحبشة
 الرجوع الى رسول الله لما نته وكان من المهاجرين أم حبيبة بنت
 أبي سفيان زوج خبيبة بن بيش الذي كان أسلم ومهاجرين اكر
 قد غلبت عليه الذم فقتلته فقتله ج عليه السلام أن حبيبة وهو

بالحبشة والذي زوجها له النجاشي بتوكيل منه عليه السلام

ووجه عليه السلام عبدالله بن حذافة السهمي بكتاب الى كتاب كسرى

كسرى ملك الفرس وفيه (بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى كسرى عظيم فارس سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله وشهدان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمداً عبده ورسوله أدعوك بدعاية الله فاني انا رسول الله الى الناس كافة لا أنذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين أسلم تسلم فان ابيت فانما عليك اثم المجوس) فلما وصله الكتاب مزقه استكباراً ولما بلغه ذلك عليه السلام قال مزق الله ملكه كل ممزق وقد فعل فكانت مملكته أقرب الممالك سقوطاً وقد بدأ هذا الشق بالعدوان فارسل لعامله باليمن أن يوجه الى الرسول من يأتي به اليه فعاجله الله بقيام ابنه شيرويه عليه وقته له ثم أرسل لعامل اليمن ينهيه عما أمره به أبوه

كتاب المنذر

ابن ساوى

ووجه عليه السلام العلاء بن الحضرمي بكتاب الى المنذر

ابن ساوى ملك البحرين يدعوه فيه الى الاسلام فاسلم وكتب في رد الجواب (اما بعد يا رسول الله فاني قرأت كتابك على أهل البحرين فمنهم من أحب الاسلام وأعجبه ودخل فيه ومنهم

من كرهه وبأرضى مجوس ويهود فأحدث الى تفي ذلك أمرك)
 فكذب اليه عليه السلام (بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول
 الله الى المنذر بن ساوى سلام عليك فاني أحمد الله اليك الذي
 لا اله الا هو وأشهد ان لا اله الا الله وان محمداً عبده ورسوله
 أما بعد فاني أذكرك الله عز وجل فانه من ينصح فانما ينصح
 لنفسه وانه من يطع رسلي ويتبع أمرهم فقد أطاعني ومن
 نصح لهم فقد نصح لي وان رسلي قد أثبوا عليك خيراً واني
 قد شفعتك في قومك فأتارك للمسلمين ما أسلموا عليه وعفوت عن
 أهل الذنوب فاقبل منهم وانك مهما تصلح فلن نغيرك عن عملك
 ومن أقام على يهوديته او مجوسيته فعليه الجزية)

كتاب ملكي
 عمان

ووجه عليه السلام عمر وبن العاص بكتاب الى جيفر وعبد
 ابني الجندى ملكي عمان وفيه (بسم الله الرحمن الرحيم من محمد
 رسول الله الى جيفر وعبد ابني الجندى سلام على من اتبع
 الهدى اما بعد فاني أدعوكم اذ عوكم اذ دعاية الاسلام أسلما تسلموا فاني
 رسول الله الى الناس كافة لا أنذر من كان حياً ويحق القول
 على الكافرين وانكما ان اقررتم بالاسلام وليتكما وان أبيتما
 فان ملككما زائل وخبلي تحمل بساكتكما وتظهر نبوتي على

ملككم والسلام

فلما حل بناديهما عمرو وسأله عبد بن الجندى عما يأمر به الرسول وينهى عنه فقال يأمر بطاعة الله عز وجل وينهى عن معصيته ويأمر بالبر وصلة الرحم وينهى عن الظلم والعدوان والزنا وشرب الخمر وعن عبادة الحجر والوثن والصليب فقال ما أحسن هذا الذى يدعو اليه ولو كان أخى يتابعنى لركبنا حتى نؤمن بمحمد ونصدق به ولكن أخى أضل بملكه من ان يدعه ويصير تابعاً قال عمرو ان أسلم أخوك ملكه رسول الله على قومه فأخذنا الصدقة من غنيهم فردها على فقيرهم فقال عبدان هذا خلقت حسن وما الصدقة فأخبره بما فرض الله من الصدقات فى الاموال ولما ذكر المواشى قال يا عمرو يؤخذ من سوائم مواشينا التى ترعى فى الشجر وترد المياه قال نعم فقال عبد والله ما أرى قوماً على بعد دارهم وكثرة عددهم يرضون بهذا ثم ان عبداً أوصل عمرأخيه جيفر فتكلم معه عمرو بما ألان قلبه حتى أسلم هو واخوه ومكناه من الصدقات

كتاب هودة
ابن على

ووجه عليه السلام سليط بن عمرو العاصرى بكتاب الى هودة بن على ملك اليمامة وفيه (بسم الله الرحمن الرحيم من

محمد رسول الله الى هود بن علي سلام علي من اتبع الهدى
واعلم أن ديني سيظهر الى منتهى الحف والخافر فأسلم تسلم وأجعل
لك ما تحت يديك) فلما جاءه الكتاب كتب في رده (ما أحسن
ما تدعوا اليه وأجمله وأنا شاعر قومي وخطيبهم والعرب تهاب
مكاني فاجعل لي بعض الامر أتبعك) ولما بلغ ذلك رسول
الله قال لوسائلي قطعة من الارض ما فعات باد وباد ما في يديه
فلم يلبث أن مات منصرف الرسول من فتح مكة وكان عليه
السلام يولي على كل قوم قبلوا الاسلام كبيرهم

السنة السابعة
غزوة خيبر

وفي محرم السنة السابعة أمر عليه السلام بالتجهز لغزو
يهود خيبر الذين كانوا اعظم مهيج للاحزاب ضد رسول الله
في غزوة الخندق والذين لا يزالون مجتهدين في مخالفة الاعراب
ضد رسول الله كما قدمنا ذلك في قصة كعب بن الاشرف
وقد استنفر رسول الله لذلك من حوله من الاعراب الذين
كانوا معه بالحديبية وجاء المخلفون عنها ليؤذن لهم فقال عليه
السلام لا تخرجوا معي الارغبة في الجهاد اما الغنيمة فلا أعطيكم
منها شيئا وأمر منادياً ينادي بذلك ثم خرج عليه السلام بعد
ازولي على المدينة سبع بن عرفة الغفاري وكان معه من أزواجه

أم سلمة ولما وصل جيش المسلمين الى خير التي تبعد عن
 المدينة نحو مائة ميل من الشمال الغربي رفعوا أصواتهم بالتكبير
 والدعاء فقال عليه السلام (ارفقوا بأنفسكم فانكم لا تدعون
 أصم ولا غائباً انكم تدعون سميعاً قريباً وهو معكم) وكانت
 حصون خيبر ثلاثاً منفصلة عن بعضها وهي حصون النطاة
 وحصون الكثيبة وحصون الشق والاولى ثلاث حصن ناعم
 وحصن الصعب وحصن قلة والثانية حصنان حصن أبي
 وحصن البرى والثالثة ثلاثة حصون حصن القموص
 وحصن الوطيح وحصن سلام فبدأ عليه السلام بحصون النطاة
 وعسكر المسلمون شرقية بعيداً عن مدى النبل وأمر عليه
 السلام ان يقطع نخلمهم ليرهبهم حتى يسلموا فقطع المسلمون
 نحو أربع مائة نخلة ولما رأى عليه السلام تصميم اليهود على
 الحرب نهى عن القطع ثم ابتدأ القتال مع حصن ناعم بالرماة
 وكان لواء المسلمين بيد أحد المهاجرين فلم يصنع في ذلك اليوم
 شيئاً وفيه مات محمود بن مسلمة أخو محمد بن مسلمة وصار
 عليه السلام يفدو كل يوم مع بعض الجيش للمناوشة ويخلف
 على العسكر أحد المسلمين حتى اذا كانوا في الليلة السابعة ظفر

محمد رسول الله الى هوذه بن علي سلام علي من اتبع الهدى
واعلم أن ديني سيظهر الى منتهى الخف والحافر فأسلم تسلم وأجعل
لك ما تحت يديك) فلما جاءه الكتاب كتب في رده (ما أحسن
ما تدعوا اليه وأجمله وأنا شاعر قومي وخطيبهم والعرب تهاب
مكاني فاجعل لي بعض الامر أتبعك) ولما بلغ ذلك رسول
الله قال لوسائلي قطعة من الارض ما فعلت باد وباد ما في يديه
فلم يلبث أن مات منصرف الرسول من فتح مكة وكان عليه
السلام يولي على كل قوم قبلوا الاسلام كبيرهم

السنة السابعة

غزوة خيبر

وفي محرم السنة السابعة أمر عليه السلام بالتجهز لغزو
يهود خيبر الذين كانوا اعظم مهيج للاحزاب ضد رسول الله
في غزوة الخندق والذين لا يزالون مجتهدين في مخالفة الاعراب
ضد رسول الله كما قدمنا ذلك في قصة كعب بن الاشرف
وقد استنفر رسول الله لذلك من حوله من الاعراب الذين
كانوا معه بالحديبية وجاء الخلفون عنها ليؤذن لهم فقال عليه
السلام لا تخرجوا معي الارغبة في الجهاد اما الغنيمة فلا أعطيكم
منها شيئا وأمر منادياً ينادى بذلك ثم خرج عليه السلام بعد
ان ولى على المدينة سباع بن عرفة الغفاري وكان معه من أزواجه

أم سلمة ولما وصل جيش المسلمين الى خيبر التي تبعد عن
المدينة نحو مائة ميل من الشمال الغربي رفعوا أصواتهم بالتكبير
والدعاء فقال عليه السلام (ارفقوا بأنفسكم فانكم لا تدعون
أصم ولا غائباً انكم تدعون سميعاً قريباً وهو معكم) وكانت
حصون خيبر ثلاثاً منفصلة عن بعضها وهي حصون النطاة
وحصون الكثيبة وحصون الشق والاولى ثلاث حصن ناعم
وحصن الصعب وحصن قلة والثانية حصنان حصن أبيّ
وحصن البرىء والثالثة ثلاثة حصون حصن القموص
وحصن الوطيح وحصن سلام فبدأ عليه السلام بحصون النطاة
وعسكر المسلمون شرقية بعيداً عن مسدى النبل وأمر عليه
السلام ان يقطع نخاهم ليرهبهم حتى يسلموا فقطع المسلمون
نحو أربع مائة نخلة ولما رأى عليه السلام تصميم اليهود على
الحرب نهى عن القطع ثم ابتدأ القتال مع حصن ناعم بالرماة
وكان لواء المسلمين بيد أحد المهاجرين فلم يصنع في ذلك اليوم
شيئاً وفيه مات محمود بن مسلمة أخو محمد بن مسلمة وصار
عليه السلام يندو كل يوم مع بعض الجيش للمناوشة ويخلف
على العسكر أحد المسلمين حتى اذا كانوا في الليلة السابعة ظفر

حارس الجيش وهو عمر بن الخطاب يهودى خارج فى جوف
 الليل فأتى به رسول الله عليه السلام ولما أدرك الرجل الرعب
 قال ان أمتموني أدلكم على أمر فيه نجاحكم فقالوا دلنا فقد
 أمناك فقال ان أهل هذا الحصن أدركهم الملال والتعب وقد
 تركهم يبعثون بأولادهم الى حصون الشق وسيخرجون
 لقتالكم غداً فاذا فتح عليكم هذا الحصن غداً فاني أدلكم على
 بيت فيه منجنيق ودبابات ودروع وسيوف يسهل عليكم بها فتح
 بقية الحصون فانكم تنصبون المنجنيق ويدخل الرجال تحت
 الدبابات فيحفرون الحصن فتفتحه من يومك فقال عليه السلام
 لمحمد بن مسلمة سأعطى الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله
 ويحباؤه فبات المهاجرون والانصار كلهم يتمنونها حتى قال
 عمر بن الخطاب ما تميت الامارة الا ليلئذ فلما كان الغد
 سأل عليه السلام عن علي بن أبي طالب فقيل له انه ارمس
 فأرسل من يأتيه به ولما جاء تقل فى عينيه فشفاهما الله كأن لم
 يكن بهما شيء ثم اعطاه الراية فتوجه مع المسلمين للقتال وهناك
 وجدوا اليهود متجهزين فخرج يهودى يطلب البراز فقتله على
 ثم خرج مرحب وهو اشجع القوم فالحقه برقيقه فخرج اخوه

ياسر فقتله الزبير بن العوام ثم حمل المسلمون على اليهود حتى
كشفوهم عن مواقعهم وتبعوهم حتى دخلوا الحصن بالقوة
وانهزم الاعداء الى الحصن الذي يليه وهو حصن الصعب وغنم
المسلمون من حصن ناعم كثير آمن الحبز والتمر ثم تتبعوا اليهود الى
حصن الصعب فقاتل عنه اليهود قتالاً شديداً حتى رد عنه المسلمون
ولكن ثبت الحباب بن المنذر ومن معه وقاتلوا قتالاً شديداً
حتى هزموا اليهود وتبعوهم حتى اقتحموا عليهم الحصن فوجدوا
فيه غنائم كثيرة من الطعام فأمر عليه السلام منادياً يقول
كلوا واعلفوا دوابكم ولا تأخذوا شيئاً ثم ان الذين انهزموا
من هذا الحصن ساروا الى حصن قلة فتبعهم المسلمون وحاصروهم
ثلاثة أيام حتى استصعب عليهم فتحه وفي اليوم الرابع دلهم
يهودي على جداول الماء التي يستقي منها اليهود فمنعوها عنهم
فخرجوا وقاتلوا قتالاً شديداً انتهى بهزيمتهم الى حصون
الشق فتبعهم المسلمون وبدوا بحصن أبي نجرع أهلوه وقاتلوا
قتالاً شديداً أبلى فيه أبو دجانة الانصارى بلاء حسناً حتى
تمكن من دخول الحصن عنوة ووجد المسلمون فيه أثاناً كثيراً
ومتاعاً وغنائم وطعاماً وهرب المهزموں آمنه الى حصن البرىء

فتمنعوا به أشد التمتع وكان أهله أشد اليهود مياماً بالنبل والحجارة حتى أصاب رسول الله بعض منه فنصب المسلمون عليه المنجنيق فوقهم في قلب أهله الرعب وهربوا منه من غير عناء شديد فوجد فيه المسلمون أو انى لليهود من نحاس وفخار فقال عليه السلام اغسلوها واطبخوا فيها ثم تتبع المسلمون بقايا العدو إلى حصون الكثيفة وبدءوا بحصن القموص فحاصروه عشرين ليلة ثم فتحه الله على يد علي بن أبي طالب ومنه سميت صافية بنت حبي بن أخطب ثم سار المسلمون لحصار حصن الوطيح وسلام فلم يقاوم أهلها بل سلموا طالبين حقن دماهم وإن يخرجوا من أرض خيبر بذرايرهم لا يصطحب الواحد منهم الا ثوباً واحداً على ظهره فاجابهم رسول الله إلى ذلك وغنم المسلمون من هذين الحصنين مائة درع وأربعمائة سيف وألف رمح وخمسمائة قوس عربية ووجدوا صحفاً من التوراة فسلموها لطالبيها وقد أمر عليه السلام بقتل كنانة بن أبي الحقيق لانه انكر حل حبي بن أخطب وقد عثر عليها المسلمون فوجدوا فيها اساور ودمالج وخلاخيل واقرطة وخواتيم الذهب وعقود الجواهر والزمرذ وغير ذلك (هذا) والذين

استشهدوا من المسلمين بخير خمسة عشر رجلاً. قتل من اليهود ثلاثة
وتسعون رجلاً وفي هذه الغزوة اهدت احدى نساء اليهود
كراع شاة مسمومة لرسول الله فأخذ منها مضغاً ثم لفظها
حيث علم انها مسمومة واكل منها بشر بن البراء فمات لوقته
واحتجم رسول الله صلى الله عليه وسلم وجيء له بالمرأة التي
فعلت هذه القملة فسألها عن سبب ذلك فأجابت قلت ان كان
نبياً لئن يضره وان كان كاذباً اراحنا الله منه فعفا عنها عليه السلام

وبعد تمام الظفر والنهز تزوج عليه السلام صفية بنت
حيي سيد بني النضير وأصدقها عتقها وقد أسلمت رضى الله عنها
فشرفت بأمومة المؤمنين (ونهى) عليه السلام وهو بخير عن نكاح
المتعة وهي النكاح لاجل وقد كان حلالاً في الجاهلية واستعمل
في بدء الاسلام حتى حرمه الشرع في هذه السنة (ونهى)
كذلك عن أكل لحوم الحرم الاهلية فاكفأ المسلمون قدورها
بعد أن فضجت ولم يطعموها (وحين) رجوع المسلمين من خيبر
قدم من الحبشة جعفر بن أبي طالب ومعه الاشعريون أبو موسى
وقومه بعد ان أقاموا بها نحواً من عشر سنين آمنين مطمئنين
وفرح عليه السلام بمقدمهم فرحاً عظيماً وأعطى للاشعريين من

رجوع
مهاجري
الحبشة

مغانم الحصون المفتوحة صلحاً وكان مع جعفر أم حبيدة بنت
أبي سفيان أم المؤمنين (وقدم) في هذا الوقت على النبي عليه
السلام الدوسيون اخوان أبي هريرة رضى الله عنه وهو معهم
فأعطاهم أيضاً رسول الله

فتح فذك

وبعد تمام الفتح أرسل عليه السلام من يطلب من يهود
فذك (وهى حصن قريب من خيبر على ست ليال من المدينة)
الانقياد والطاعة فصالحوا رسول الله على ان يحقن دماءهم
ويتركوا الاموال وكانت أرض فذك هذه لرسول الله خاصة
ينفق منها على نفسه ويعود منها على صغير نى هاشم ويزوج
منها أيتهم

صلح تيماء

ولما بلغ يهود تيماء (وهى قرية على ثمان مراحل من
المدينة) مافعله المسلمون بيهود خيبر صالحوا على دفع الجزية
ومكثوا فى بلادهم آمنين مطمئنين

فتح وادى
القرى

ثم دعا عليه السلام يهود وادى القرى (وهو قرى بين
خيبر والشام) الى الاستسلام فأبوا وقاتلوا فقاتلهم المسلمون
وأصابوا منهم أحد عشر رجلاً وغنموا منهم مغانم كثيرة
خمسها عليه السلام وترك الارض فى أيدي أهلها يزرعونها

بشطر ما يخرج منها وكذلك صنع بأرض خيبر وكان يرسل اليهم
عبد الله بن رواحة لتقدير الثمر وكان تقديره شديداً عليهم
فأرادوا ان يرشوه فقال لهم يا أعداء الله تعطوني السحت والله
لقد جئناكم من عند أحب الناس الى ولا نتم أبغض الى من
القردة والخنازير ولا يحملني بغضى اياكم وحي اياه على ان لا
أعدل (هذا) وبانقياد جميع اليهود والمجاورين للمدينة ارتاح المسلمون
من شر عدو كان يتربص بهم الدوائر مهما كان بين الفريقين
من اليهود والمواثيق ورجع المسلمون مؤيدين ظافرين

وأعقب هذه الغزوة وهذا الفتح المبين اسلام ثلاثة طاملا
كانت لهم اليد الطولى فى قيادة الجيوش ضد المسلمين وهم خالد
ابن الوليد وعمرو بن العاصى وعثمان بن أبى طلحة فسر بهم
عليه السلام سهراً عظيماً وقال لخالد (الحمد لله الذى هداك قد
كنت أرى لك عقلاً رجوت أن لا يسلمك الا الى خير)
فقال يا رسول الله ادع الله لى ان يغفرتلك المواطن التى كنت
اشهداها عليك فقال له عليه السلام (الاسلام يقطع ما قبله)
وفى شعبان بلغه عليه السلام ان جمعا من هوازن بترية (محل
بين مكة وصنعاء) يظهرون العداوة للمسلمين فأرسل لهم عمر

سلام خالد
ورقيقه

سرية

ابن الخطاب في ثلاثين رجلاً فسار اليهم ولما بلغهم الخبر تفرقوا فلم يجد بها عمر أحدًا فرجع (ثم) أرسل بشير بن سعد الانصاري لقتال بني مرة بناحية فدك فلما ورد بلادهم لم ير منهم أحدًا فأخذ نعمهم أما القوم فكانوا في الوادي فجاءهم الصريخ فأدركوا بشيرًا ليلاً وهو راجع فتراموا بالنبل ولما أصبح الصبح اقتتل الفريقان قتالاً شديداً حتى قتل غالب المسلمين وجرح بشير جرحاً شديداً حتى ظن أنه مات ولما انصرف عنه العدو تحمل حتى جاء الى رسول الله وأخبره الخبر (وفي رمضان) أرسل عليه السلام غالب بن عبيدة الليثي الى أهل الميعة (على ثمانية برد من المدينة بناحية نجد) في مائة وثلاثين رجلاً فساروا حتى هجموا على القوم فقتلوا بعضاً وأسروا آخرين وفي اثناء الحرب طارد أسامة بن زيد رجلاً من المشركين ولما رأى المشرك الموت في يد أسامة تشهد فظن أسامة أن عدوه انما قال ذلك تخلفاً فقتله ولما رجع المسلمون الى المدينة وأخبر عليه السلام بفعلة أسامة قال له أقتلته بعد ان قال لا اله الا الله فكيف تصنع بلا اله الا الله قال يا رسول الله انما قالها متعوذاً

من القتل قال عليه السلام فهلاً شقت عن قلبه فتعلم أصادق هو ام كاذب فقال يا رسول الله استغفر لى قال عليه السلام فكيف بلاله الا الله فما زال يكررها حتى تمنى اسامة انه لم يسلم قبل ذلك اليوم وأنزل الله فى ذلك (ولا تقولوا لمن ألقى اليكم السلام لست مؤمناً تبتغون عرض الحياة الدنيا فعند الله مغانم كثيرة) ثم امر عليه السلام أسامة ان يعتق رقبة كفارة لانه قتل خذلاً (وفى) شوال بلغه عليه السلام أن عبيدة بن حصن واعد سرية جماعة من غطفان (كانوا مقيمين قريباً من خير بارض اسمها عين وجبار) الاغارة على المدينة فأرسل لهم بشير بن سعد فى ثلاثمائة رجل فساروا اليهم يكمنون النهار ويسرون الليل حتى اتوا محلهم فأصابوا نمماً كثيراً وتفرق الرعاء فاخبروا قومهم فرعبوا وحلقوا بعلياً بلادهم ولم يظفر المسلمون الا برجلين اسلما ثم رجعوا بالغنائم الى المدينة

لما حال الحول على عمرة المدينة خرج عليه السلام بمن عمرة القضاء صد معه فيها ليقضى عمرته واستخلف على المدينة أباذر الغفارى وساق معه الهدى ستين بدنة وأخرج معه السلاح حذراً من غدر قریش وكان معه مائة فرس عليها بشير بن سعد

وأحرم عليه السلام من باب المسجد المدني ولما انتهى الى ذى
 الخليفة قدم الخيل أمامه فقبل يا رسول الله حملت السلاح وقد
 شرطوا أن لا تحمله فقال عليه السلام لا ندخل الحرم به ولكن
 يكون قزيباً منا فان هاجنا هائج فزعنا له فلما كان بمر الظهران
 قابله نفر من قريش فزعوا من هذه العدة وأسرعو الى قومهم
 فاخبروهم بقاءه فتيان منهم وقالوا والله يا محمد ما عرفت
 بالغدر صغيراً ولا كبيراً وانا لم نحدث حدثاً فقال انا لا ندخل
 الحرم بالسلاح

ولما حان وقت دخول مكة خرج أهلوها كارهين رؤية
 المسلمين يطوفون بالبيت فدخل عليه السلام وأصحابه متوشحين
 سيوفهم من ثغية كداء وأمامه عبد الله بن رواحة يقول
 لا اله الا الله وحده صدق وعده ونصر عبده وأعز جنده
 وهزم الأحزاب وحده وطاف عليه السلام بالبيت وهو على
 راحلته واستلم الحجر بحجته وأمر أصحابه أن يسرعوا لثلاثة
 أشواط اظهاراً للقوة لان المشركين قالوا سيطوف اليوم
 بالكعبة قوم نهكتهم حمى يثرب فقال عليه السلام رحم الله أمراً
 أراهم من نفسه قوة واضطجع عليه السلام بردائه وكشف

عضده اليمنى شأن الفتوة وفعل مثله المسلمون وقد أتم المسلمون طوافهم بالبيت آمنين محلّقين رؤوسهم ومقصرين كما رأى عليه السلام في منامه وتزوج صلى الله عليه وسلم وهو بمكة زواج ميمونة ميمونة بنت الحارث الهلالية زوج حمزة بن عبدالمطلب شهيد أحد وخالة عبد الله بن عباس وهى آخر نسائه زواجاً ولم يدخل بها الا بعد الخروج من مكة حيث كان بسرف ولما خرج عليه السلام أمر الذين كان تركهم لحراسة الخيل بالذهاب ليطوفوا ففعلوا ثم رجع عليه السلام الى المدينة فرحاً مسروراً بما حباه الله به من تصديق رؤياه

وفي صفر أرسل عليه السلام غالب بن عبد الله الليثى الى بنى الملوّح وهم قوم من العرب يسكنون بالكديد (بين عسفان وقديد) فسار القوم حتى اذا كانوا بقديد التقوا بالحارث بن مالك الليثى المعروف بابن البرصاء وكان خصماً لدوداً للمسلمين فاسروه فقال لهم ما جئت الا للاسلام فقالوا له ان تكن مسلماً لن يضرّك رباط ليلة والا استوثقنا منك ثم ساروا حتى وصلوا محلة بنى الملوّح فاستاقوا النعم والشاء وخرج الصريح الى القوم فجاءهم ما لا قبل لهم به ولكن من الله على

السنة الثامنة
سرية

سرية

المسلمين فأرسل سيلاً شديداً أحاط بينهم وبين عدوهم حتى صار المشركون يرون نعمهم تساق وهم لا يقدرّون على ردها (ولما) رجع غالب إلى المدينة ظافراً أرسله عليه السلام في مائتي رجل ليقصص من بني مرة بفدك وهم الذين أصابوا سرية بشير بن سعد فساروا حتى إذا كانوا قريباً من القوم خطب غالب فيمن معه فقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه (أما بعد فاني أوصيكم بتقوى الله وحده لا شريك له وإن تطيعوني ولا تخالفوا إلى أمراً فانه لا رأى لمن لا يطاع) ثم آخى بين الجند فقال يا فلان أنت وفلان ويا فلان أنت وفلان لا يفارق أحد منكم زميله وإياكم أن يرجع الرجل منكم فأقول له أين صاحبك فيقول لا أدري فإذا كبرت فكبروا فلما أحاطوا بالعدو وكبر كبروا وجردوا السيوف فلم يفلت من عدوهم أحد واستاقوا نعمهم فكان ليكل واحد من العزاة عشرة أبعرة (وفي) ربيع الأول أرسل عليه السلام كعب بن عمير الغفاري إلى ذات الطلاح من أرض الشام في خمسة عشر رجلاً فوجدوا جمعاً كثيراً فدعّوهم إلى الإسلام فلم يجيبوا وقتلوا وكانوا أكثر عدداً فاستشهد المسلمون عن آخرهم

سرية

الا رئيسهم شجاع بن وهب فانه نجا وأتى بالخبر رسول الله فشق عليه وأراد أن يبعث اليهم من يقتص منهم فبلغه انهم تحولوا من منزلهم فعدل عن ذلك

جهز عليه السلام في جمادى الاولى جيشاً للقصاص ممن عزوة مؤتة قتلوا الحارث بن عمير الازدى رسوله الى أمير بصرى وأمر عليهم زيد بن حارثة وقال لهم ان أصيب فالامير جعفر بن أبي طالب فأن أصيب فعبد الله بن رواحة وكان عدة الجيش ثلاثة آلاف فساروا وشيعهم عليه السلام وكان فيما وصاهم به (اغزوا باسم الله فقاتلوا عدو الله وعدوكم بالشام وستجدون فيها رجالا في الصوامع معتزلين فلا تتعرضوا لهم ولا تقتلوا امرأة ولا صغيراً ولا بصيراً فانياً ولا تقطعوا شجراً ولا تهدموا بناء) ولم يزلوا سائرين حتى وصلوا مؤتة مقتل الحارث بن عمير وهي قرية من الكرك وهناك وجدوا الروم مجتمعين لهم جمعاً عظيماً منهم ومن العرب المنتصرة فتفاوض رجال الجيش فيما يفعلونه أرسلون لرسول الله يطلبون منه مدداً أم يقدمون على الحرب فقال عبد الله بن رواحة يا قوم والله ان الذي تكرهون هو ما خرجتم له

خرجتم تطلبون الشهادة ونحن ما نقاتل بقوة ولا بكثرة ما
نقاتل الا بهذا الدين الذي أكرمنا الله به فانما هي احدى
الحسينين اما الظهور واما الشهادة فقال الناس صدق والله
ابن رواحة ومضوا للقتال فلقوا هذه الجموع المتكاثرة فقاتل
زيد بن حارثة رضى الله عنه حتى استشهد فأخذ الراية جعفر
ابن أبى طالب وهو يقول

ياحبذا الجنة واقتراها * طيبة وباردا شرابها
والروم روم قد دنا عذابها * كافرة بعيدة أنسابها
على اذلاقيتها ضرابها

ولم يزل يقاتل حتى استشهد رضى الله عنه فأخذ الراية
عبد الله بن رواحة فتقدم ثم تردد بعض التردد فقال
يخاطب نفسه

أقسمت يا نفس اتنزي لى * طائفة أولا لتكرهنة
ان اجلب الناس وشدوا الرنة * مالى أراك تكرهين الجنة
قد طالما قد كنت مطمئنة * هل أنت الانظفة فى شنة

ثم اقتحم بفرسه المعصية ولم يزل يقاتل رضى الله عنه
حتى استشهد ففهم بعض المسلمين بالرجوع الى الوراء فقال لهم

عقبة بن عامر يا قوم يقتل الانسان مقبلا خير من أن يقتل
مدبراً فتراجعوا واتفقوا على تأمير الشهم الباسل خالد بن
الوليد وبهمته ومهارته الحربية حمى هذا الجيش من الضياع
اذ ما تفعل ثلاثة آلاف بمائة وخمسين ألفاً فانه لما أخذ
الراية قاتل يومه قتالاً شديداً وفى غده خالف ترتيب العسكر
فجعل الهساقة مقدمة والمقدمة ساقة والميمنة ميسرة والميسرة
مميمنة فظن الروم ان المدد جاء للمسلمين فرعبوا ثم أخذ خالد
الجيش وصار يرجع به الى الوراء حتى انحاز الى مؤتة ثم مكث
يناوش الاعضاء سبعة أيام ثم تحاجز الفريقان لأن الكفار ظنوا أن
الامداد تتوالى للمسلمين وخافوا أن يجروه الى وسط
الصحارى حيث لا يمكنهم التخلص وبذلك انقطع القتال وقد
نعى النبي صلى الله عليه وسلم زيداً وجعفرأبا بن راحة للناس
قبل أن يأتهم خبرهم فقال أخذ الراية زيد فأصيب ثم أخذها
جعفر فأصيب ثم أخذها ابن راحة فأصيب وكانت عينا رسول
الله تذر فان ثم قال حتى أخذ الراية سيف من سيوف الله حتى
فتح الله عليهم وجاءه رجل فقال يا رسول الله ان نساء جعفر
يبكين فأمره ان ينهالن فذهب الرجل ثم أتى فقال قد نهيتن

فلم يطمئن فأمره فذهب ثانياً ثم جاء فقال والله لقد غلبنا فقال له عليه السلام احث في أفواههم التراب ولما أقبل الجيش الى المدينة قابلهم المسلمون يقولون لهم يا مُرَّار فقال عليه السلام بل هم الكرار ظن المقيمون بالمدينة ان انحياز خالد بالجيش هزيمة ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم اراهم ان ذلك من مكايد الحرب وأثنى على خالد في مهارته

سرية

وفي جمادى الآخرة بلغه عليه السلام ان جمعاً من قضاة يتجمعون في ديارهم وراء وادي القرى ليغيروا على المدينة فأرسل لهم عمرو بن العاص في ثلاثمائة رجل من سراة المهاجرين ثم أمده بأبي عبيدة بن الجراح في مائتين من المهاجرين فيهم أبو بكر وعمر فلحقوا عمراً قبل أن يصل الى القوم وقد أراد رجال من الجيش إيقاد نار فمنعهم عمرو فانكر عليه عمر بن الخطاب فقال أبو بكر انما بعثه رسول الله علينا رئيساً لمعرفة بالحرب أكثر منا فلا تعصه فامتلأ ولما حلوا بساحة القوم حملوا عليهم فلم يكن أكثر من ساعة حتى تفرق الاعداء منهزمين فجمعوا غنائمهم وأرادوا اتباع أثرهم فمنعهم قائدهم ثم رجعوا الى المدينة ظافرين وبينما هم في الطريق ادرجت

عمرو بن العاص جنابة في ليلة باردة فلما أصبح قال ان انا اغتسلت هلكت والله يقول (ولا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ الى التهلكة) ثم تيمم وصلى ثم أمر بالسير حتى اذا وصلوا المدينة قام رسول الله عليه السلام يسأل عن أنباء سفرهم كما هي عادته فأخبروه بما نعموه على عمرو بن العاص من نهيهم عن ايقاد النار ونهيهم عن اتباع العدو وصلاته جنبا فسأله عليه السلام عن ذلك فقال منعتم من ايقاد النار لئلا يرى العدو قلتهم فيطمع فيهم ونهيهم عن اتباع العدو لئلا يكون له كمين وصليت جنبا لان الله يقول (ولا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ الى التهلكة) وان انا اغتسلت هلكت فتبسم عليه السلام وأثنى على عمرو خيراً

وفي رجب أرسل عليه السلام أباعبيدة عامر بن الجراح في ثلاثمائة فارس لغزو قبيلة جهينة التي تسكن ساحل البحر وزود عليه السلام هذا الجيش جراباً من التمر فساروا حتى اذا وصلوا الساحل أقاموا فيه نحو نصف شهر ينتظرون العدو وقد فني زادهم حتى أكلوا الحبط وهو ورق السمّ ييلونه بالماء ويأكلونه الى أن تقرحت أشداقهم وكان في القوم الكريم ابن الكريم قيس بن سعد بن عبادة فحرق لهم ثلاث جزر في كل يوم

جزور وفي اليوم الرابع أراد أن ينحرفها رئيسه أبو عبيدة لان
قيساً كان أخذ تلك الجزر بدين على أبيه تخاف أبو عبيدة أن
لا ينفى له أبوه بما استدان فقال قيس أرى سعداً يقضى
ديون الناس ويطم في المجاعة ولا يقضى ديناً استدته لقوم
مجاهدين في سبيل الله ولما يثسوا من لقاء عدوهم رجعوا الى
المدينة فقال قيس بن سعد لأبيه كنت في الجليش فجاعوا قال
انحروا قال انحرت قال ثم جاعوا قال انحروا قال انحرت قال ثم جاعوا
قال انحروا قال انحرت قال ثم جاعوا قال انحروا قال نهيت

خزوة الفتح
الاعظم

إذا أراد الله أمراً هياً أسبابه وازال موانعه فقد كان عليه
السلام يعلم أنه لا تذلل العرب حتى تذلل قريش ولا تنقاد البلاد
حتى تنقاد مكة فكان يتشوف لفتحها ولكن كان يمنعه من ذلك
العهود التي أعطاه قريشاً في الحديبية وهو سيد من وفي ولكن
إذا أراد الله أمراً هياً أسبابه فقد علمت أن قبيلة خزاعة دخلت
في عهد رسول الله وقبيلة بكر دخلت في عهد قريش وكان بين
خزاعة وبكر دماء في الجاهلية كملت نارها بظهور الإسلام فلما
حصلت الهدنة وقف رجل من بكر يتغنى بهجاء رسول الله صلى
الله عليه وسلم على مسامع من رجل خزاعي فقام هذا وضربه فمرك

ذلك كامن الاحقاد وتذكر بنو بكر ثارهم فشدوا العزيمة للحرب
 خصوصهم واستعانوا بأولياءهم من قريش فأعانوهم سرّاً بالمدة
 والرجال ثم توجهوا الى خزاعة وهم آمنون فقتلوا منهم ما يربو
 على العشرين ولما رأى ذلك حلفاء السيد الامين أرسلوا منهم
 وفداً برئاسة عمرو بن سالم الخزاعي ليخبر رسول الله بما فعل
 بهم بنو بكر وقريش فلما حلوا بين يديه وأخبروه الخبر قال والله
 لا منعتكم مما أمتنع منه نفسي أما قريش فانهم لما رأوا ان ما عملوه
 نقض للعهد التي أخذت عليهم ندموا على ما فعلوا وأرادوا مداواة
 هذا الجرح فأرسلوا قائدهم أبا سفيان بن حرب الى المدينة
 ليشد العقد ويزيد في المدة فركب راحلته وهو يظن أنه لم يسبقه
 أحد حتى اذا جاء المدينة نزل على أم المؤمنين أم حبيبة بنته وقد
 أراد أن يجلس على فرش رسول الله فطوته عنه فقال يا بنية
 أرغبت به عني أم رغبت بي عنه فقالت ما كان لك ان تجلس
 على فرش رسول الله وانت مشرك نجس فقال لها لقد أصابك
 بعدى شر ثم خرج من عندها وأتى النبي في المسجد وعرض
 عليه ما جاء له فقال عليه السلام هل كان من حرث قال لا
 فقال عليه السلام فنعن على مدتنا وصلاحنا ولم يزد عن ذلك

فقام أبو سفيان ومشى الى أكابر المهاجرين من قريش علمهم
يساعدونه على مقصده فلم يجد منهم معيلاً وكلهم قالوا جوارنا
في جوار رسول الله فرجع الى قومه ولم يصنع شيئاً فاتهموه
بانه خانهم واتبع الاسلام فتنسك عند الاوثان لينفى عن نفسه
هذه التهمة (أما) رسول الله صلى الله عليه السلام ومسلم فتجهز
للسفر وأمر أصحابه بذلك وأخبر الصديق بالوجهة فقال له
يا رسول الله أوليس بينك وبين قريش عهد قال نعم ولكن
غدروا ونقضوا ثم استنفر عليه السلام الاعراب الذين حول
المدينة وقال من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحضر رمضان
بلمدينة فقدم جمع من قبائل أسلم وغفار ومزينة وأشجع وجهينة
وطوى عليه السلام الاخبار عن اجيش كيلا يشيع الامر فتعلم
قريش فتستعد للحرب والرسول عليه السلام لا يريد ان يقيم حرباً
بمكة بل يريد ان ياداهلها مع عدم المساس بحرمتهافدعا مولاة جل
ذكره وقال اللهم خذ العيون والاخبار عن قريش حتى نبقتها
في بلادها فقام حاطب بن أبى بلتعة أحد الذين شهدوا بدرأ
وكتب كتاباً لقريش يخبرهم بيمض أمر رسول الله صلى الله
عليه وسلم وأرسله مع جارية لتوصله الى قريش على جعل فاعلم

الله رسوله ذلك فأرسل في أثرها عليا والزبير والمقداد وقال
انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فان بها طعينة معها كتاب نخذوه
منها فانطلقوا حتى أتوا الروضة فوجدوا بها المرأة فقالوا لها
أخرجي الكتاب قالت مامعي كتاب فقالوا التخرجن الكتاب
او لثقلين الثياب فأخرجته من عقاصها فأتوا به رسول الله
فقال عليه السلام يا حاطب ما هذا قال يا رسول الله لا تعجل علي
اني كنت حليفاً لقريش ولم أكن من أنفسها وكان من معك من
المهاجرين لهم قرابات يحمون أهلهم وأموالهم فاحببت اذ فاتني
ذلك من النسب فيهم ان اتخذ عندهم يداً يحمون بها قرابتي ولم
أفعله ارتداداً عن ديني ولا رضى بالكفر بعد الاسلام فقال عليه
السلام اما انه قد صدقكم فقال عمر دعني يا رسول الله أضرب
عنق هذا المنافق فقال انه قد شهد بداراً وما يدريك لعل الله
اطلع على من شهد بداراً فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم
وفي ذلك أنزل الله (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم
أولياء تلقون اليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق
يخرجون الرسول وأيامكم ان تؤمنوا بالله ربكم ان كنتم خرجتم
جهاداً في سبيلي وابتغاء مرضاتي تسرون اليهم بالمودة وأنا

أعلم بما أخفيتم وما أعلنتم ومن يفعل منكم فقد ضل سوا
السييل) ثم سار عليه السلام بهذا الجيش العظيم في منتصف
رمضان بعدان ولى على المدينة ابن أم مكتوم وكانت عدة الجيش
عشرة آلاف مجاهد ولما وصل الالباء لقيه اثنان كانا من أشد
اعدائه وهما أبو سفيان بن الحارث بن عبدالمطلب شقيق عبيدة
ابن الحارث شهيد بدر والثاني عبد الله بن أبي أمية بن المغيرة
شقيق زوجه أم سلمة وكانا يريدان الاسلام فقبلهما عليه
السلام وفرح بهما شديد الفرح وقال (لا تثرىب عليكم اليوم
يفخر الله لكم وهو أرحم الراحمين) ولما وصل عليه السلام
الكديد رأى ان الصوم شق على المسلمين فأمرهم بالفطر وأفطر
هو أيضاً وقد قابل عليه السلام في الطريق عمه العباس بن عبد
المطلب مهاجراً بأهله وعياله فأمره بأن يعود معه الى مكة ويرسل
عياله الى المدينة ولما وصل عليه السلام مر الظهران أمر
بإيقاد عشرة آلاف نار وكان قريش قد بلغتهم ان محمداً زاحف
بجيش عظيم لا تدرى وجهته فارسلوا أبا سفيان بن حرب
وحكيم بن حزام وبديل بن ورقاء يلتمسون الخبر عن رسول الله
فأقبلوا يسرون حتى أتوا مر الظهران فاذا هم بنيران كأنها نيران

عرفة فقال أبو سفيان ما هذه لكأنها نيران عرفة فقال بدليل بن
ورقاء نيران بنى عمرو فقال أبو سفيان عمرو أقل من ذلك فرآهم
ناس من حرس رسول الله فادركوهم فاخذوهم فأتوا بهم رسول
الله فأسلم أبو سفيان فلما سار قال للعباس احبس أباسفيان عند حطم
الخليل حتى ينظر الى المسلمين فحبسه العباس فجعلت القبائل
تمر كتيبة كتيبة على أبي سفيان وهو يسأل عنها ويقول مالى
ولها حتى اذ امرت به قبيلة الانصار وحامل رايتها سعد بن
عبادة فقال سعد يا أبا سفيان اليوم يوم الملحمة اليوم تستحل
الكعبة فقال ابو سفيان يا عباس حبذا يوم الذمار ثم جاءت كتيبه
وهي أقل الكتاب فيها رسول الله وأصحابه وحامل الراية
الزبير بن العوام فاخبر أبو سفيان رسول الله بمقالة سعد فقال
عليه السلام كذب سعد ولكن هذا يوم يعظم الله فيه الكعبة
ويوم تكسى فيه الكعبة ثم أمر عليه السلام أن تركز رايته
بالحجون وأمر خالد بن الوليد أن يدخل من أعلى مكة من
كداء ودخل هو من أسفلها من كدى ونادى مناديه من
دخل داره وأغلق بابه فهو آمن ومن دخل المسجد فهو آمن
ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمن واستثنى من ذلك جماعة

عظمت ذنوبهم وآذوا الاسلام وأهله عظيم الاذى فاهدر دمهم
وان تعلقوا باستار الكعبة منهم عبد الله بن سعد بن أبي سرح
الذي أسلم وكتب لرسول الله الوحي ثم ارتد وافترى الكذب
على الامين المأمون فكان يقول ان محمداً كان يامرني أن
اكتب عليم حكيم فاكذب غفور رحيم فيقول كل جيد ومنهم عكرمة
ابن أبي جهل وصفوان بن أمية وهبار بن الاسود والحارث
ابن هشام وزهير بن أمية وكعب بن زهير ووحشى قاتل
حمزة وهند بنت عتبة زوج أبي سفيان وقليل غيرهم ونهى
عن قتل أحد سوى هؤلاء الامن قاتل (فاما) جيش خالد بن الوليد
فقابله الذعر من قريش يريدون صده فقاتلهم وقتل منهم أربعة
وعشرين وقتل من جيشه اثنان ودخلها غنمة من هذه الجمة
(وأما) جيش رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يصادف مانعاً
وهو عليه السلام راكب راحلته منحني على الرحل تواضعاً
وشكراً له على هذه النعمة حتى تكاد جبهته تمس الرحل واسامة
ابن زيد رديفه وكان ذلك صبح يوم الجمعة لعشرين خلت من رمضان
حتى وصل الى الحجون موضع رايته وقد نصبت له هناك قبة
فيها أم سلمة وميمونة فاستراح قليلاً ثم سار وبجانبه أبو بكر

يحاذثه وهو يقرأ سورة الفتح حتى البيت وطاف سبعا على راحلته
واستلم الحجر بحمضه وكان حول الكعبة اذ ذاك ثلاثمائة وستون
صنماً فجعل عليه السلام يطعمها بعود في يده ويقول جاء الحق
وزهق الباطل وما يبدى الباطل وما يعيد ثم أمر بالآلهة
فأخرجت من البيت وفيها صورة اسماعيل وابراهيم في أيديهما
الازلام فقال عليه السلام قاتلهم الله لقد علموا ما استقسموا بها
قط وهذا أول يوم طهرت فيه الكعبة من هذه المعبودات
الباطلة وبطهارة الكعبة المقدسة عند جميع العرب باديها وحاضرها
من هذه الادناس سقطت عبادة الاوثان من جميع بلاد العرب
الاقلية و يوشك أن نذكر للقارئ اختفاء آثارها ومحو عبادتها
بالكلية ثم ان النبي صلى الله عليه وسلم دخل الكعبة وكبر في
نواحيها ثم خرج الى مقام ابراهيم وصلى فيه ثم شرب من
زمزم وجلس في المسجد والناس حوله والعيون شاخصة اليه
يتظرون ما هو فاعل بمشركي قريش الذين آذوه واخرجوه
من بلاده وقاتلوه ولكن هنا تظهر مكارم الاخلاق التي يلزم
ان يتعلم منها المسلم ان يكون رضاه وغضبه لله لا لهوى النفس
فقال عليه السلام يا معشر قريش ما تظنون اني فاعل بكم قالوا

خير أخ كريم وابن أخ كريم فقال عليه السلام اذهبوا فاتم
الطلاق ويرحم الله الامام البوصيري حيث قال
واذا كان القطع والوصل لله تساوى التقريب والاقصاء
وسواء عليه فيما أتاه * من سواه الملام والاطراء
ولو أن انتقامه لهوى النفس لدامت قطيعة وجفاء
قام لله في الامور فارضى الله منه تباين ووفاء
فعله كله جميل وهل ينضح الا بما فيه الاناء
ثم خطب عليه السلام خطبة ابان فيها كثيراً من الاحكام
الاسلامية منها ان لا يقتل مسلم بكافر ولا يتوارث أهل
ملتين مختلفتين ولا تنكح المرأة على عمتها أو خالتها والبيئة على
من ادعى واليمين على من أنكر ولا تسافر المرأة مسيرة ثلاثة
أيام الا مع ذي محرم ولا صلاة بعد الصبح والمصر ولا يصام
يوم الاضحى ويوم الفطر ثم قال يا معشر قريش ان الله قد اذهب
عنكم نخوة الجاهلية وتعلمها بالاباء والناس من آدم وآدم
من تراب ثم تلا هذه الآية (يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر
وأثنى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله
اتقاكم ان الله عليم خبير) ثم ابتداء الناس يبايعون رسول الله

صلى الله عليه وسلم على الاسلام وممن أسلم في هذا اليوم معاوية
ابن ابي سفيان وأبو قحافة والد الصديق وقد فرح الرسول
كثيرا باسلامه وجاءه رجل يرتعد خوفا فقال له عليه السلام
(هون عليك فاني لست بملك انما انا ابن امرأة من قريش
كانت تأكل القديد)

أما الذين أهدر رسول الله دمهم فقد ضاقت عليهم
الارض بما رحبت فمنهم من حقت عليه كلمة العذاب فقتل
ومنهم من أدر كتمه غناية الله فأسلم فعبد الله بن سعد بن أبي سرح لجأ
الى أخيه من الرضاع عثمان بن عفان وطلب منه ان يستأمن
له رسول الله فغيبه عثمان حتى هدا الناس ثم أتى به النبي وقال
يا رسول الله قد أمنتته فبايعه فاعرض عنه عليه السلام مرارا
ثم بايعه فلما خرج عثمان وعبد الله قال عليه السلام أعرضت
عنه ليقوم اليه أحدكم فيضرب عنقه فقالوا اهلا أشرت الينا فقال
(لا ينبغي لنبي ان تكون له خائنة الا عين) وأما عكرمة بن أبي
جهل فهرب فخرجت وراءه زوجته وبنت عمه أم حكيم بنت
الحارث وكانت قد أسلمت قبل التح وقد أخذت له أمانا من
رسول الله فلحقته وقد أراد ان يركب البحر فقالت جئتكم من

عند أبر الناس وخيرهم لآتهمك نفسك واني قد استأمتته لك
فرجع ولما رآه عليه السلام وثب قائماً فرحابه وقال مرحبا
بمن جاءنا مهاجرا مسلما ثم أسلم رضى الله عنه وطالب من رسول
الله ان يستغفر له كل عداوة عاداها اياه فاستغفر له وكان رضى
الله عنه بعد ذلك من خيرة المسلمين وأغيرهم على الاسلام
(وأما) هبار بن الاسود فهرب واختفى حتى اذا كان رسول الله
بالجرانة جاءه مسلماً وقال يا رسول الله هربت منك وأردت
الاحاق بالاعاجم ثم ذكرت عائدتك وصلتك وصفحك عمن
جهل عليك وكنا يا رسول الله أهل شرك فهدانا الله بك وانقذنا
من الهلكة فاصفح الصفح الجميل فقال عليه السلام قد عفوت
عنك (وأما) الحارث بن هشام وزهير بن أبى أمية المخزومي
فأجارتهم أم هانئ بنت أبى طالب فاجاز عليه السلام جوارها
ولما قابل رسول الله الحارث بن هشام مسلماً قال له الحمد لله
الذى هدالك ما كان مثلك يجهل الاسلام وقد كان بعد ذلك
من فضلاء الصحابة (وأما) صفوان بن أمية فاخفى وأراد ان
يذهب ويلقى نفسه في البحر فجاء ابن عمه عمير بن وهب الجمحي
وقال يا بني الله ان صفوان سيدقومه وقد هرب ليقذف نفسه

في البحر فأمنه فانك قد أمنت الاحمر والاسود فقال عليه السلام
أدرك ابن عمك فهو آمن فقال أعطني علامة فأعطاه عمامته
فأخذها عمير حتى اذا لقي صفوان قال له فداك أبي وأمي جئتك
من عند أفضل الناس وأبر الناس وأحلم الناس وخير الناس وهو ابن
عمك وعزله عزك وشرفه شرفك ومملكه ملكك قال صفوان
اني أخافه على نفسي قال هو أحلم من ذلك وأكرم وأراه العمامة
علامة الامان فرجع الى رسول الله وقال له ان هذا يزعم انك
أمنتني فال صدق قال أمهاني بالخيار شهرين قال أربعة أشهر
ثم أسلم رضى الله عنه وحسن اسلامه (واما) هذ بنبت عتبه
فاختفت ثم اسلمت وجاءت الى رسول الله فرحب بها وقالت
له والله يا رسول الله ما كان على ظهر الارض اهل خباء احب
الى ان يذلوا من اهل خبائك ثم ما أصبح اليوم اهل خباء احب
الى ان يعزوا من اهل خبائك (واما) كعب بن زهير فلما ضاقت
به الارض ولم يجد له محيراً آجاء المدينة بعد ان قدمها رسول
الله من مكة فأسلم وأنشد قصيدتها التي يقول فيها
وقال كل صديق كنت آمله * لا ألهيئك اني عنك مشغول
فقلت خلوا سبيلي لا أبالكُم * فكل ما قدر الرحمن . فمفعول

و قد سكب
س رهبر

كل ابن أنثى وإن طالت سلامته * يوماً على آلة حذباء محمول
أنبت أن رسول الله أو عدني * والعفو عند رسول الله مأمول
مهلا هداك الذي أعطاك نافلة القرآن فيها مواعيط وتفصيل
وقال فيها مادحاً

إن الرسول لسيف يستضاء به * مهن من سيوف الله مسلول
ولما قال هذا البيت خلع عليه الرسول برده (وأما) وحشى
قاتل حمزة فكذلك أسلم وحسن إسلامه وقبله عليه الصلاة
والسلام وقد جاءه ابن أبي لهب عتبة ومعتب فأسلما وفرح بهما
عليه السلام

وكان من الذين اختفوا سهيل بن عمرو فاستأمن له ابنه
عبد الله فأمنه عليه السلام وقال إن سهيلاً له عقل وشرف
وما مثل سهيل يجهل الإسلام فلما بلغت هذه المقالة سهيلاً
قال كان والله براً صغيراً براً كبيراً ثم أسلم بعد ذلك

هذا ولما تمت يعة الرجال بايعة النساء وكن يبايعن على
يعة النساء
أن لا يشركن بالله شيئاً ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن
أولادهن ولا يأتين بهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن ولا
يعصين الرسول في معروف (ثم) أمر عليه السلام بالآل أن

يؤذن على ظهر الكعبة وهذا بدء ظهور الاسلام على ظهر
هذا البيت الكريم فلا عجز . أن اتخذ المسلمون هذا اليوم عيداً
يحمدون فيه الله حق حمده على هذه النعمة الكبرى والنصر
العظيم

وأقام عليه السلام بمكة بعد فتحها تسعة عشر يوماً يقصر هدم العزى
فيها الصلاة وولى عليها عتاب بن أسيد وجعل رزقه كل يوم
درهماً فكان عتاب رضى الله عنه يقول لا أشبع الله بطناً جاع
على درهم كل يوم (وفى الخامس) من مقامه عليه السلام هدم سواع
بمكة أرسل خالد بن الوليد فى ثلاثين فارساً لهدم هيكل
العزى وهى أكبر صنم لقريش وكان هيكلها يبطن نخلة فتوجه
اليها خالد وهدمها (وأرسل عليه السلام) عمرو بن العاص هدم مناة
لهدم سواع وهو أعظم صنم لهذيل وهيكله على ثلاثة أميال
من مكة فذهب اليه وهدمه (وبعث) سعد بن زيد الاشجلى
فى عشرين فارساً لهدم مناة وهى صنم لكاب وخزاعة وهيكلها
بالمشال وهو جبل على ساحل البحر يهبط منه الى قديد
فتوجهوا اليها وهدموها

بهذا الفتح العظيم وسقوط دولة الاوثان دانت للاسلام غزوة حنين

جموع العرب ودخلوا فيه أفواجاً أما قبيلتنا هوازن وثقيف
 فأدركتها حماة الجاهلية واجتمع الاشراف منهم للشورى وقالوا
 قد فرغ محمد من قتال قومه ولا ناهية له عن افناغزه قبل أن يغزونا
 فأجمعوا أمرهم على ذلك وولوا رياستهم مالك بن عوف النضري
 فاجتمع له من القبائل جموع كثيرة فيهم بنو سعد بن بكر الذين
 كان رسول الله مسترضعاً فيهم وكان في القوم دريد بن الصمة
 المشهور باصالة الرأي وشدة البأس في الحرب ولتقدم سـنه
 لم يكن له في هذه الحرب الا الرأي ثم ان مالك بن عوف
 أمر الناس ان يأخذوا معهم نساءهم وذرائعهم وأموالهم
 فلما علم بذلك دريد سأل مالكا عن السبب فقال سقت مع
 الناس أموالهم وذرائعهم ونساءهم لاجعل خلف كل رجل
 أهله وماله يقاتل عنه فقال دريد وهل يرد المهزم شئ ان
 كانت لك لم ينفعك الا رجل بسيفه ورمحه وان كانت عليك
 فضحت في أهلك ومالك فلم يقبل مالك مشورته وجعل
 النساء صفوفاً وراء المقاتلة ووراءهم الابل ثم البقر ثم الغنم
 كيلا يفر أحد من المقاتلين (أما) رسول الله صلى الله عليه
 وسلم فانه لما بلغه ان هوازن وثقيف يستعدون لحربه أجمع

رأيه على المسير اليهم وخرج معه اثنا عشر الف غاز منهم ألفان
 من أهل مكة والباقيون هم الذين أتوا معه من المدينة وخرج أهل
 مكة ركباً ومشاة حتى النساء يمشين من غير ضعف يرجون
 الغنائم وخرج في الجيش ثمانون من المشركين منهم صفوان
 ابن أمية وسهيل بن عمرو ولما قرب الجيش من معسكر العدو
 صف عليه السلام انغزاة وعقد الالوية فأعطى لواء المهاجرين
 اعلى بن ابي طالب ولواء الخزرج للحباب بن المنذر ولواء
 الاوس لاسيد بن حضير وكذلك أعطى الوية لقبائل العرب
 الاخرى ثم ركب عليه السلام بغلته ولبس درعين والبيضة والمغفر
 هذا وقد أعجب المسلمون بكبرتهم فلم تكن عنهم شيئاً فان
 مقدمة المسلمين توجهت جهة العدو وخرج لهم كمين كان مستتراً
 في شعاب الوادي ومضايقه وقابلهم بنبل كأنه الجراد المنتشر
 فلووا أعنة خيلهم متقهقرين ولما وصلوا الى من قبلهم تبعوهم
 في الهزيمة لما لحقهم من الدهشة اما رسول الله صلى الله عليه
 وسلم فثبت على بغلته في ميدان القتال وثبت معه قليل من
 المهاجرين والانصار منهم أبو بكر وعمرو على والعباس وابنه الفضل
 وأبو سفيان بن الحارث وأخوه ربيعة بن الحارث ومعتب بن

أبى لهب وكان العباس آخذاً بلجام البغلة وأبوسفیان آخذ
بالركاب وكان عليه السلام ينادى الى أيها الناس ولا يلوى
عليه احد وضاعت بالمنهزمين الارض بما رحبت أما رجال
مكة الذين هم حديثو عهد بالاسلام والذين لم ينزعوا عنهم
ربقة الشرك فمنهم من فرح ومنهم من ساءه هذا الادبار
فقال أبو سفیان بن حرب لا تنهى هزيمتهم دون البحر وقال
اخ لمصفوان بن أمية الآن بطل السحر فقال له صفوان وهو
على شركه اسكت فض الله فاك والله لان ير بنى رجل من
قريش خير من ان ير بنى رجل من هوازن وصرا عليه رجل
من قريش وهو يقول ابشر بهزيمة محمد وأصحابه فوالله لا
يجبرونها ابداً فغضب صفوان وقال ويلك أتبشرني بظهور
الاعراب وقال عكرمة بن أبى جهل لذاك الرجل كونهم لا
يجبرونها ابداً ليس بيدك الامر بيد الله ليس الى محمد منه شئ
ان أدبل عليه اليوم فان العاقبة له غدا فقال سهيل بن عمرو والله
ان عهدك بخلافه لحديث فقال له يا أبا يزيد انا كنا على غير
شئ وعقولنا ذاهبة نعبد حجراً لا يضر ولا ينفع (وبلغت)
هزيمة بعض الفارين مكة كل هذا ورسول الله واقف

مكانه يقول انا النبي لا كذب انا ابن عبد المطب ثم قال
 للعباس وكان جمهورى الصوت نادى بالانصار يا عباس فنادى
 يا معشر الانصار يا اصحاب بيعة الرضوان فاسمع من فى
 الوادى وصار الانصار يقولون لبيك لبيك ويريد كل واحد منهم
 ان يلوى عنان بعيره فيمنعه من ذلك كثرة الاعراب المنهزمين
 فيأخذ درعه فيقذفها فى عنقه ويأخذ سيفه وترسه وينزل عن
 بعيره ويخلى سبيله ويؤم الصوت حتى اجتمع حول رسول الله
 جمع عظيم منهم وأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين
 وأنزل جنوداً لم يروها فكر المسلمون على عدوهم يداً واحدة
 فاتتكت فتل المشركين وتفرقوا فى كل وجه لا يلوون على شئ
 من الاموال والنساء والذرارى وتبعهم المسلمون يقتلون
 ويأسرون فأخذوا النساء والذرارى وأسروا كثيراً من المحاربين
 وهرب من هرب وجرح فى هذا اليوم خالد بن الوليد جراحات
 بالغة وأسلم ناس كثيرون من مشركى مكة لما رأوه من عناية
 الله بالمسلمين (هذا) والذي حصل فى هذه الغزوة درس مهم
 من دروس الحرب فان هذا الجيش دخله أخلاط كثيرون من
 مشركين وأعراب وحديثى عهد باسلام وهؤلاء سيان عندهم

نصر الاسلام وخذلانه ولذلك بادروا لاول صدمة الى الهزيمة
وكادت تتم الكلمة على المسلمين لولا فضل الله فلا ينبغي ان
يكون في الجيش الامن يقاقل خالصاً مخلصاً من قلبه ليكون
مدافعاً حقاً عن دينه فلا تميل نفسه الى الفرار خشية ما أعده الله
للفارين من أليم العقاب

ثم أمر عليه السلام بجمع السبي والغنائم وكانت نحو أربعة
وعشرين ألف بعثوا أكثر من أربعين ألف شاة وأربعة آلاف
أوقية من النفضة فجمع ذلك كله بالجران (أما) المشركون فتنفروا
ثلاث فرق فرقة لحقت بالطائف وفرقة لحقت بنخلة وفرقة
عسكرت بأوطاس فأرسل عليه السلام لهذه الفرقة أبا عامر
الاشعري في جماعة منهم أبو موسى الاشعري فسار اليهم وبدد هم
وظفر بما بقي معهم من الغنائم وقد استشهد أبو عامر في هذه
الغزوة وخلف على الغزاة أخاه أبا موسى فرجع ظافراً منصوراً
غزوة الطائف (وسار) عليه السلام بمن معه الى الطائف ليجهز على بقية حياة
ثقيف ومن تجمع معهم من هوازن وجعل على مقدمته خالد
ابن الوليد ومصر عليه السلام بحصن لعوف بن مالك النصرى
فأمر بهدمه ومريستان لرجل من ثقيف قد تنع فيه فأرسل

إليه أن اخرج والا حرقنا عليك بستانك فامتنع الرجل فأمر عليه السلام بحرقه ولما وصل المسلمون إلى الطائف وجدوا الأعداء قد تحصنوا به وادخلوا معهم قوت سدهم فعمسك المسلمون قريب الحصن فرماهم المشركون بالنبل رمياً شديداً حتى أصيب منهم كثيرون بجراحات منهم عبد الله بن أبي بكر وقد طاوله جرحه حتى أماته في خلافة أبيه ومنهم أبو سفيان ابن حرب فقتل عينه وقد مات بالجراحات اثنا عشر رجلاً من المسلمين ولما رأى رسول الله أن العدو متمكن من رميهم ارتفع محل مسجد الطائف الآن وضرب لام سلمة وزينب قبتان هناك واستمر الحصار ثمانية عشر يوماً كان فيها ينادى خالد بن الوليد بالبراز فلم يجبه أحد وناداه عبد ياليل عظيم ثقيف لا ينزل إليك منا أحد ولكن نقيم في حصننا فإن فيه من الطعام ما يكفينا سنين فإن أمت حتى يفنى هذا الطعام خرجنا إليك بأسافنا جميعاً حتى نموت عن آخرنا فأمر عليه السلام بأن ينصب عليهم المنجنيق فنصب ودخل جمع من الأصحاب تحت دبابتين لينقبوا الحصن فأرسلت عليهم ثقيف سكك الحديد محمأة بالنار حتى أجمعوهم فأمر عليه السلام أن تقطع أعقابهم ونخلهم فقطع

المسلمون فيها قطعاً ذريعاً فناداه أهل الحصن أن دعها لله وللرحم
فقال أدعها لله وللرحم ثم أمر من ينادى بأن كل من ترك
الحصن ونزل فهو آمن فخرج إليه بضعة عشر رجلاً (ولما)
رأى عليه السلام أن تمنع ثقيف شديد وإن الفتح لم يؤذن فيه
استشار نوفل بن معاوية الديلي في الذهاب أو المقام فقال
يا رسول الله ثعلب في جحر إن أقت أخذته وإن تركته لم يضرك
فأمر عليه السلام بالرحيل وطلب منه بعض الصحابة أن يدعو
على ثقيف فقال (اللهم اهد ثقيفا وائت بهم مسلمين)

ثم رجع عليه السلام إلى الجعرانة حيث ترك السبي فأحصاه
تقسيم السبي وخمسه وأعطى منه شيئاً كثيراً لأناس ضعف إسلامهم يتألفهم
بذلك وأعطى أناساً لم يسلموا ليحببهم في الإسلام ومن الأولين أبو
سفيان أعطاه أربعين أوقية من الذهب ومائة من الأبل وكذلك
ابن معاوية ويزيد فقال له بأبي أنت وأمي لانت كريم في
السلم والحرب ومنهم حكيم بن حزام أعطاه كابي سفيان فاستزاده
فأعطاه مثلها ثم استزاده فأعطاه مثلها وقال يا حكيم (إن هذا
المال خضرة حلوة فمن أخذه بسخاوة نفس بورك له فيه ومن
أخذه باشراف نفس لم يبارك له فيه وكان كالذي يأكل ولا

يشبع واليد العليا خير من اليد السفلى) فأخذ حكيم المائة الاولى وترك ما عداها ثم قال والذي بعثك بالحق لا أرزأ أحداً بعدك شيئاً حتى أفارق الدنيا فكان الخلفاء بعد رسول الله يعرضون عليه العطاء الذي يستحقه من بيت المال فلا يأخذه وأعطى عليه السلام عيينة بن حصن مائة من الابل وكذلك الاقرع بن حابس والعباس بن مرداس وأعطى صفوان بن أمية شعباً مملوءاً نعاماً وشاء كان رآه برمقه فقال له هل يعجبك هذا قال نعم قال هو لك فقال صفوان ما طابت بمنزل هذا نفس أحد وكان ذلك سبب اسلامه وكان عليه السلام يقصد من هذه العطايا تأليف القلوب وجمعها على الدين القويم وهذا ضرب من ضروب السياسة الدينية حتى جمل من الصدقات قسم للمؤلفة قلوبهم وقد عاد ذلك بفائدة عظيمة فان كثيرين ممن أعطوا في هذا اليوم ولم يكونوا أشربوا في قلوبهم حب الاسلام صاروا بعد من أجلاء المسلمين واعظمهم نفعا كصفوان ابن أمية ومعاوية بن أبي سفيان والحارث بن هشام وغيرهم (ثم) أمر عليه السلام زبد بن ثابت فاحصى ما بقى من الغنائم وقسمه على الغزاة بعد أن اجتمع اليه الاعراب وصاروا

يقولون له اقسم علينا حتى الجؤه الى شجرة واختطفوا رداءه
 فقال (ردوا ردائي أيها الناس فوالله لو كانى فيها شجرة هامة
 لتقسمته عليكم ثم ما ألفتتمونى بخيلاً ولا جباناً ولا كدوداً)
 ثم قام الى بعيره وأخذ وبرة من سنامه (وقال أيها الناس والله
 مالى من غنيمتكم ولا هذه الوبرة الا الخمس والخمس مردود
 عليكم فادوا الحياط والمخيطة فان الغلول يكون على أهله عاراً
 وشناراً وناراً يوم القيامة) فصار كل من أخذ شيئاً من العنائم
 خلصة يردده ولو كان زهيداً ثم ابتداء يقسم فأصاب الراجل أربعة
 من الابل وأربعون شاة والفارس ثلاثة أمثال ذلك فقال
 رجل من المنافقين هذه قسمة ما أريد بها وجه الله فغضب
 عليه السلام حتى احمر وجهه وقال (ويحك من يعذل اذا لم
 أعذل) فلم يؤذه غضبه ان ينتقم لنفسه حاشاه عليه السلام
 من ذلك بل لم يزد على ان نصح وحذر وقال له عمر وخالد بن
 الوليد دعنا يا رسول الله نضرب عنقه فقال لا لعله ان يكون
 يصلى فقال خالدوكم من مصل يقول بلسانه ما ليس فى قلبه فقال
 عليه السلام انى لم أوامر أن أنقب عن قلوب الناس ولا أشق
 عن بطونهم (ولما) أعطى رسول الله ما أعطى من تلك العطايا

لقريش وقبائل العرب وترك الانصار غضب بعضهم حتى قالوا ان هذا لهو العجب يعطى قريشاً ويتركنا وسيوفنا تقطر من دمائهم فبلغه ذلك فأمر بجمعهم وائس معهم غيرهم فلما اجتمعوا قال (يا معشر الانصار ما مقالة بلغتني عنكم ألم أجدكم ضلالاً فهذاكم الله ربى وعالة فأغناكم الله بنى واعداً فألف الله بين قلوبكم بنى ان قريشاً حديثو عهد بكفر ومصيبة وانى أردت ان أجبرهم وأنا أفهم أغضبتهم يا معشر الانصار فى أنفسكم لشيء فليل من الدنيا ألنت به قوماً ليسلموا ووكلتكم الى اسلامك الثابت الذى لا يزول الا ترضون يا معشر الانصار ان يذهب الناس بالشاة والبعير وترجعوا برسول الله الى رحلكم فوالذى نفس محمد بيده لولا الهجرة لكنت امرأ من الانصار ولو سلك الناس شعباً وسلك الانصار شعباً اسألت شعب الانصار اللهم ارحم الانصار وأبناء الانصار) فبكى القوم حتى اخضلت لحاهم وقالوا رضىنا برسول الله قسماً وحظاً ثم انصرف عليه السلام وتفرقوا

وبعد بضع عشرة ليلة جاء عليه السلام وفد هوازن وفود هوازن يرأسهم زهير بن صرد وقالوا يا رسول الله ان فيمن أصبتم

الامهات والعمات والحالات وهن مخازى الاقوام وترغب
الى الله واليك يا رسول الله وقال زهير ان فى الحظائر عمالك
وخالانك وحواضنك اللاتى كن يكفلنك ثم قال أحياناً
يستعطفه بها

امنن علينا رسول الله فى كرم * فانك المرء ترجوه ومنتظر
امنن على نسوة قد كنت ترضعهما اذ فولك مملوءة من مخضها الدرر
انا لنشكر للنعماء ان كفرت * وعندنا بعد هذا اليوم مدخرا
انا نؤمل عفواً منك نلبسه * هدى البرية ان تعفو وتنتصر
فألبس العفو من قد كنت ترضعه * من امهاتك ان العفو مشتهر
فقال عليه السلام ان أحب الحديث الى أصدقه فاختاروا
احدى الطائفتين اما السبى واما المال وقد كنت انتظر تكلم
حتى ظننت انكم لا تقدمون فقالوا ما كنا نعدل بالاحساب
شيئاً اردد علينا نساءنا وابناءنا فهو أحب الينا ولا تتكلم فى شاة
ولا بير فقال عليه السلام أما مالى ولبنى عبد المطلب فهو لكم
فاذا أنا صليت الظهر فقوموا وقولوا نحن نستشفع برسول الله
الى المسلمين وبالمسلمين الى رسول الله بعد ان تظهروا اسلامكم
وتقولوا نحن اخوانكم فى الدين فقلوا فقال عليه السلام لا صحابه

(أما بعد فإن اخوانكم هؤلاء جاؤا تائبين واني قد رأيت ان أرد عليهم سييهم فمن أحب أن يطيب بذلك فيفعل ومن أحب منكم ان يكون على حظه حتى نعطيه اياه من اول مايقب الله علينا فيفعل) فقال المهاجرون والانصار ما كان لنا فهو لرسول الله وامتنع من ذلك جماعة من الاعراب كالاقرع بن حابس وعيينة بن حصن والعباس بن مرداس فأخذوا الرسول منهم قرضا وأمر عليه السلام بأن تحبس عائلة مالك بن عوف النصري رئيس تلك الحرب بمكة عند عمتهم أم عبد الله بن أبي أمية فقال له الوفد أولئك ساداتنا فقال عليه السلام انما أريد بهم الخير ثم سأل عن مالك فقالوا هرب مع ثقيف فقال أخبروه انه ان جاءني مسلماً رددت عليه أهله وماله وأعطيته مائة من الابل فلما بلغ ذلك مالكا نزل من الحصن خفية حتى اتى رسول الله بالجعرانة فأسلم وأحرز ماله وأهله واستعمله عليه السلام على من أسلم من هوازن (ثم) ان الرسول صلى الله عليه وسلم عمرة الجعرانة اعتمر فأحرم من الجعرانة ودخل مكة بليل فطاف واستلم الحجر ثم رجع من ليلته وكانت اقامته بالجعرانة ثلاث عشرة ليلة ثم أمر عليه السلام بالرحيل ففسار الجيش آمنا مطمئنا حتى دخل

المدينة لثلاث بقين من ذى القعدة

وغزوة حنين هي التي فرق الله بها جموع الشرك وأدال دولته وافقد سراة أهله فان هوازن لم تترك وراءها رجلاً تمكنه الحرب الاساقفة ولم تترك لها بعيداً ولا شاة الا جاءت به معها فأراد الله اعزاز الاسلام بخذلان اعدائه وأخذ أموالهم فانكسرت حدة المشركين ولم يبق فيهم من يمانع او يدافع ولذلك يمكننا ان نقول ان انكسار هوازن كان خاتمة لحروب العرب فلم يبق فيهم الا فتات قليلة يسوفهم الطيش الى اشهار السلاح. ثم لا يلبثون ان يعمدوا السيوف حينما تظهر لهم قوة الحق الساطعة

سرية ولما رجع عليه السلام الى المدينة أرسل قيس بن سعد

في اربعمائة ليدعو صداة (قبيلة تسكن اليمن) الى الاسلام فجاء الى رسول الله رجل منهم فقال يا رسول الله اني جئتك وافدا عمن ورائي فاردد الجيش وانا لك بقومى فامر عليه السلام برد الجيش وخرج الرجل الى قومه فقدم بخمسة عشر رجلاً وفروه صداة

منهم فنزلوا ضيوفاً على سعد بن عبادة ثم بايعوا رسول الله على الاسلام وقالوا نحن لك على من وراءنا من قومنا ولما رجعوا

فشافهم الاسلام وقدم على رسول الله منهم مائة في حجة
الوداع

ثم أرسل عليه السلام بشر بن سفيان العدوي الى بني
كعب من خزاعة لاخذ صدقات أموالهم فمنعهم بنو تميم
المجاورون لهم من أداء ما فرض عليهم فلما علم بذلك رسول
الله أرسل اليهم عيينة بن حصن في خمسين فارساً من الاعراب
فجاءهم وحاربهم واخذ منهم أحد عشر رجلاً واحدى وعشرين
امراً وثلاثين صبياً وتوجه بالكل الى المدينة فأمر عليه السلام
بجعلهم في دار رملة بنت الحارث فجاء في أثرهم وفد تميم فيه
عطار بن حاجب والزبرقان بن بدر وعمرو بن الاهتم فجلسوا
ينتظرون الرسول فلما أبطأ عليهم نادوا من وراء الحجرات بصوت
جاف يا محمد اخرج الينا ففاخرنا فان مدحنا زين وان ذمنا
شين فخرج اليهم عليه السلام وقد تأذى من صياحهم وفيهم نزل
(ان الذين ينادونك من وراء الحجرات اكثرهم لا يعقلون
ولو أنهم صبروا حتى تخرج اليهم لكان خيراً لهم والله غفور
رحيم) وكان الوقت وقت الظهر فأذن بلال ودخل النبي للصلاة
فتملقوا به يقولون نحن ناس من تميم جئنا بشاعرنا وخطيبنا

لشعاعرك ونفاخرك فقال لهم عليه السلام (ما بالشعر بعثنا ولا
 بالفخار أمرنا) ثم صلى الظهر واجتمع حوله رجال الوفد
 يتفاخرون بمجدهم ومجد آبائهم وقد مدح عمرو بن الاثم
 الزبرقان بن بدر فقال انه لمطاع في أئديته سيد في عشيرته
 فقال الزبرقان حسدني يا رسول الله لشرفي وقد علم أفضل مما
 قال فقال عمرو انه لزم من المروءة ضيق العطن لئيم الحال فرؤى
 الغضب في وجه رسول الله لا اختلاف قولي عمرو فقال يا رسول
 الله لقد صدقت في الاولى وما كذبت في الثانية رضيت
 فقلت أحسن ما علمت وغضبت فقلت أسوأ ما علمت فقال
 عليه السلام (ان من البيان لسحرا) ثم اسلم القوم فرد النبي
 عليهم أسراهم وأحسن جائزتهم وأقاموا مسدة يتعلمون فيها
 القرآن ويتفقهون في الدين

سرية

ثم بعث عليه السلام الوليد بن عقبة بن ابى معيط لاختد
 صدقات بنى المصطلق فلما علموا بقدومه خرج منهم عشرون
 رجلاً متقلدين سلاحهم احتفالاً بقدومه ومعهم ابل الصدقة
 فلما نظرهم ظنهم يريدون حربه لما كان بينه وبينهم من العداوة
 في الجاهلية فرجع مسرعاً الى المدينة وأخبر الرسول ان القوم

ارتدوا ومنعوا الزكاة فأرسل اليهم خالد بن الوليد لاستكشاف
الخبر ففسار اليهم في عسكره خفية حتى اذا كان بناديهم سمع
مؤذنين يؤذن بالصبح فأتاهم خالد فلم ير منهم الا طاعة فرجع
وأخبر الرسول فارسل عليه السلام لهم غير الوليد لأخذ الصدقات
وفي الوليد نزل (يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا

مصرية

ان تضيقوا قوماً بجهالة فتصيبوا على ما فعلتم نادمين)
ثم بلغ رسول الله ان جمعاً من الحبشة رآهم أهل جده
في مصراكهم يريدون الاغارة عليها فارسل لهم علقمة بن محرز
في ثلاثمائة فذهب حتى وصل جدة ونزل في المراكب ليديرهم
وكان الاحباش متحصنين في جزيرة هناك فلما رأوا المسلمين
يريدونهم هربوا ولم يبق المسلمون كيلاً فرجع علقمة بمن معه
ولما كان بالطريق أذن لسرعان القوم أن يتعجلوا وأمر عليهم
عبدالله بن حذافة السهمي وكان فيه دعاة فأوقد لهم في الطريق
ناراً وقال لهم الستم مأمورين بطاعتي قالوا نعم قال عزمت
عليكم الا ماتوا ثبتم في هذه النار فقال بعضهم ما اسلمنا الا
فراراً من النار وهم بذلك بعضهم فنعمهم عبدالله وقال كنت
مازحاً فلما ذكروا ذلك لرسول الله قال (لا طاعة لمخلوق في

معصية الخالق (

السنة التاسعة
سرية

في ربيع الاول أرسل عليه السلام على بن أبى طالب
 في خمسين فارساً لهدم الأئس (صنم لطيف) فسااراليه وهدمه
 وأحرقه ولما حارب عبّاده هزمهم واستاق نعمهم وشاءهم
 وسبيهم وكان فيه سفانة بنت حاتم طيٍّ ولما رجع على الى
 المدينة طلبت سفانة من رسول الله أن يمن عليها فأجابها لانه
 كان من سننه أن يكرم الكرام فدعت له وكان من دعائها
 (شكرت لك يد افتقرت بعد غنى ولا ملكتك يد استغنت بعد
 فقر وأصاب الله بمعروفك مواضعه ولا جعل لك الى شيء
 حاجة ولا سلب نعمة كريم الا وجعلك سبباً لردها عليه)
 وكانت هذه المعاملة من رسول الله سبباً في اسلام أخيها عدى
 ابن حاتم الطائي الذي كان فرّ الى الشام عند ما رأى الرايات
 الاسلامية قاصدة بلاده وكان من حديث مجيئه أن أخته
 توجهت اليه بالشام وأخبرته بما عوملت به من الكرم فقال
 لها ما ترين في أسر هذا الرجل فقالت أرى أن تلحق به سريعاً
 فان يكن نبياً فلا سابق اليه فضل وان يكن ملكاً فأنت أنت
 فقال والله هذا هو الراى فخرج حتى جاء المدينة ولقى رسول

وفود عدي بن
حاتم

الله فقال عليه السلام من الرجل قال عدى بن حاتم فأخذه
الى بيته وبينما هما يمشيان اذ لقيت رسول الله امرأة عجوز
ضعيفة فاستوقفته فوقف لها طويلاً تكلمه فى حاجتها فقال
عدى والله ما هو بملك ثم مضى رسول الله حتى اذا
دخل بيته تناول وسادة من جلد محشوة ليفاً فقدمها الى عدى
وقال اجلس على هذه فقال بل أنت تجلس عليها فامتنع عليه
السلام وأعطاهما له وجلس هو على الارض ثم قال يا عدى
أسلم تسلم قالها ثلاثاً فقال عدى انى على دين (وكان نصرانياً)
فقال له عليه السلام انا أعلم بدينك منك فقال عدى أنت
أعلم بدينى منى قال نعم ثم عدد له أشياء كان يفعلها اتباعاً لقواعد
العرب وليست من دين المسيح فى شئ كأخذه المربع وهو
ربع الغنائم ثم قال يا عدى انما يمنعك من الدخول فى الدين
ما ترى تقول انما اتبعه ضعفة الناس ومن لا قدرة لهم وقد
رمتهم العرب مع حاجتهم فوالله ليوشكن المال أن يفيض
فيهم حتى لا يوجد من يأخذه ولعلك انما يمنعك من
الدخول فيه ما ترى من كثرة عدوهم وقلة عددهم أنعرف
الحيرة قال لم أرها وقد سمعت بها قال فوالله ليتمن هذا

الامر حتى تخرج المرأة من الحيرة تطوف بالبيت من غير
جوار احد ولعلك انما يمنعك من الدخول فيه انك ترى
الملك والسلطان في غيرهم وايم الله ليوشكن ان تسمع بالقصور
الييى من ارض بابل قد فتحت عليهم) فاسلم عدى رضى
الله عنه وعاش حتى رأى كل ذلك

غزوة تبوك بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الروم جمعت الجوع
تريد غزوه في بلاده وكان ذلك في زمن عسرة الناس وجذب
البلاد وشدة الحر حين طابت الثمار والناس يحبون المقام
في ثمارهم وظلالهم فامر عليه السلام بالتجهز وكان قلما يخرج
في غزوة الاورى بغير هاليعى الاخبار على العدو الا في هذه
الغزوة فانه أخبر بمقصده لبعده الشقة وكثرة العدو ليأخذ الناس
عديهم لذلك وبعث الى مكة وقبائل الاعراب يستنفرهم
لذلك وحث المؤسرين على تجهيز المعسرين فانفق عثمان بن عفان
عشرة آلاف دينار وأعطى ثلاثمائة بعير بأحلاسها وأقباها
وخمسين فرساً فقال عليه السلام اللهم ارض عن عثمان فاني راض عنه
وجاء أبو بكر بكل ماله وهو أربعة آلاف درهم فقال عليه السلام
هل أبقيت لاهلك شيئاً فقال أبقيت لهم الله ورسوله وجاء عمر بن

لخطاب بنصف ماله وجاء عبد الرحمن بن عوف بمائة أوقية وجاء
عباس وطلحة بمال كثير وتصدق عاصم بن عدي بسبعين وسقاً
ن تمر وأرسلت النساء بكل ما يقدرن عليه من حلين وجاءه عليه
السلام سبعة أنفس من فقهاء الصحابة يطالبون اليه ان يحملهم
يقال لأجد ما أحملكم عليه فتولوا وأعينهم تقيض من الدمع
حزناً ان لا يجدوا ما ينفقون فجهز عثمان ثلاثة منهم وجهز
لبس اثنين وجهز يامين بن عمرو اثنين ولما اجتمع الرجال
خرج بهم رسول الله وهم ثلاثون ألفاً وولى على المدينة
محمد بن مسلمة وعلى أهله على بن أبي طالب وتخلف كثير
من المنافقين يرأسهم عبد الله بن أبي وقال يغزو محمد بنى
لا صفر مع جهد الحال والحرو والبلد البعيد يحسب محمدان قتال بنى
لا صفر معه اللعب والله لكأني أنظر الى أصحابه مقرنين فى الجبال
راجتمع جماعة منهم فقالوا فى حق رسول الله وأصحابه ما يريدون
من الارجاف فبلغه ذلك فأرسل اليهم عمار بن ياسر يسألهم
مما قالوا فقالوا انما كننا نخوض ونلعب وجاء اليه جماعة منهم الجد
بن قيس يعتذرون عن الخروج فقالوا يا رسول الله ائذن لنا
ولا تقتنأ لانا لانأمن نساء بنى الا صفر وجاء اليه المذرون

من الاعراب وهم أصحاب الاعذار من ضعف اوقلة ليؤذن لهم
فأذن لهم وكذلك استأذن كثير من المنافقين فاذن لهم وقد عتب
الله عليه في ذلك الاذن بقوله (عفا الله عنك لم أذنت لهم
حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين) ثم قال في حقهم
(انما يستأذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر وارتابت
قلوبهم فهم في ريبهم يترددون) ثم كذبهم الله في عذرهم
فقال (ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عدة ولكن كره الله
انبعاثهم فبطهم وقيل اقعدوا مع القاعدین) ثم لكيلا يأبى
المسلمون على قعود المنافقين عنهم قال جل ذكره (لو خرجوا
فيكم ما زادوكم الا خبالاً ولا وضعوا فلككم بئغونكم الفتنة
وفيكم سمعون لهم والله عليم بالظالمين) وتحالف جماعة من
المسلمين لا يهتمون في اسلامهم منهم كعب بن مالك وهلال
ابن امية ومراة بن الربيع وابو خيثمة ولما خلف عليه السلام
علياً قال المنافقون قد استنقله فتركه فأسرع على الى رسول
الله وشكاه له ما سمع فقال عليه السلام (أما ترى أن تكون
منى بمنزلة هارون من موسى) ثم سار عليه السلام بالجليش
وأعطى لواءه الاعظم أبا بكر الصديق وفي اعطاء اللواء لابي

بكر في آخر غزوة للرسول وتخليف على أهل البيت
 حكمة لطيفة يفهمها القارئ وفرق عليه السلام الرايات فأعطى
 الزبير راية المهاجرين وأسيد بن حضير راية الأوس والحباب
 ابن المنذر راية الخزرج (ولما) مر الجيش بالحجر وهي ديار
 ثمود قال عليه السلام لأصحابه (لا تدخلوا بيوت الذين ظلموا
 الا وانتم باكون) ليشمر قلوبهم رهبة الله وكان مستعملاً على
 حرس الجيش عباد بن بشر وكان أبو بكر يصلي بالجيش ولما
 وصلوا الى تبوك وكانت أرضاً لا عمارية فيها قال الرسول لمعاذ
 ابن جبل (يوشك ان طالت بك حياة ان ترى ما هنا مليء
 بساكنين) وقد كان ولما استراح الجيش لحقه ابو خيثمة وكان من خبر
 مجيئه ان دخل على أهله في يوم حار فوجد امرأتين له في
 عريشتين لهما في بستان قد رشت كل منهما عريشتها وبردت
 فيها ماء وهيأت طعاماً وكان يوماً شديداً الحر فلما نظر ذلك
 قال يكون رسول الله في الحر وأبو خيثمة في ظل بارد وماء مهياً
 وامرأة حسناء ما هذا بالنصف ثم قال والله لا أدخل عريشة
 واحدة منكما حتى ألحق برسول الله فهيا لي زاداً فعملتا ثم ركب
 بعيره وأخذ سيفه ورمحه وخرج يريد رسول الله فصادفه

حين نزل بتبوك هذا ولم ير عليه السلام بتبوك جيشاً كما
وفود صاحب كان قد سمع فاقام هناك أياماً جاءه في أثناءها يوحنا صاحب
أيلة وصحبته أهل جرباء (قرية جنوب الشام) وأهل أذرح
(مدينة تلقاء السراة) وأهل ميناء فصالح يوحنا رسول الله
على اعطاء الجزية ولم يسلم وكتب له الرسول كتاباً بهذه
كتاب صاحب صورته (بسم الله الرحمن الرحيم هذا أمانة من الله ومحمد النبي
أيلة رسول الله ليوحنا وأهل أيلة سفنهم وسيارتهم في البر والبحر
لهم ذمة الله ومحمد النبي ومن كان معهم من أهل الشام وأهل
الين وأهل البحر فمن أحدث منهم حدثاً فإنه لا يجوز ماله
دون نفسه وأنه لطيفة لمن أخذه من الناس وأنه لا يحل أن
يمنعوا ماء يردونه ولا طريقاً يريدونه من بر أو بحر) وكتب لأهل
أذرح وجرباء كتاباً بصورته (بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من
أفدح وجرباء محمد النبي لأهل أذرح وجرباء أنهم آمنون بأمان الله وأمان محمد وأن
عليهم مائة دينار في كل رجب وافية طيبة والله كفيل بالنصح
والاحسان للمسلمين) وصالح أهل ميناء على ربع ثمارهم (ثم) ان
الرسول استشار أصحابه في مجاوزة تبوك الى ما هو أبعد منها من
ديار الشام فقال له عمران كنت أمرت بالسير فسر فقال عليه السلام

لو كنت أمرت بالسير لم أستشر فقال عمر يا رسول الله ان للروم
جموعاً كثيرة وليس بالشام أحد من أهل الاسلام وقد دنونا وقد
أفزعهم دنوك فلو رجعنا في هذه السنة حتى نرى أو يحدث
الله أمراً فتبع عليه السلام مشورته وأمر بالقول فرجع
الجيش الى المدينة ولما كان على مقربة منها بلغه خبر مسجد
الضرار وهو مسجد أسسه جماعة من المنافقين معارضة مسجد الضرار
لمسجد قباء ليفرغوا جماعة المسلمين وجاء جماعة منهم الى الرسول
طالبين منه أن يصلى لهم فيهم فسألهم عن سبب بنائه خلفوا
بالله ان أردنا الا الحسنى والله يشهد انهم لكاذبون فأمر عليه السلام
جماعة من أصحابه لينطلقوا اليه ويهدموه ففعلوا (هذا) ولما
استقر عليه السلام بالمدينة جاءه جماعات من المنافقين الذين
تخلفوا يعتذرون كذباً فقبل منهم عليه السلام علانيتهم ووكل
ضمايرهم الى الله واستغفر لهم وجاءه كعب بن مالك الخزرجى
ومرارة بن الربيع وهلال بن أمية الأوسيان مقرين بذنوبهم فلما
دخل عليه كعب تبسم تبسم الغضب وقال ما خلفك فقال يا رسول
الله لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا لرأيت أن سأخرج من
مخطئه بعذر ولقد أوتيت جدلاً ولكنى والله لقد علمت لئن

حديث الثلاثة
الذين خلفوا

حدثك اليوم حديث كذب ترضى به عنى ليو شكن الله ان يسخط
على فيه واثن حدثك حديث صدق تعضب على فيه انى لا رجو
فيه عفو الله والله ما كان لى من عذر فقال عليه السلام اما هذا
فقد صدق فقم حتى يقضى الله فيك وقال صاحبا به مثل قوله
فقال لهما عليه السلام كما قال لكعب ونهى المسلمين عن كلامهم
فاجتنبهم الناس وامرهم ان يعتزلوا نساءهم وستأذنت زوج
هلال بن أمية فى خدمة زوجها لانه شيخ ضائع ليس له خادم
فأذن لهما ولم يزالوا كذلك حتى ضاقت عليهم الارض بما
رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا ان لا مآجاً من الله الا اليه
ثم تاب عليهم فأرسل لهم عليه السلام من يبشرهم بهذه النعمة
الكبرى فتلقاهم الناس أفواجاً أفواجاً يهتفونهم بتوبة الله فلما
دخل كعب المسجد تلقاه رسول الله مسروراً فقال ابشر يا كعب
بخير يوم يمر عليك منذ ولدتك امك فقال من عندك يا رسول
الله أم من عند الله قال بل من عند الله فقال كعب يا رسول الله
ان من توبتى ان انخلع من مالى صدقة لله ولرسوله فقال عليه
السلام أمسك عليك بعض ممالك فهو خير لك ثم قرأ عليه
السلام الآيات التى فيها توبته هو وأخويه (وعلى الثلاثة الذين

خلفوا حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت وضاقت عليهم
أنفُسهم وظنوا ان لا ملجأ من الله الا اليه ثم تاب عليهم ليتوبوا
ان الله هو التواب الرحيم)

وعقب مقدمه عليه السلام من تبوك وفد عليه وفد ثقيف وفود ثقيف
وكان من خبرهم أنه لما انصرف رسول الله من محاصرته
تبع أثره عروة بن مسعود الثقفي حتى ادركه قبل ان يصل الى
المدينة فأسلم وسأله أن يرجع الى قومه ويدعوهم الى
الاسلام فقال له انهم قالوك فقال يا رسول الله أنا احب اليهم
من أبقارهم فخرج الى قومه يرجو منهم طاعته لمرتبة فيهم
لانه كان فيهم محبباً مطاعاً فلما جاء الطائف وأظهر لهم ما جاء
به رموه بالنبل فقتلوه وبعد شهر من مقتله ائتمروا فيما
بينهم ورأوا أنه لا طاقة لهم بحرب من حولهم من العرب
فأجمعوا أمرهم على أن يرسلوا لرسول الله رجلاً منهم يكلمه
وطلبوا من عبدياليل بن عمرو أن يكون ذلك الرجل فأبى وقال
لست فاعلاً حتى ترسلوا معي رجلاً فبعثوا معه خمسة من
أشرافهم فخرجوا متوجهين الى المدينة ولما قابلوا رسول الله
ضرب لهم قبة في ناحية المسجد ليسمعوا القرآن وروا الناس

إذا صلوا وكانوا يغدون إلى رسول الله كل يوم ويخلفون في رحالهم أصغرهم سنًا عثمان بن أبي العاص فكان إذا رجعوا ذهب للنبي واستقرأه القرآن وإذا رآه نائمًا استقرأ أبا بكر حتى حفظ شيئًا كثيرًا من القرآن وهو يكتّم ذلك عن أصحابه ثم أسلم القوم وطلبوا أن يعين لهم من يؤمهم فأمر عليهم عثمان بن أبي العاص لما رآه من حرصه على الإسلام وقراءة القرآن وتعلم الدين ثم كتب لهم كتابًا من جملته (بسم الله الرحمن الرحيم من محمد النبي رسول الله إلى المؤمنين أن عضاه وجّ وصيده حرام لا يعضد شجره ومن وجد يفعل شيئًا من ذلك فانه يجلد وتزرع ثيابه) ثم سألوا رسول الله أن يؤجل هدم صنمهم شهرًا حتى يدخل الإسلام قلوب القوم ولا يرتاع السفهاء من النساء من هدمها فرضى بذلك عليه السلام ولما خرجوا من عنده قال لهم رئيسهم أنا أعلمكم بثقيف اكتبوا عنهم أسلامكم وخوفوهم الحرب والقتال واخبروهم أن محمدًا طلب أمورًا عظيمة أئيناها عليه سألنا أن نهدم الطاغية وأن نترك الزنا وشرب الخمر والربا فلما حلوا بلادهم جاءتهم ثقيف فقال الوفد جئنا رجالًا فظًا غليظًا قد ظهر بالسيف ودان الناس له

كتاب أهل
الطائف

فعرض علينا أمورا شديدة وذكروا ما تقدم فقالوا والله لا نطيعه أبداً فقالوا لهم اصلحوا سلاحكم ورموا حصونكم واستعدوا للقتال فأجابوا واستمروا على ذلك يومين أو ثلاثاً حتى أتى الله فيها الرعب في قلوبهم فقالوا والله ما لنا بمجر به من طاقة ارجعوا اليه وأعطوه ما سأل فقال الوفد قد قاضيناه وأسلمنا فقالوا لم كتمتم علينا ذلك قالوا حتى تذهب عنكم نخوة الشيطان فأسلموا ولما بلغ رسول الله اسلام ثقيف أرسل أباسفيان والمغيرة بن شعبه الثقفي لهدم اللات صنم هدم اللات ثقيف بالطائف فتوجهوا وهدموه حتى سووه بالارض وفي أخريات ذي القعدة أرسل عليه السلام أبا بكر ليحج بالناس فخرج في ثلاثمائة رجل من المدينة ومعه الهدى عشرون بدنة أهداها رسول الله وساق أبو بكر خمس بدنات ولما سافر نزل على رسول الله أوائل سورة براءة فأرسل بها علياً ليلغها الناس في يوم الحج الاكبر وقال لا يبلغ عنى الا رجل منى فلاحق أبا بكر في الطريق فقال الصديق هل استعملك رسول الله على الحج قال لا ولكن بعثني أقرأ أوائل براءة على الناس فلما اجتمعوا بمنى يوم النحر

قرأ عليهم على ثلاث عشرة آية من أول براءة تتضمن نبذ
العهود لجميع المشركين الذين لم يوفوا عهودهم وأمهاتهم أربعة
أشهر يسبحون فيها في الأرض كيف شاؤوا وإتمام عهد
المشركين الذين لم يظاهروا على المسلمين ولم يغدروا بهم إلى
مدته ثم نادى لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت
عريان وكان على صلى في هذا السفر وراء أبي بكر رضى
الله عنهما

وفاته اسـ أنى وفى ذى القعدة مات عبد الله بن أبى وقد صلى عليه
رسول الله صلاة لم يطل مثلها وشيع جنازته حتى وقف على
قبره وانما فعل ذلك تطييباً لقلب ولده عبد الله بن عبد الله
وتألياً لقلوب الخزرج لمكانة عبد الله بن أبى فيهم وقد نزع
ربقة النفاق كثير من المنافقين بعد هذا اليوم لما رأوه من أعمال
السيد الكريم صلى الله عليه وسلم وقد نهى الله رسوله بعد
ذلك عن الصلاة على المنافقين فقال جل شأنه (ولا تصل على
أحد منهم مات أبداً ولا تقم على قبره)

وفاته ام كانه وفى هذه السنة توفيت ام كلثوم بنت رسول الله وزوج
عثمان رضى الله عنه

في ربيع الآخر أرسل عليه السلام خالد بن الوليد في جمع لبنى
 عبد المدان بنجران من ارض اليمن وأمره ان يدعوهم الى الاسلام ^{سريه}
 ثلاث مرات فان ابواقاتهم فلما قدم اليهم بعث الركبان في كل
 وجه يدعون الى الاسلام ويقولون أسلموا تسلموا فأسلموا
 ودخلوا في دين الله أفواجا فأقام خالد بينهم يعلمهم الاسلام
 والقرآن وكتب الى رسول الله بذلك فأرسل اليه ان يقدم
 بوفدهم ففعل وحين اجتمعوا به صلى الله عليه وسلم قال لهم
 بم كنتم تغلبون من قاتلكم في الجاهلية قالوا كنا نجمع ولا
 نفرق ولا نبداً أحداً بظلم قال صدقتم وأمر عليهم زيد بن
 حصين (وفي) رمضان أرسل عليه السلام علياً في جمع الى بني مذجع ^{سريه}
 (قبيلة يمانية) وعمه يده وقال (سرحتى تنزل بساحتهم فادعهم
 الى قول لا اله الا الله فان قالوا نعم فمرهم بالصلاة ولا تبغ
 منهم غير ذلك ولا أن يهتدي الله بك رجلاً واحداً خير لك
 مما طلعت عليه الشمس ولا تقتلهم حتى يقتلوك) فلما انتهى
 اليهم لقي جموعهم فدعاهم الى الاسلام فأبوا ورموا المسلمين
 بالنبل فصف على اصحابه وأمرهم بالقتال فقاتلوا حتى هزموا
 عدوهم فكف عن طلبهم قليلاً ثم لحقهم ودعاهم الى الاسلام

فأجابوا وباعه رؤساؤهم وقالوا نحن على من وراءنا من
قومنا وهذه صدقاتنا نخذ منها حق الله ففعل ثم رجع الى رسول
الله فوافاه بمكة في حجة الوداع

بعث العمال
على اليمن

ثم بعث عليه السلام الى اليمن عمالاً من قبله فبعث معاذ
ابن جبل على الكورة العليا من جهة عدن وبعث أبا موسى
الاشعري على الكورة السفلى ووصاهما عليه السلام بقوله (يسرا
ولا تعسرا وبشرا ولا تنفرا) وقال لمعاذ (انك ستأتى قوما
أهل كتاب فاذا جئتهم فادعهم الى ان يشهدوا ان لا اله الا الله
وان محمداً رسول الله فان أطاعوا لك بذلك فأخبرهم ان الله
قد فرض عليهم خمس صلوات في اليوم والليلة فان أطاعوا
لك بذلك فأخبرهم ان الله قد فرض عليهم صدقة تؤخذ من
أغنيائهم فتزد على فقرائهم فان هم أطاعوا لك بذلك فإياك
وكرائم أموالهم واتق دعوة المظلوم فانه ليس بينها وبين الله
حجاب) وقد مكث معاذ باليمن حتى توفى رسول الله أما أبو
موسى فقدم على الرسول في حجة الوداع

وفي السنة العاشرة حج عليه السلام بالناس حجة ودع
فيها المسلمين ولم يصب غيرها وخرج لها يوم السبت لخمس بقين
حجة الوداع

من ذى الحجة وولى على المدينة أبا دجاجة الانصارى وكان مع
الرسول جمع عظيم يبلغ تسعين ألفاً وأحرم للحج حيث انبعثت
به راحلته ثم لبي فقال (ابيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك
ليك ان الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك) ولم يزل
عليه السلام سائراً حتى دخل مكة ضحى من الثنية العليا وهى ثنية
كداء ولما رأى البيت قال اللهم زده تشريفاً وتعظيماً ومهابة
وبراً ثم طاف بالبيت سبعا واستلم الحجر الاسود وصلى ركعتين
عند مقام ابراهيم ثم شرب من ماء زمزم ثم سعى بين الصفا
والمروة سبعا راكباً على راحلته وكان اذا صعد الصفا يقول
لا اله الا الله الله اكبر لا اله الا الله وحده أنجز وعده ونصر
عبداه وهزم الاحزاب وحده وفي الثامن من ذى الحجة
توجه الى منى فبات بها وفي التاسع منه توجه الى عرفة وهناك
خطب خطبته الشريفة التي بين فيها الدين كله أسسه وفرعه
وهاك نصها (الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونوب
اليه ونعوذ به من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده
الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا اله
الا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله

خطبة الوداع

أوصيكم عباد الله بتقوى الله وأحثكم على طاعته وأستفتح
 بالذي هو خير (أما بعد) أيها الناس اسمعوا مني أئين لكم
 فاني لا أدرى اعلی لا ألقاكم بعد عامي هذا في موقفی هذا
 (أيها الناس) ان دماءكم وأموالكم حرام عليكم الى أن تلقوا
 ربكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا الأهل
 بلغت اللهم فاشهد فمن كانت عنده أمانة فليؤدها الى من ائتمنه
 عليها وان ربا الجاهلية موضوع وان أول ربا أبدأ به رباعی
 العباس بن عبد المطلب وان دماء الجاهلية موضوعة وأول دم أبدأ به
 دم عامر بن ربيعة بن الحارث وان مآثر الجاهلية موضوعة غير
 السدانة والسقاية (والعمد) قود وشبه العمد ما قتل بالعصا
 والحجر وفيه مائة بعير فمن زاد فهو من أهل الجاهلية
 (أيها الناس) ان الشيطان قد يئس أن يعبد في أرضكم هذه
 ولكنه قد رضى أن يطاع فيما سوى ذلك مما تحقرون من
 أعمالكم (أيها الناس) (١) ان النسيء زيادة في الكفر يضل

(١) كانت العرب تستعمل في حسابها الأشهر الهلالية وكانت الاعمال
 التي كلفوا بها من عهد ابراهيم واسماعيل كاللحج وتحريم الأشهر الحرم
 مرتبطة بهذه الشهور ولما رأوا ان سيرهم على هذه القاعدة مما يضر

به الذين كفروا يحلونهم عاماً ويحرمونه عاماً ليواطشوا عدة ما حرم الله وان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض وان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً في كتاب الله يوم خلق الله السموات والارض منها أربعة حرم ثلاث متواليات وواحد فرد ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب الذي بين جمادى وشعبان الاهل بلغت اللهم اشهد (أيها الناس) ان لنسائكم عليكم حقاً ولكم عليهن حق أن لا يوطئن فرشكم غيركم ولا يدخلن أحداً تكرهونه بيوتكم

بمصلحتهم التجارية اذ قد يجيء الحج في فصل لا يناسبه وقد تحمل الاشهر الحرم في فصل لا تناسب تجارتهم فيه عمدوا الى السنة الهلالية فأضافوا على آخرها أياماً سموها أيام النسيء لتوافق السنة الشمسية حتى يكون كل عمل ثابتاً في الفصل الذي يناسبه وكانوا يجمعون هذه الايام حتى تستكمل شهراً فيضيفونها فتتج من ذلك ان بعض السنين تكون اثني عشر شهراً وبعضها اثة عشر فتارة يجيء الحج في شهره ذي الحجة وتارة في ذي القعدة وهكذا حتى يدور الدور فيأتي في ذي الحجة اانياً فلما كانت حجة الوداع أمر عليه السلام بابطال هذه القاعدة كما أمره الله والسير على الاشهر الهلالية وكان الدور قد دار وجاء الحج في شهره ولذلك قال (ان الزمان قد استدار الخ) ^{١٤} ٥

الا باذنكم ولا يأتين بفاحشة فان فعلن فان الله اذن لكم ان
 تعضلوهن وتهجروهن في المضاجع وتضربوهن ضرباً غير
 مبرح فان انتهين وأطعنكم فعليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف
 وانما النساء عندهن عوان لا يملكن لانفسهن شيئاً أخذتموهن
 بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله فاتقوا الله في النساء
 واستوصوا بهن خيراً ألا هل بلغت اللهم أشهد (أيها الناس)
 انما المؤمنون اخوة ولا يحل لامرئ مال أخيه الا عن طيب
 نفس منه الا هل بلغت اللهم أشهد فلا رحمة بعدى كفاراً
 يضرب بعضهم رقاب بعض فاني قد تركت فيكم ما ان
 أخذتم به لم تضلوا بعده كتاب الله ألا هل بلغت اللهم أشهد
 (أيها الناس) ان ربكم واحد وان أباكم واحد كلكم لآدم
 وآدم من تراب أكرمكم عند الله أتقاكم ليس لعربي فضل
 على عجمي الا بالتقوى الا هل بلغت اللهم أشهد فيبلغ الشاهد
 منكم الغائب (أيها الناس) ان الله قد قسم لكل وارث نصيبه
 من الميراث ولا تجوز لوارث وصيته ولا تجوز وصية في
 أكثر من الثلث والولد للفراس وللعاهر الحجر من ادعى الى
 غير أبيه أو تولى غير مواليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس

أجمعين لا يقبل منه صرف ولا عدل والسلام عليكم ورحمة الله)
 وفي هذا اليوم امتن الله على المؤمنين بقوله (اليوم أكملت
 لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام
 ديناً) فلا غرابة أن اتخذ المسلمون عيداً ويوماً سعيداً
 يظهرون فيه شكر الله على هذه النعمة الكبرى ثم انه عليه
 السلام أدى مناسك الحج من رمى الجمار والنحر والحلق
 والطواف وبعد أن أقام بمكة عشرة أيام قفل الى المدينة ولما
 رآها كبر ثلاثاً وقال (لا اله الا الله وحده لا شريك له
 له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير آيرون تائبون
 عابدون ساجدون لربنا حامدون صدق الله وعده ونصر
 عبده وهزم الاحزاب وحده)

في هذه السنة والى قبلها كان وفود العرب الى رسول
 الله ليبيأوه على الاسلام وكانوا يقدمون أفواجا ولما في أخبار
 هذه الوفود من التعاليم الحميدة التي يحتاج ذو الادب ان يعرفها
 رأينا ان نذكر لك منها ما يزيدك يقينا وينير بصيرتك فنقول
 (من) الوفود وفد نصارى نجران وكانوا ستين راكباً دخلوا وفود نجران
 المسجد وعليهم ثياب الحبرة وأردية الحرير محتجين بالذهب

ومعهم بسط فيها تماثيل ومسوح جاؤ بها هدية للنبي صلى الله عليه وسلم فلم يقبل البسط وقبل المسوح ولما جاء وقت صلاتهم صلوا في المسجد مستقبليين بيت المقدس ولما أتوا صلاتهم دعاهم عليه السلام للإسلام فأبوا وقالوا كنا مسلمين قبلكم فقال عليه السلام ينعمكم من الإسلام ثلاث عبادتكم الصليب وأكلكم لحم الخنزير وزعمكم أن الله ولد آقاؤا فمن مثل عيسى خلق من غير أب فأنزل الله في ذلك (أن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون) وليظهر الله لهم أنهم في شك من أمرهم أنزل (فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين) فدعاهم عليه السلام لذلك فامتنعوا ورضوا باعطاء الجزية وهي الف حلة في صفر وألف حلة في رجب مع كل حلة اوقية من ذهب ثم قالوا أرسل معنا أمينا فارسا لهم أبا عبيدة عامر بن الجراح وكان لذلك بسمى أمين هذه وفود ضام الامة (ومن الوفود) ضمام بن ثعلبة يينا رسول الله بين ابن ثعلبة أصحابه متكئا جاءه رجل من أهل البادية نائر الرأس يسمع

دَوَّى صَوْتَهُ وَلَا يَفْقَهُ مَا يَقُولُ فَأَنَاحَ جَمْلَهُ فِي الْمَسْجِدِ ثُمَّ قَالَ
 أَيُّكُمْ ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فَدَلَّوْهُ عَلَيْهِ فَوَدَّعَانَا مِنْهُ وَقَالَ أَنِي سَائِلُكَ
 فَشَدَّدَ عَلَيْكَ الْمَسْأَلَةَ فَلَا تُجِدْ عَلَيَّ فِي نَفْسِكَ فَقَالَ سَلْ مَا بَدَأَكَ
 فَقَالَ أَنُشَدُّكَ بِاللَّهِ أَنَّهُ أَرْسَلَكَ إِلَى النَّاسِ كُلِّهِمْ فَقَالَ نَعَمْ فَقَالَ
 أَنُشَدُّكَ بِاللَّهِ أَنَّهُ أَمَرَكَ أَنْ تَصِلَى خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي الْيَوْمِ
 وَاللَّيْلَةِ قَالَ اللَّهُمَّ نَعَمْ فَقَالَ أَنُشَدُّكَ بِاللَّهِ أَنَّهُ أَمَرَكَ أَنْ تَأْخُذَ
 مِنْ أَمْوَالِ أَغْنِيَاءِ ثَنَائِهِ عَلَى فَقَرَاءَتِنَا قَالَ اللَّهُمَّ نَعَمْ قَالَ أَنُشَدُّكَ
 بِاللَّهِ أَنَّهُ أَمَرَكَ أَنْ تَصُومَ هَذَا الشَّهْرَ مِنْ اثْنَيْ عَشَرَ شَهْرًا قَالَ اللَّهُمَّ
 نَعَمْ قَالَ أَنُشَدُّكَ بِاللَّهِ أَنَّهُ أَمَرَكَ أَنْ يَحْجِيَ هَذَا الْبَيْتَ مِنْ اسْتَطَاعَ
 إِلَيْهِ سَبِيلًا قَالَ اللَّهُمَّ نَعَمْ قَالَ فَأَنِي قَدْ آمَنْتَ وَصَدَقْتَ وَأَنَا
 ضَمَامُ بْنُ ثَعْلَبَةَ وَلَمَّا وَلِيَ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَهُ الرَّجُلُ ثُمَّ ذَهَبَ
 ضَمَامُ إِلَى قَوْمِهِ وَدَعَاهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ وَتَرَكَ عِبَادَةَ الْأَوْثَانِ فَأَسْلَمُوا
 كُلُّهُمْ (وَمِنْ) الْوَفُودِ عَبْدِ الْقَيْسِ وَكَانَ مِنْ خَبَرِهِمْ أَنَّ
 الرَّسُولَ كَانَ جَالِسًا بَيْنَ أَصْحَابِهِ يَوْمًا فَقَالَ لَهُمْ سَيَطْلُعُ عَلَيْكُمْ
 مِنْ هُنَا رَكَبٌ مِنْ خَيْرِ أَهْلِ الْمَشْرِقِ لَمْ يَكْرِهُوا عَلَى الْإِسْلَامِ
 قَدْ أَنْضَوْا الرِّكَائِبَ وَأَفْنَوْا الزَّادَ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِعَبْدِ الْقَيْسِ فَلَمَّا أَتَوْا
 وَرَأَوْا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَمَوْا بِنَفْسِهِمْ عَنِ الرِّكَائِبِ بِيَابَ

وفود
 عبد القيس

المسجد وتبادروا الى رسول الله يسلمون عليه وكان فيهم عبد الله بن عوف الاشج وكان أصغرهم سناً فتخلف عند الركائب حتى اناخها وجمع المتاع وأخرج ثوبين أبيضين فلبسهما ثم جاء يمشى هوناً حتى سلم على رسول الله وكان رجلاً دميماً فقطن لنظر الرسول الى دمايته فقال يا رسول الله انه لا يستحق في مسوك (جلود) الرجال وانما الرجل بأصغريه قلبه ولسانه فقال عليه السلام ان فيك خلتين يحبهما الله ورسوله الحلم والناة وقد قال عليه السلام لهذا الوفد (مرحباً بالقوم غير خزايا ولا ندامى) فقالوا يا رسول الله اننا نأتك من شقة بعيدة وانه يحول بيننا وبينك هذا الحى من كفار مضر وانا لا نصل اليك الا في شهر حرام فرنا بأمر فصل فقال أمركم بالايمان بالله أنذرون ما الايمان بالله شهادة ان لا اله الا الله وان محمداً رسول الله واقام الصلاة واتيء الزكاة وصوم رمضان وان تعطوا من المغنم الخمس وأنهاكم عن الدباء (القرع) والحنتم (هو جرار مدهونة بدهان اخضر) والنقيير (أصل النخلة ينقر) والمزفت (ماطلى بالزفت) والمراد بذلك ما ينذ في هذه الالوانى فقال الاشج يا رسول الله ان أرضنا ثقيلة وخمة وانا اذا لم نشرب

هذه الاشربة عظمت بطوننا فرخص لنا في مثل هذه وأشار
الى يده فأوماً عليه السلام بكفيه وقال يا شج ان رخصت لك
في مثل هذه شربته في مثل هذه وفرج بين يديه وبسطها حتى
اذ اتمل أحدكم من شرابه قام الى ابن عمه ف ضرب ساقه بالسيف
وانما خص عليه السلام نهيهم بما ذكر لكثرة الاشربة بينهم

(ومن) الوفود بنو حنيفة وكان معهم مسيلمة الكذاب وكان
مسيلمة يقول ان جعل لي الامر من بعده اتبعته فأقبل عليه
السلام ومعه قيس بن شماس وفي يد رسول الله قطعة من
جريد حتى وقف على مسيلمة في أصحابه فقال ان سألتني هذه
القطعة ما أعطيتكها واني لاراك الذي منه رأيت وكان عليه
السلام قد رأى في منامه ان في يده سوارين من ذهب فأهمه
شأنهما فأوحى الله اليه ان انزخهما فنفضهما فطارا فأولهما عليه
السلام كذا بين يخرجان من بعده فكان مسيلمة أحدهما والثاني

طلحة العباسي صاحب صنعاء وقد أسلم بنو حنيفة (ومن) الوفود طي
وفد طي وفيهم زيد الخيل رئيسهم وقد قال عليه السلام في حقه
ما ذكر لي رجل من العرب الارأيت دون ما قيل فيه الا زيد
الخيل وسماه عليه السلام زيد الخير (ومنهم) وفد كندة وفيهم وفد كندة

الاشعث بن قيس وكان وجهاً مطاعاً في قومه
ولما دخلوا على رسول الله خبؤا له شيئاً وقالوا أخبرنا عما
خبأناه لك فقال سبحان الله انما يفعل ذلك بالكاهن وان الكاهن
والمتمكهن في النار ثم قال ان الله بعثني بالحق وأنزل على كتاباً
لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه فقالوا أسمعنا منه
فتلا عليه السلام (والصفات صفاء فالزاجرات زجراً فالتاليات
ذكر أن الهكم لواحد رب السموات والارض وما بينهما
ورب المشارق) ثم سكنت وسكن ودموعه تجري على لحية
فقالوا انا نراك تبكي أفن مخافة من أرسلك تبكي قال ان خشيتي
منه ابكتني بعثني على صراط مستقيم في مثل حد السيف ان
زغت عنه هلكت ثم تلا (ولئن شئنا لنذهبن بالذي أوحينا
إليك ثم لا تجد لك به علينا وكيلاً الا رحمة من ربك ان فضله
كان عليك كبيراً) ثم قال لهم عليه السلام ألم تسلموا قالوا بلى
قال ما بال هذا الحرير في اعتناقكم فعند ذلك شقوه وألقوه
(ومنها) وفدازدشنوءة ورئيسهم صرد بن عبد الله الأزدي
فأسلموا وأمره عليهم وأمره أن يجاهد بمن أسلم من كان يليه
من أهل الشرك (ومنها) وفدرسول ملوك حمير وهم الحرث

وفود
ازدشنوءة
وفود رسول
ملوك حمير

كتاب
ملوك حمير

ابن عبد كلال والنعمان ومعاfer ومحمدان وكانوا قد أسلموا وأرسلوا
رسولهم بذلك فكتب اليهم النبي صلى الله عليه وسلم (بسم الله
الرحمن الرحيم من محمد رسول الله الى الحارث بن عبد كلال
والى النعمان ومعاfer وهمدان اما بعد فانى احمد الله اليكم الذى
لا اله الا هو اما بمدفانه قد وقع بنا رسولكم مقفلاً من أرض
الروم فلقيناه بالمدينة فبلغ ما أرسلتم به وخبر ما قبلكم وأنبأنا
باسلامكم وقتلكم المشركين وأن الله قد هداكم بهداه ان
أصلحتهم وأطعتم الله ورسوله وأقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة واعطيتم
من الغنائم خمس الله وسهم النبي وصفيه وما كتب على المؤمنين
من الصدقة اما بعد فان محمداً النبي أرسل الى زرعة ذى يزن
اذا أناكم رسلى فأوصيكم بهم خيراً معاذ بن جبل وعبد الله بن
زيد ومالك بن عباد وعقبة بن نمر ومالك بن مرارة واصحابهم
وان اجمعوا ما عندكم من الصدقة والجزية من مخالفكم وأبلغوها
رسلى وان أميرهم معاذ بن جبل فلا ينقلبن الا راضيا اما بعد
فان محمداً يشهد ان لا اله الا الله وانه عبده ورسوله
ثم ان مالك بن كعب قد أسلم من اول حمير
وقتل المشركين بشر فابخير وأمرك بحمير خيراً ولا

تخونوا ولا تخاذلوا فان رسول الله هو مولى غنيكم وفقيركم
وان الصدقة لا تحل لمحمد ولا لاهل بيته انما هي زكاة
يزكى بها على فقراء المسلمين وابن السبيل وان مالكا قد بلغ
الخبر وحفظ الغيب وآمركم به خيراً والسلام عليكم ورحمة
وفود همدان الله وبركاته (ومنها) وفد همدان وفيهم مالك بن نمط وكان
شاعراً مجيداً فلقوا رسول الله مرجه من تبوك عليهم
مقطعات من الحبرات اليمنية والعمايم العدنية وقد أنشد مالك
لرسول الله عليه السلام

حلفت رب الراقصات الى منى

صوادر بالركبان من هضب قرد

بأن رسول الله فينا مصدق

رسول أتى من عند ذى العرش مهتد

فما حمت من ناقة فوق رحلها

أشد على أعدائه من محمد

وقد أثمره عليه السلام على من أسلم من قومه وقد قال

الرسول في حق همدان نعم الحى همدان ما أسرعها الى النص

وفود تحيب وأصبرها على الجهد وفيهم ابدال وفيهم أوتاد (ومنها) وفد

تجيب قبيلة من كندة وفد على رسول الله ثلاثة عشر رجلاً
منهم معهم صدقات أموالهم التي فرض الله عليهم فسر بهم
السلام وأكرم مشواهم وقالوا يا رسول الله اناسقنا اليك
حق الله في أموالنا فقال عليه السلام (ردوها فاقسموها على
فقرائكم) فقالوا يا رسول الله ما قدمنا عليك الا بما فضل
عن فقرائنا قال أبو بكر يا رسول الله ما قدم علينا وفد من
العرب مثل هذا فقال عليه السلام ان الهدى بيد الله فمن
اراد به خيراً شرح صدره الايمان وجعلوا يسألونه عن
القرآن فازداد عليه السلام رغبة فيهم ثم أرادوا الرجوع
الى أهليهم فقيل لهم ما يعجلكم قالوا نرجع الى من وراءنا
فنخبرهم برؤية رسول الله ولقائنا اياه وما ورد علينا ثم جاؤا
الى رسول الله فودعوه فأجازهم بأفضل ما كان يجيز به
الوفود ثم قال لهم هل بقي منكم أحد قالوا غلام خلفناه في
رحالنا وهو أحدثنا سنًا قال فأرسلوه الينا فأرسلوه فأقبل
الغلام وقال يا رسول الله اننا من الرهط الذين أتوك آنفاً قضيت
حاجتهم فاقض حاجتي قال وما حاجتك قال تسأل الله أن
يفر لي ويرحمي ويجمع غناي في قلبي فقال عليه السلام اللهم

اغفر له وارحمه واجعل غناه في قلبه ثم أمر له بمثل ما أمر وفود ثعلبة به لرجل من أصحابه (ومنها) وفد ثعلبة وفد على رسول الله أربعة منهم مقرين بالاسلام فسلموا عليه وقالوا يا رسول الله انارسل من خلفنا من قومنا ونحن مقرون بالاسلام وقد قيل لنا انك تقول لا اسلام لمن لا هجرة له فقال عليه السلام (حيثما كنتم واتقيتم الله فلا يضركم) ثم قال لهم كيف بلادكم فقالوا مخصبون فقال الحمد لله ثم أقاموا في ضيافته أياماً وحين أرادتهم الانصراف أجاز كل واحد منهم بخمس أواق من وفود بني سعد فضة (ومنها) وفد بني سعد بن هذيم من قضاة قال النعمان منهم ابن هذيم قدمت على رسول الله وإفداً في نفر من قومي وقد أوطأ رسول الله البلاد وأزاح العرب والناس صنفان اما داخل في الاسلام راغب فيه واما خائف السيف فنزلنا ناحية من المدينة ثم خرجنا نؤم المسجد حتى انتهينا الى بابه فوجدنا رسول الله يصلي على جنازة في المسجد فقمنا خلفه ناحية ولم ندخل مع الناس في صلاتهم وقتلنا حتى يصلي رسول الله ونبايعه ثم انصرف رسول الله فنظر إلينا فدعا بنا فقال ممن أنتم فقلنا من بني سعد ابن هذيم فقال أمسلمون أنتم قلنا نعم فقال هـ لا صليتم

على أخيكتم قلنا يا رسول الله ظننا ان ذلك لا يجوز حتى
 نبايعك فقال عليه السلام أيما أسلمتم فأنتم مسلمون قال
 فأسلمنا وبايعنا رسول الله بأيدينا ثم انصرفنا الى رحالنا وقد
 كننا خلفنا عليها أصغرنا فبعث عليه السلام في طلبنا فأتى بنا
 اليه فقدم صاحبنا فبايعه صلى الله عليه وسلم على الاسلام فقلنا
 يا رسول الله انه أصغرنا وانه خادمنا فقال سيد القوم خادمهم
 بارك الله عليه قال النعمان فكان خيرنا وأقرأنا للقرآن بدعاء النبي
 له ثم أجازهم وانصرفوا (ومنها) وفد بني فزازة وفد على رسول
 الله جماعة منهم مقرين بالاسلام وهم مستتون فسألهم عليه
 السلام عن بلادهم فقال رجل منهم يا رسول الله أسنت بلادنا
 وهلكت مواشينا وأجذب جنابنا وجاءت عيالنا فادع لنا ربك
 يغثنا واشفع لنا الى ربك ويشفع لنا ربك اليك فقال عليه
 السلام سبحان الله ويلك هذا أنا اشفع الى ربي فمن ذا الذي
 يشفع ربنا اليه لا اله الا هو العلي العظيم وسع كرسيه السموات
 والارض فهي ثلث (تصوت) من عظمته وجلاله كما يثبط الرجل
 الحديث من ثقل الحمل ثم صعد عليه السلام المنبر ودعا الله
 عز وجل حتى أغاث بلاد هذا الوفد بالمطر الغزير والرحمة

وفود بني
فزازة

وفود بنى أسد التامة (ومنها) وفد بني أسد وفيهم ضرار بن الازور وطلحة
 ابن عبد الله الذي ادعى النبوة بعد ذلك فأسلموا وقالوا يا رسول
 الله اتيناك تدرع الليل البهيم في سنة شهباء ولم تبعث إلينا
 فأنزل الله في ذلك (يمنون عليك أن أسلموا قل لا تمنوا على
 أسلامكم بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان إن كنتم صادقين)
 وسألو رسول الله عما كانوا يفعلونه في الجاهلية من العيافة
 (وهى زجر الطير) والتخرس على الغيب والكهانة وهى الاخبار
 عن الكائنات فى المستقبل وضرب الحصباء فهاهم عن ذلك
 كله ثم سألوه عن ضرب الرمل فقال علمه نبى فمن صادف
 مثل علمه فذاك والا فلا ثم أقاموا أياماً يتعلمون الفرائض
 وبعد ذلك ودعوا وانصرفوا بعد أن أجزوا (ومنها) وفد
 بنى عذرة ووفد بنى بلى ووفد بنى مرة ووفد خولان وهى
 قبيلة باليمن وقد أمرهم عليه السلام بالوفاء بالعهد وأداء الأمانة
 وحسن الجوار لمن جار وان لا يظلموا أحداً فان الظلم ظلمات
 يوم القيامة (ومنها) وفد بنى محارب وكانوا من الذين ردوا الرد
 انقيح حينما كان رسول الله بعاظ يدعو القبائل الى الله فما
 أعظم منة الله الذى أتى هؤلاء وكانوا ألد الأعداء مسلمين

وفود بنى
عذرة

وفود بنى
محارب

مقادين (ومنها) وفد غسان ووفد سلمان ووفد بني عبس ووفد النخع وكان عليه السلام يقابل هذه الوفود بمأجبله الله عليه من البشاشة وكرم الاخلاق ويحيزهم بما يرضيهم ويعلمهم الايمان والشرائع ليعلموا من وراءهم وكانت هذه الوفود أعظم وصلة لاظهار الدين بين الاعراب في البوادي (وفي) هذه وفاة ابراهيم السنة توفي ابراهيم بن رسول الله صلى الله عليه وسلم

لاربع بقين من صفر جهز عليه السلام جيشاً برياسة أسامة السنة الحادية ابن زيد الى أبي (محل قريب من مؤتة) حيث قتل زيد بن حارثة والد أسامة وقال له (سر الى موضع قتل أليك فأوطنيهم الخيل فقد وليتك هذا الجيش فأغري صباعاً على أهل أبي وحرق عايهم وأسرع السير لتسبق الاخبار فان ظفرك الله عليهم فأقل اللبث فيهم وخذ الأذلاء وقدم العميون والطلائع معك) وكان مع أسامة في هذا الجيش كبار المهاجرين والانصار منهم أبو بكر وعمر وأبو عبيدة وسعد ثم عقد عليه السلام لاسامة اللواء وقال له (أغري باسم الله وقاتل في سبيل الله من كفر بالله) وقد انتقد جماعة على تأمير أسامة وهو شاب لم يتجاوز السابعة عشرة من عمره على جيش فيه كبار المهاجرين

عشرة
سرية

فأبلغ الرسول هذه المقالة فغضب غضباً شديداً وخرج فقال
(أما بعد أيها الناس فما مقالة بلغتني عن بعضكم في تأميري
أسامة ولئن طعنتم في تأميري أسامة لقد طعنتم في تأميري
أباه من قبله وإيم الله ان كان خليقا بالامارة وان ابنه من بعده
خليق بها وان كان لمن أحب الناس الى وانهما لمظنة لكل خير
فاستوصوا به خيراً فإنه من خياركم) ولم يتم لهذا الجيش الخروج
في عهد المصطفى لان المرض بدأه فاختره الله للرفيق الاعلى
وسيرى القارى ان شاء الله خروج هذا الجيش متمماً في كتابنا
(اتمام الوفاء بسيرة الخلفاء)

مرض الرسول لما تتمم عليه الصلاة والسلام ما كلف به وأدى ما أوتمن
عليه وهدى الله به أمته اختاره الله للرفيق الاعلى جالس على
المنبر صرة وكان فيما قال (ان عبداً خيرته الله بين أن يؤتيه زهرة
الدنيا وبين ما عنده فاختر ما عنده) فيكي أبو بكر وقال يا رسول
الله فدينك بآبائنا وأمهاتنا فقال عليه السلام (ان من أمن
الناس على في صحبته وماله أبو بكر فلو كنت متخذاً خليلاً
لا اتخذت أباً بكر ولكن اخوة الاسلام لا يبقى في المسجد خوذة
الا سدت الا خوذة أبا بكر) وقد بدأه عليه السلام مرضه

في أوائل صفر من السنة الحادية عشرة من الهجرة في بيت
ميمونة واستمر مريضاً ثلاثة عشر يوماً كان في خلالها
ينقل الى بيوت أزواجه ولما اشتد عليه المرض استأذن منهن
أن يمرض في بيت عائشة الصديقة فأذن له ولما دخل بيتها
واشتد عليه وجمعه قال هريقوا على من سبع قرب لم تحلل
أو كيهن لعل أعهد الى الناس فأجلس في مخضب وصب عليه
الماء حتى أشار بيده أن قد فعلت وكان هذا الماء لتخفيف حرارة
الحمى التي كانت تصيب من يضع يده فوق ثوبه ولما تعذر
عليه الخروج الى الصلاة قال مروا أبا بكر فليصل بالناس
فرضيه عليه السلام خليفة له في حياته ولما رأث الانصار اشتداد
وجع الرسول أطافوا بالمسجد فدخل العباس وأعلمه بمكانهم
واشفاقهم فخرج عليه السلام متوكئاً على علي والفضل وتقدم
العباس امامهم والنبي معصوب الرأس يخط برجليه حتى جلس
في أسفل مرقاة المنبر وثار الناس اليه فحمد الله وأثنى عليه ثم
قال (أيها الناس بلغني أنكم تخافون من موت نبيكم هل خلد
نبي قبلي فيمن بعث الله فاخلد فيكم الا اني لاحق بربي وانكم
لاحقون بي فأوصيكم بالمهاجرين الاولين خيراً وأوصي

صلاة أبي بكر
بالناس

المهاجرين فيما بينهم فان الله تعالى يقول (والعصر ان الانسان
لنى خسر الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق
وتواصوا بالصبر) وان الامور تجري باذن الله ولا يحملكم
استبطاء أمر على استعجاله فان الله عز وجل لا يعجل بعجلة
أحد ومن غالب الله غلبه ومن خادع الله خدعه (فهل عسيتم
ان توليتم ان تفسدوا فى الارض وتقطعوا أرحامكم)
وأوصيكم بالانصار خيراً فانهم الذين تبوءوا الدار والايمان
من قبلكم ان تحسنوا اليهم ألم يشاطروكم فى الثمار ألم يوسعوا
لكم فى الديار ألم يؤثروكم على أنفسهم وبهم الخصاصة الا فمن
ولى ان يحكم بين رجلين فليقبل من محسنهم وليتجاوز عن
مسيئتهم ألا ولا تستأثروا عليهم ألا وانى فرط لكم وأتم
لاحقون بى ألا فان موعدكم الحوض ألا فمن احب ان يردّه
على غدا فليكفف يده ولسانه الا فيما ينبغى) وبينما المسلمون
فى صلاة الفجر من يوم الاثنين ثانى عشر ربيع الاول وأبو
بكر يصلى لهم اذا برسول الله صلى الله عليه وسلم قد كشف
سجف حجرة عائشة فنظر اليهم وهم فى صفوف الصلاة ثم
ابتسم يضحك فنكص أبو بكر رضى الله عنه على عقبه ليصل

الصف وظن أن رسول الله يريد أن يخرج إلى الصلاة وهم المسلمون أن يفتتوا في صلاتهم فرحاً برسول الله فأشار إليهم بيده أن أتموا صلاتكم ثم دخل الحجرة وأرخى الستر ولم تأت ضحوة هذا اليوم حتى فارق رسول الله صلى الله عليه وآله وفاته رسول الله وسلم ذياه ولحق بمولاه وكان أبو بكر غائباً بالسنح وهي منازل بني الحارث بن الخزرج عند زوجه حبيبة بنت خازجة بن زيد فسل عمر سيفه وتوعد من يقول مات رسول الله وقال إنما أرسل إليه كما أرسل إلى موسى فلبث عن قومة أربعين ليلة والله أنى لأرجو أن يقطع أيدي رجال وأرجلهم فلما أقبل أبو بكر وأخبر الخبر دخل بيت عائشة وكشف عن وجه رسول الله فجاء يقبله ويبكى ويقول نوفي والذي نفسي بيده صلوات الله عليك يا رسول الله ما أطيبك حياً وميتاً بأبى أنت وأمى لا يجمع الله عليك موتين ثم خرج فحمد الله وأثنى عليه ثم قال (الا من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت) وتلا قوله تعالى (إنك ميت وإنهم ميتون) وقوله (وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفأنت مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه

فلان يضر الله شيئاً وسيجزي الله الشاكرين) قال عمر فكان في
لم أثل هذه الآية قط ثم مكث عليه الصلاة والسلام في بيته
بقية يوم الاثنين وليلة الثلاثاء ويومه وليلة الاربعاء حتى انتهى
المسلمون من اقامة خليفة عليهم فغسل ودفن وكان الذي
يغسله على بن ابي طالب ويساعده العباس وابناه الفضل وقيم
وأسماء بن زيد وشقران مولى رسول الله وكفن في ثلاثة
أثواب ليس فيها قميص ولا عمامة ولما فرغوا من تجهيزه وضع على
سريره في بيته ودخل الناس عليه ارسالاً متتابعين يصلون عليه ولم
يؤمهم احد ثم حفر له لحد في حجرة عائشة حيث توفي وأنزله
القبر على والعباس وولده الفضل وقيم ورش قبره بلال بالماء
ورفع قبره عن الارض قدر شهر توفي رسول الله صلى الله
عليه وسلم وترك للمسلمين ما ان اتبعوه لم يضرهم شيء كتاب الله
الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من
حكيم حميد وترك أصحابه البررة الكرام يوضحون الدين ويتمون
فتح البلاد ويظهرون في الدنيا شمس الدين الاسلامي
القويم حتى يتم الله كلمته ويحقق وعده وقد فعل فنسأل الله
أن يقدرنا على أداء شكره على هذه المنة العظمى والنعمة الكبرى

شماله
عليه السلام

منح الله سبحانه نبينا صلى الله عليه وسلم من كمالات الدنيا والاخرة ما لم يمنحه غيره ممن قبله أو بعده ولا بد ان نأتى لك فى (١) هذا الباب بنبذة يسيرة من محاسن صفاته وأحسن آدابه لتكون لك نموذجاً تسير عليه حتى تكون على قدم نبيك عليه الصلاة والسلام فتستحق الحمد فى الدنيا والذخر فى الاخرى فاعلم أرشدنى الله وإياك وهدانا للصراط السوى أن خصال الجلال والكمال فى البشر نوعان ضرورى ودينوى اقتضته الجبلة وضرورة الحياة ومكتسب دينى وهو ما يحمد فاعله ويقرب الى الله زلفى فأما الضرورى فما ليس للمرء فيه اختيار ولا اكتساب مثل ما كان فى جبلته عليه السلام من كمال الخلقة وجمال الصورة وقوة العقل وصحة الفهم وفصاحة اللسان وقوة الحواس والاعضاء راعتدال الحركات وشرف النسب وعزة القوم وكرم الارض ويلحق به ما تدعوه ضرورة الحياة اليه من الغذاء والنوم والملبس والمسكن والمال والجاه (وأما) المكتسبة الاخرية فسائر الاخلاق العلية والآداب من الدين والعلم والحلم والصبر والشكر والعدل

(١) جل ما ذكر فى هذا الباب مختصر من كتاب الشفاء

والزهد والتواضع والعمو والعفة والجود والشجاعة والحياء
 والمروءة والصمت والتؤدة والوقار والرحمة وحسن الادب
 والمعاشرة وأخواتها وهى التى يجمعها حسن الخلق فاذا نظرت
 رعاك الله الى خصال الكمال التى هى غير مكتسبة وفى جيلة
 الخلقة وجدته عليه السلام حائز الجميعها محيطاً بشتات محاسنها
 (فأما) الصورة وجمالها وتناسب أعضائه فى حسنهما فقد جاءت
 الآثار الصحيحة والمشهورة الكثيرة بذلك من انه صلى الله
 عليه وسلم كان أزهر اللون (١) أدعج (٢) أنجل
 (٣) أشكل (٤) أهدب الاشفار (٥) أبلج (٦) أزج (٧)
 أفتى (٨) أفاج (٩) مدور الوجه واسع الجبين كث اللحية تملأ
 صدره سواء البطن عظيم الصدر عظيم المنكبين (١٠) ضخم
 العظام عبل (١١) العضدين والذراعين والاسافل رحب

(١) نير اللون أو حسنه (٢) شديد سواد الحدقة مع سعة
 فيها (٣) واسع العين مع حسن (٤) فى يابض عينه حمرة (٥)
 كثير شعر حروف الاجفان (٦) مضى الوجه مسرقه (٧) دقيق
 الحاجبين فى طول (٨) مرتفع قصبة الانف مع احديداب يسير
 فيها (٩) مفرج بين الثنايا والرباعيات (١٠) المنكك بجمع رأس
 العضد والكتف (١١) ضخم

الكفين والقدمين سائل الاطراف أنور المتجرد دقيق
 المسربة (١) ربة القد ليس بالطويل البائن (٢) ولا
 القصير المتردد (٣) ومع ذلك فلم يكن يماشيه أحد ينسب
 الى الطول الا طاله صلى الله عليه وسلم رَجُل الشعر اذا
 افتر ضاحكاً افتر عن مثل سنا البرق وعن مثل حب الغمام
 اذا تكلم رى كالنور يخرج من بين ثناياه أحسن الناس عنقاً
 ليس بمطهم (٤) ولا مكثم (٥) متماسك البدن ضرب
 اللحم قال البراء بن عازب ما رأيت من ذى لمة حمراء فى حلة
 أحسن من رسول الله وقال أبو هريرة ما رأيت شيئاً أحسن
 من رسول الله كأن الشمس تجرى فى وجهه واذا ضحك يتلألأ
 فى الجدر وفى حديث ابن أبى هالة يتلألأ وجهه تَلألؤ القمر ليلة
 البدر وقال على فى آخر وصفه له من رآه بديهة هابه ومن خالطه
 معرفة أحبه يقول ناعته لم أر قبله ولا بعده مثله صلى الله عليه وسلم
 (وأما) نظافة جسمه وطيب ريحه وعرفه ونزاهته عن الاقدار

(١) المسربة شعر دقيق من الصدر الى البطن (٢) مفرط

الطول (٣) المتناهى فى القصير (٤) المطهم البائن الكثير اللحم

(٥) المكثم الصغير الذقن

وعورات الجسد فكان قد خصه الله تعالى في ذلك بخصائص
لم توجد في غيره ثم تممها بنظافة الشرع قال عليه السلام بنى
الدين على النظافة وقال أنس ما شممت عنبراً قط ولا مسكاً
ولا شيئاً أطيب من ريح رسول الله وعن جابر أنه عليه السلام
مسح خده قال فوجدت ليده برداً وريحاً كأنما أخرجها من
جؤنة عطار قال غيره مسحها بطيب أو لم يمسحها يصفح المصافح
فيظل يومه يجد ريحها ويضع يده على رأس الصبي فيعرف
من بين الصبيان بريحتها وروى البخاري في تاريخه الكبير عن
جابر لم يكن النبي يمر في طريق فيتبعه أحد إلا عرف أنه سلكه
من طيبه (وأما) وفور عقله صلى الله عليه وسلم وذكاء له وقوة
حواسه وفصاحة لسانه واعتدال حركاته وحسن شمائله فلا مرية
أنه كان أعقل الناس وأذكاهم ومن تأمل تديره أمر بواطن
الخلق وظواهرهم وسياسته للعامة مع عجيب شمائله وبديع
سيره فضلاً عما أفاده من العلم وقرره من الشرع دون تعلم
سابق ولا ممارسة تقدمت ولا مطالعة للكتب لم يتر في رجحان
عقله وثقوب فهمه لا أول بديهية وكان عليه السلام إذا قام في
الصلاة يرى من خلفه كما يرى من أمامه وبذلك فسر قوله تعالى

(ونقلبك في الساجدين) وقالت عائشة كان عليه السلام يرى في الظلمة كما يرى في الضوء وكان يعد في الثريا أحد عشر نجماً وجاءت الاخبار انه صرع ركاة أشد أهل وقته وكان دعاه الى الاسلام وقال أبو هريرة ما رأيت أحداً أسرع من رسول الله في مشيه كأنما الارض تطوى له انا لنجهد أنفسنا وهو غير مكترث وفي صفته عليه السلام ان ضحكك كان تبسماً اذا التفت التفت معا واذا مشى مشى تقلماً كأنما ينخط من صلب (واما) فصاحة اللسان وبلاغة القول فقد كان عليه السلام من ذلك بالحل الافضل والموضع الذي لا يجهل سلاسة طبع وبراعة منزع وإيجاز مقطع وفصاحة لفظ وجزالة قول وصحة معان وقلة تكلف أوتي جوامع الحكم وخص ببدائع الحكم وعلم السنة العرب فكان يخاطب كل أمة منها بلسانها ويحاورها بلغتها وباريها في منزع بلاغتها حتى كان كثير من اصحابه يسألونه في غير موطن عن شرح كلامه وتفسير قوله من تأمل حديثه وسيره علم ذلك وتحققه وليس كلامه مع قریش ككلامه مع أقبال حضرموت وملوك اليمن وعظماء نجد بل يستعمل لكل قبيلة ما استحسنته من الالفاظ وما انتهجت من طرق

البلاغة ليين للناس ما نزل اليهم وليحدث الناس بما يعلمون
 (وأما) كلامه المعتاد وفصاحته المعلومه وجوامع كله فقد ألف
 الناس فيها الدواوين وجمعت في ألفاظها ومعانيها الكتب ومنها
 ما لا يوازي فصاحة وبلاغة كقوله المسلمون تتكافأ دماهم ويسمى
 بدمتهم أذانهم وهم يد على من سواهم وقوله الناس كأسنان
 المشط والمرء مع من أحب ولا خير في صحبة من لا يرى لك ما
 ترى له والناس معادن وما هلك امرؤ عرف قدره والمستشار
 مؤتمن ورحم الله عبداً قال خيراً فغرم أو سكت فسلم وقوله
 أسلم تسلم وأسلم يؤتك الله أجرك مرتين وان أحبكم الى
 وأقربكم مني مجالس يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً الموطئون
 أكنافاً الذين يألفون ويؤلفون وقوله لعله كان يتكلم بما لا
 يعنيه أو ييغل بما لا يعنيه وقوله ذو الوجهين لا يكون وجهياً
 عند الله ونهيه عن قيل وقال وكثرة السؤال وإضاعة المال
 ومنع وهات وعقوق الامهات وواد البنات وقوله اتق الله
 حيثما كنتم وأنبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن
 وخير الامور أوساطها وقوله أحب حبيبك هونا ما عسى أن
 يكون بغيضك يوماً ما وقوله الظلم ظلمات يوم القيامة وقوله

في بعض دعائه اللهم اني أسألك رحمة تهدي بها قلبي وتجمع
 بها أمري وتلم بها شعبي وتصلح بها رغائبي وتزكي بها عملي وتلهمني
 بها رشدی وترد بها ألفتی وتعصمني بها من كل سوء اللهم اني
 أسألك الفوز في القضاء ونزل الشهداء وعيش السعداء والنصر
 على الاعداء الى غير ذلك مما روته الكفاة عن الكفاة من
 مقاماته ومحاضراته وخطبه وأدعيته ومخاطباته وعهوده مما لا
 خلاف انه نزل من ذلك مرتبة لا يقاس بها غيره وحاز سبقا
 لا بقدر قدره وقد فال له أصحابه ما رأينا الذي هو أفصح منك
 فقال وما ينعني وانما نزل القرآن بلساني لسان عربي مبين
 وقال مرة أخرى بيدني من قريش ونسأت في بني سعد
 جمع بذلك قوة عارضة البادية وجزالتها ونصاعة الفاظ الحاضرة
 ورونق كلامها الى التأييد الالهي الذي مدده الوحي الذي
 لا يحيط بعلمه بشر (وأما) سر ونسبه وكرم بلده ومنشئه فما لا
 يحتاج الى اقامة دليل عليه ولا بيان مشكل ولا خفي منه فانه نخبه
 بنى هاشم ونخبه قريش وصميمها وأشرف العرب وأعزهم نفرا
 من قبل أبيه وأمه ومن أهل مكة أكرم بلاد الله على الله
 وعلى عباده وقد قدمنا لك في أول الكتاب ما فيه الكفاية في

هذا المقام (وأما) ما تدعو اليه ضرورة الحياة فمنه ما الفضل في
قلته ومنه ما الفضل في كثرتة ومنه ما تختلف الاحوال فيه فالاول
كالغذاء والنوم ولم تزل العرب والحكماء قديماً تتماح بقلتهما
وتذم بكثرتهما لان كثرة الاكل والشرب دليل على النهم
والحرص والشراه وغلبة الشهوة مسبب لمضار الدنيا والآخرة
جالب لادواء الجسد وخسارة النفس وامتلاء الدماغ وقلته دليل
على القناعة وملك النفس وقمع الشهوة مسبب للصحة وصفاء
الحاظ ووحدة الذهن كما ان النوم دليل على الفسولة والضعف
وعدم الذكاء والفطنة مسبب الكسل وعادة العجز وتضييع
العمر في غير نفع وقساوة القلب وغفلته وموته وكان عليه
السلام قد أخذ من الاكل والنوم بالاقل وحض عليه قال
عليه السلام (ماملاً ابن آدم وعاء شراً من بطنه حسب ابن
آدم لقيمات يقمن صلبه فان كان لا محالة فثلاث لطعامه وثلاث
لشرابه وثلاث لنفسه) ولان كثرة النوم من كثرة الاكل
والشرب وقالت عائشة رضى الله عنها لم يمتلئ جوف النبي
شبعاً قط وانه كان في أهله لا يسألهم طعاماً ولا يتشبهاء
ان اطعموه أكل وما اطعموه قبل وما سقوه شرب وفي صحيح

الحديث (أما أنا فلا آكل متكئاً) والاتكاء هو التمكن للآكل
والانقعُد في الجلوس له كالتربع وشبهه من تمكن الجلسات التي
بعمد فيها الجالس على ماتحته والجالس على هذه الهيئة يستدعى
الآكل ويستكثر منه والنبي عليه السلام إنما كان جلوسه
للآكل جلوس المستوفز مقعياً ويقول إنما أنا عبد آكل كما
يأكل العبد وكذلك نومه كان قليلاً ومع ذلك فقد قال ابن
عيني تمامان ولا ينام فلي (وأما) ما الفضل في كثرة فكا لجاه وهو
محمود عند العقلاء عادة وبقدر جاهه عظمه في القلوب وقد
قال تعالى في صفة عيسى عليه السلام (وجيهاً في الدنيا والآخرة)
وكان النبي عليه السلام قد رزق الحشمة والمكانة في القلوب
والعظمة قبل النبوة عند الجاهلية وبعدها وهم يكذبونه ويؤذون
أصحابه ويقصدون أذاه في أنفسهم خفية حتى إذا واجههم اعظموا
أمره وقضوا حاجته كما ذكرنا لك ذلك مراراً وقد كان يبهت
ويفرق لرؤيته من لم يره كما روى عن قيلة أنها لما رآته أرعدت
من الفرق فقال (يا مسكينة عليك السكينة) وفي حديث أبي مسعود
أن رجلاً قام بين يديه فأرعد فقال له عليه السلام (هون عليك فاني
لست بمملك) (وأما) عظيم قدره بالنبوة وشريف منزلته بالرسالة

وانافه رتبته بالاصطفاء والكرامة في الدنيا فأمر هو مبلغ النهاية
ثم هو في الآخرة سيد ولد آدم (وأما) ما تختلف فيه الحالات
في التمدح به والتفاخر بسببه والتفضيل لاجله ككثرة المال
فصاحبه على الجملة معظم عند العامة لا اعتقادها توصله به الى
حاجاته وتمكنه من اغراضه والا فليس فضيلة في نفسه فتى
كان المال بهذه الصورة وصاحبه منفقاً له في مهماته ومهمات
من قصده وأمله مصرفه في مواضعه مشترياً به المعالي والثناء
الحسن والمنزلة في القلوب كان فضيلة في صاحبه عند أهل الدنيا
واذا صرفه في وجوه البر وانفقه في سبيل الخير وقصد بذلك
الله تعالى والدار الآخرة كان فضيلة عند الكل بكل حال ومتى
كان صاحبه ممسكاً له غير موجهه وجوهه حريصاً على جمعه عاد
كثره كالمدم وكان منقصة في صاحبه ولم يقف به على جدد
السلامة بل أوقعه في وهدة رذيلة البخل ومذمة النذالة فالتمدح
بالمال ليس لذاته بل للتوصل به الى غيره وتصريفه في متصرفاته
ونينا صلى الله عليه وسلم أوتي خزائن الارض ومفاتيح البلاد
وأحلت له الغنائم وفتح عليه في حياته بلاد الحجاز واليمن
وجميع جزيرة العرب وماداني ذلك من الشام والعراق وجلب

اليه كثير من اخماسها وجزيتها وصدقاتها وهاداه جماعة من
من ملوك الاقاليم فما استأثر بشئ منه ولا أمسك منه درهما
بل صرفه مصارفه وأغنى به غيره وقوى به المسلمين وقال (ما
يسرنى ان لى أحداً ذهباً يبيت عندى منه دينار الا ديناراً
أرصده لدينى) وأتته دنائير مرة فقسمها وبقيت منها بقية فدفعها
لبعض نسائه فلم يأخذنه نوم حتى قام وقسمها وقال الآن
استرحت ومات ودرعه مرهونة فى نفقة عياله واقتصر فى
نفقته وملبسه ومسكنه على ما تدعو ضرورته اليه وزهد فيما
سواه فكان يلبس ما وجدته فيلبس فى الغالب الشملة والكساء
الحشن والبرد الغليظ ويقسم على من حضره أقيسة الديباج
الخاصة بالذهب ويرفع لمن لم يحضر فأتت ترى أن رسول
الله صلى الله عليه وسلم حاز فضيلة المال بالزهد فيه وانفاقه على
مستحققيه (وأما) الحصول المكتسبة من الاخلاق الحميدة والآداب
الشريفة وهى المسماة بحسن الخلق فجميعها قد كانت خلق نينا
صلى الله عليه وسلم على الانتهاء فى كمالها والاعتدال فى غايتها
حتى أثنى الله تعالى عليه بذلك فقال (وانك لعلى خلق عظيم) قالت
عائشة كان خلقه القرآن يرضى برضاه ويسخط بسخطه وقال

عليه السلام) بعثت لأتمم مكارم الاخلاق) وقال أنس كان عليه السلام أحسن الناس خلقا وكانت له هذه الآداب الكريمة كما كانت لآخوانه من الانبياء جيلة خلقوا عليها ثم يتمكن الامر لهم وترادف نفحات الله عليهم وتشرق انوار المعارف في قلوبهم حتى يصلوا الغاية ويبلغوا باصطفاء الله لهم بالنبوة في تحصيل هذه الحاصل الشريفة دون نهاية ولا ممارسة وهذه الاخلاق المحمودة والحاصل الجميلة كثيرة ولكننا نذكر أصولها ونشير الى جميعها ونحقق وصفه عليه السلام بها ان شاء الله (فأصل) فروعها وغنصر ينابيعها ونقطة دائرتها العقل الذي منه ينبعث العلم والمعرفة ويتفرع عن هذا ثقب الرأي وجودة الفطنة والاصابة وصدق الظن والنظر للعواقب ومصالح النفس ومجاهدة الشهوة وحسن السياسة والتدبير واقتناء الفضائل وتجنب الرذائل وقد بلغ عليه السلام منه ومن العلم الغاية التي لم يبلغها بشر سواه يعلم ذلك من تتبع مجارى أحواله واطراد سيره وطالع جوامع كلمه وحسن شمائله وبدائع سيره وحكم حديثه وعلمه بما في التوراة والانجيل والكتب المنزلة وحكم الحكماء وسير الامم الحالية وأيامها

وضرب الامثال وسياسات الانام ونقير الشرائع وتأصيل
 الآداب النفيسة والشيم الحميدة الى فنون العلوم التي اتخذ
 أهلها كلامه فيها قدوة وإشارات حجة كالطب والحساب
 والفرائض والنسب وغير ذلك دون تعليم ولا
 مدارس ولا مطاعة كتب من تقدم ولا الجلوس
 الى علمائهم بل نبي أمي لا يعرف شيئاً من ذلك
 حتى شرح الله صدره وأبان أمره وعلمه وبحسب
 عقله كانت معارفه عليه السلام الى سائر ما علمه الله
 وأطاعه عليه من علم ما يكون وما كان وعجائب
 قدرته وعظيم ملكوته قال تعالى (وعلمك ما لم تكن تعلم وكان
 فضل الله عليك عظيماً) (وأمّا) الحلم والاحتمال والعفو
 والقدرة والصبر على ما يكره فما أدب الله به نبيه فقال (خذ
 العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين) وقد سأل عليه
 السلام جبريل عن تأويلها فقال يا محمد ان الله يأمرك ان تصل
 من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك وقال له
 (واصبر على ما أصابك ان ذلك من عزم الامور) وقال
 (وليغفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور

(رحيم) وقال (ولمن صبرو غفران ذلك لمن عزم الامور)
وقد تضافرت الاخبار على اتصافه عليه السلام بنهاية هذه
الافصاف فما من حليم الا عرفت منه زلة وحفظت عنه
هفوة ونبينا لا يزيد مع كثرة الايذاء الا صبرا وعلى اسراف
الجاهل الا حلما قالت عائشة رضى الله عنها ما خير عليه السلام
في أمرين قط الا اختار أيسرهما ما لم يكن أثما فان كان أثما
كان أبعد الناس منه وما انتقم لنفسه الا ان تنتهك حرمة الله
فينتقم لله ولما فعل به المشركون ما فعلوا في أحد وطلب منه
أن يدعو عليهم قال اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون وحسبك
في هذا الباب ما فعله مع مشركي قريش الذين آذوه واستهزؤا
به وأخرجوه من دياره هو وأصحابه ثم قاتلوه وحرصوا عليه
غيرهم من مشركي العرب حتى تملا عليه جمعهم ثم لما
فتح الله عليه مكة ما زاد على ان غنا وصفح وقال ما تقولون
انى فاعل بكم قالوا خير أخ كريم وابن أخ كريم فقال
(اذهبوا فأنتم الطلقاء) وعن أنس كنت مع النبي عليه السلام
وعليه برد غليظ الحاشية فجذب به اعرابي بردائه جبذة شديدة
حتى أثرت حاشية البرد في صفحة عنقه ثم قال يا محمد احمل

لى على بعيرى هذين من مال الله الذى عندك فانك لا تحمل
لى من مالك ولا من مال أهلك فسكت النبي ثم قال المال
مال الله وأنا عبده ثم قال ويقادمنك يا اعرابى ما فعلت بى
قال لا قال لم قال لانك لا تكافى بالسيدة السيدة فضحك عليه
السلام ثم أمر ان يحمل له على بعير شعير وعلى الآخر تمر
قالت عائشة ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم منتصراً
من مظلمة ظلمها قط ما لم تكن حرمة من محارم الله تعالى
وما ضرب بيده شيئاً قط الا ان يجاهد في سبيل الله وما
ضرب خادماً ولا امرأة فصلى الله تعالى عليه وأقر عينه
باتباع المسلمين سننه (وأما) الجود والكرم والسخاء والسماحة
فكان عليه السلام لا يوازى فى هذه الاخلاق الكريمة ولا يبارى
وصفه بهذا كل من عرفه قال جابر رضى الله عنه ما سئل
عنه السلام عن شئ فقال لا وقال ابن عباس كان عليه السلام
أجود الناس بالخير وأجود ما كان فى شهر رمضان وكان اذا
لقيه جبريل أجود بالخير من الريح المرسلة وقال ورقة فى
صفته عليه السلام مخاطباً له انك تحمل الكل وتكسب المعدوم
وحسبك شاهداً فى هذا الباب ما فعله مع هوازن من رد

السبي إليها وما فعله يوم تقسيم السبي من اعطاء المؤلفة قلوبهم
عظيم الأ عطية وقد استوفينا ذلك في موضعه وحمل اليه عليه
السلام تسعون ألفاً فوضعها على حصير وأخذ يقسمها فما
قام حتى فرغ منها وجاءه رجل فسأله فقال ما عندى شئ
ولكن اتبع على فاذا جاءنا شئ قضينا فقل له عمر ما
كلفك الله ما لا تقدر عليه فكره ذلك عليه السلام فقال
له رجل من الانصار يا رسول الله اتفق ولا تخف من ذى
العرش اقلالا فتبسم عليه السلام وعرف البشر في وجهه
وقال بهذا أمرت والاخبار بجوده وكرمه عليه السلام كثيرة
يكفى منها لتعليمك ما ذكرناه (وأما) الشجاعة والنجدة فكان
عليه السلام منهما بالمكان الذى لا يجهل قد حضر المواقف
الصعبة وفر الحكمة والابطال عنه غير مرة وهو ثابت لا
يبرح ومقبل لا يدبر ولا يتزحزح وما من شجاع الا
أحصيت له فرة وحفظت عنه جولة سواه وحسبك ما فعله
فى حنين وأحد مما ذكرناه مستوفى قال ابن عمر ما رأيت
أشجع ولا أنجد ولا أجود ولا أراضى من رسول الله وقال
على انا كننا اذا اشتد البأس واحمرت الخدق اتقينا برسول الله

فما يكون أحد أقرب الى العدو منه ولقد رأيتني يوم بدر
ونحن نلوذ بالنبي وهو اقربنا الى العدو وكان من اشد الناس
يومئذ بأساً وقال انس كان عليه السلام أشجع الناس وأحسن
اناس وأجود الناس لقد فزع اهل المدينة ليلة فانطلق ناس
قبل الصوت فتلقاهم عليه السلام راجعاً قد سبقهم الى الصوت
واستبرأ الخبر على فرس لابي طلحة عري والسيف في عنقه
وهو يقول لن تراعوا (وأما) الحياء والاغضاء فكان عليه السلام
أشد الناس حياء وأكثرهم عن العورات اغضاء قال أبو
سعيد الخدرى كان عليه السلام أشد حياء من العذراء فى
خدرها وكان اذا كره شيئاً عرفناه فى وجهه وكان عليه السلام
لطيف البشرة رقيق الظاهر لا يشافه أحداً بما يكرهه حياء
وكرم نفس قالت عائشة كان عليه السلام اذا بلغه عن أحد
ما يكرهه لم يقل ما بال فلان يقول كذا وكذا بل يقول ما بال
أقوام يصنعون أو يقولون كذا ينهى عنه ولا يسمي فاعله وقالت
رضي الله عنها لم يكن عليه السلام فاحشاً ولا متفحشاً ولا سخاباً
بالاسواق ولا يجزى بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح
(وأما) حسن عشرته وادبه وبسط خلقه مع أصناف الخلق فما

انتشرت به الاخبار الصحيحة قال على رضى الله عنه كان عليه السلام اوسع الناس صدراً وأصدق الناس لهجة والينهم عريكة واكرمهم عشرة وكان عليه السلام يؤلفهم ولا ينفّرهم ويكرم كريم كل قوم ويؤليه عليهم ويحذر الناس ويحترس منهم من غير أن يطوى عن احد منهم بشره ولا خلقه ويتفقد أصحابه ويعطى كل جلسائه نصيبه لا يحسب جلسيه أن احدا اكرم عليه منه من جالسه أو قاربه لحاجة صابره حتى يكون هو المنصرف عنه ومن سأله حاجة لم يرده الا بها او بميسور من القول قد وسع الناس بسطه وخلقه فصار لهم أبا وصاروا عنده فى الحق سواء بهذا وصفه ابن أبى هالة وكان دائم البشر سهل الخلق لين الجانب ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب ولا فحاش ولا عياب ولا مداح يتعافل عمالا يشتهى ولا يؤيس منه قال تعالى (فما رحمة من الله انت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الامر) وقال تعالى (ادفع بالتي هى احسن فاذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم) وكان عليه السلام يجيب من دعاه ويقبل الهدية ولو كانت كراعاً ويكافئ عليها وكان يمازح

أصحابه ويخالطهم ويحادثهم ويلعب صبيانهم ويجلسهم في حجره ويجب دعوة الحر والعبد والامة والمساكين ويعود المرضى أقصى المدينة ويقبل عذر المعتذرو قال أنس ما التقم أحد أذن النبي يحادثه فنجى رأسه حتى يكون الرجل هو الذي ينجي رأسه وما أخذ أحد بيده فيرسل يده حتى يرسلها الآخر وكان يبدأ من لقيه بالسلام ويبدأ أصحابه بالمصافحة ولم يرقط ماداً رجليه بين أصحابه حتى يضيق بها على أحد يكرم من يدخل عليه وربما بسط له ثوبه ويؤثره بالسادة التي تحته ويعزم عليه في الجلوس عليها أن أبى ويكنى أصحابه ويدعوهم بأحب أسماءهم تكرمة لهم ولا يقطع على أحد حديثه حتى يتجاوز فيقطعه بنهى أو قيام وكان أكثر الناس تبساً وأطيبهم نفساً ما لم ينزل عليه قرآن أو يعظ أو يخطب (وأما الشفقة والرأفة والرحمة بجميع الخلق فقد وصفه الله بهافي قوله (عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم) وقال (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) روى أن أعرابياً جاءه يطلب منه شيئاً فأعطاه ثم قال أ أحسنت إليك قال الاعرابي لا ولا أجملت فغضب المسلمون وقاموا اليه فأشار اليهم أن كفوا ثم قام ودخل منزله وأرسل اليه وزاده شيئاً ثم قال

أُحْسِنْتَ إِلَيْكَ قَالَ نَعَمْ فَجَزَاكَ اللَّهُ مِنْ أَهْلِ وَعَشِيرَةِ خَيْرًا
فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِنَّكَ قُلْتَ مَا قُلْتَ وَفِي أَنْفُسِ أَصْحَابِي مِنْ
ذَلِكَ شَيْءٌ فَإِنْ أَحْبَبْتَ فَقُلْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ مَا قُلْتَ بَيْنَ يَدَيَّ حَتَّى
يَذْهَبَ مَا فِي صُدُورِهِمْ عَلَيْكَ قَالَ نَعَمْ فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ أَوْ الْعَشَى جَاءَ
فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِنَّ هَذَا الْأَعْرَابِي قَالَ مَا قَالَ فَزِدْنَاهُ فَرَعْمَ إِنْ
رَضِيَ أَكْذَلِكَ قَالَ نَعَمْ فَجَزَاكَ اللَّهُ مِنْ أَهْلِ وَعَشِيرَةِ خَيْرًا فَقَالَ
عَلَيْهِ السَّلَامُ مِثْلِي وَمِثْلُ هَذَا مِثْلُ رَجُلٍ لَهُ نَاقَةٌ شَرَدَتْ عَلَيْهِ
فَاتَّبَعَهَا النَّاسُ فَلَمْ يَزِيدُوهَا إِلَّا تَقَوُّرًا فَنَادَاهُمْ صَاحِبُهَا خَلُّوا بَيْنِي
وَبَيْنَ نَاقَتِي فَأَنَّى أُرْفِقُ بِهَا مِنْكُمْ وَأَعْلَمُ فَتَوَجَّهَ لَهَا بَيْنَ يَدَيْهَا
فَأَخَذَ لَهَا مِنْ قِمَامِ الْأَرْضِ فَرَدَّهَا حَتَّى جَاءَتْ وَاسْتَنَاحَتْ
وَشَدَّ عَلَيْهَا رَحْلَهَا وَاسْتَوَى عَلَيْهَا وَإِنِّي لَوُتَرَكْتُكُمْ حَيْثُ قَالَ الرَّجُلُ
مَا قَالَ فَقَتَلْتُمُوهُ دَخَلَ النَّارَ وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَا يَبْلُغُنِي أَحَدٌ
مِنْكُمْ عَنْ أَصْحَابِي شَيْئًا فَأَنَّى أَحِبُّ أَنْ أُخْرِجَ إِلَيْكُمْ وَأَنَا سَلِيمُ
الصَّدْرِ وَكَانَ يُسْمَعُ بِكَاءِ الصَّبِيِّ فَيَتَجَوَّزُ فِي صَلَاتِهِ وَعَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ
كَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَتَخَوَّنَا بِالْمَوْعِظَةِ مَخَافَةَ السَّامَةِ عَلَيْنَا (وَأَمَّا)
خَلَقَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي الْوَفَاءِ وَحَسَنِ الْعَهْدِ وَصَلَةِ الرَّحْمِ فَرَوَى
عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي الْحُسَّاءِ قَالَ بَايَعَتِ النَّبِيَّ عَلَيْهِ السَّلَامُ بَيْعَ

قبل أن يبعث وبقيت له بقية فوعده أن آتيه بها مكانه
فنسيت ثم ذكرت بعد ثلاث فجئت فإذا هو في مكانه فقال
يا فتى لقد شققت عليّ أنا هنا منذ ثلاث أنتظرك وكان إذا
أتى بهدية قال اذهبوا بها إلى بيت فلانة فإنها كانت صديقة
لخديجة أنها كانت تحب خديجة وكان عليه السلام يصل ذوي
رحمه من غير أن يؤثرهم على من هو أفضل منهم ووفد عليه
وفد فقام يخدمهم بنفسه فقال له أصحابه نكفيك فقال انهم
كانوا لا أصحابنا مكرمين وإني أحب أن أكاثرهم وفي حديث
خديجة ابشر فالله لا يخزيك الله أبداً إنك لتصل الرحم
وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقرى الضيف وتعين على
نوائب الحق (وأما) تواضعه عليه السلام على علو منصبه
ورفعة رتبته فكان أشد الناس تواضعاً وأقلهم كبراً وحسبك
أنه خير بين أن يكون نبياً ملكاً أو نبياً عبداً فاختار أن يكون
نبياً عبداً وخرج عليه السلام مرة على أصحابه متوكئاً على
عصا فقاموا فقال لا تقوموا كما تقوم الأعاجم يعظم بعضهم
بعضاً وقال إنما أنا عبد آكل كما يأكل العبد وأجلس كما
يجلس العبد وكان يركب الحمار ويردف خلفه ويعود المساكين

ويجالس الفقراء ويجب دعوة العبد ويجلس بين أصحابه
مختلطاً بهم حيثما انتهى به المجلس جلس وقال عليه السلام (لا
تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم إنما أنا عبد فقولوا
عبد الله ورسوله) وحج عليه السلام على رجل رث وعليه
قطيفة ما تساوى أربعة دراهم فقال لهم اجملوه حجاً لا رياء
فيه ولا سمعة هذا وقد فتحت عليه الأرض وأهدى في
حجه ذلك مائة بدنة ولما فتحت عليه مكة ودخلها بجيوش
المسلمين طأطأ على رحله رأسه حتى كاد يس قادمته تواضعاً
لله تعالى وعن أبي هريرة رضى الله عنه دخلت السوق مع
النبي صلى الله عليه وسلم فاشتري سراويل وقال للوازن زن
وأرجع ثم قال فوثب الى يد رسول الله يقبلها فجذب يده
وقال هذا تفعله الاعاجم بملوكها ولست بملك إنما أنا رجل
منكم ثم أخذ السراويل فذهبت لأثمله فقال صاحب الشيء
أحق بشيئه أن يحمله (وأما) عدله عليه السلام وأمانته وعفته
وصدق لهجته فكان آمن الناس وأصدقهم لهجة منذ
كان اعترف له بذلك محادوه وأعداؤه وكان يسمى قبل نبوته
الأمين وقد قدمنا ذلك في سيرته عليه السلام قبل النبوة

وفي الحديث عنه عليه السلام ما لمست يده يد امرأة قط لا يملك رقها قال أبو العباس المبرد قسم كسرى أيامه فقال يوم الرياح يصلح للنوم ويوم الغيم للصيد ويوم المطر للهو والشرب ويوم الشمس للحوائج ولكن نبينا عليه السلام جزأناه ثلاثة أجزاء جزء الله وجزء لاهله وجزء لنفسه ثم جزأ جزءه بين الناس فكان يستعين بالخاصة على العامة ويقول (أبلغوا حاجة من لا يستطيع ابلاغها فان من أبغ حاجة من لا يستطيع ابلاغها أمنه الله يوم الفزع الا كبر) وكان عليه السلام لا يأخذ أحداً بذنب أحد ولا يصدق أحداً على أحد (وأما) وقاره عليه السلام وصمته وتؤدته وسروءته وحسن هديه فكان عليه السلام أوقر الناس في مجلسه لا يكاد يخرج شيئاً من أطرافه وكان اذا جلس احتبى بيديه وكذلك كان أكثر جلوسه محتبياً وكان كثير السكوت لا يتكلم في غير حاجة يعرض عن تكلم بغير جميل وكان ضحكه تبسماً وكلامه فصلاً لا فضول ولا تقصير وكان ضحك أصحابه عنده التبسم توقيراً له واقتداء به مجلسه مجلس حلم وحياء وخير وأمانة لا ترفع فيه الاصوات ولا تؤنب. فيه الحرم اذا تكلم أطرق جلساؤه كأنما على رؤسهم الطير

وقال ابن أبي هالة كان سكوته عليه السلام على أربع على
الحلم والحذر والتقدير والتفكر وقالت عائشة رضى الله عنها
كان عليه السلام يحدث حديثاً لو عدّه العادّ لأحصاه وكان يحب
الطيب والرائحة الحسنة ويستعملهما كثيراً ويحض عليهما ومن
مروءته عليه السلام نهيه عن النفخ في الطعام والشراب والامر
بالاكل مما يلي والامر بالسواك واتقاء البراجم والرواجب
(مواصل الاصابع من ظاهر الكف وباطنها) (وأما زهده
عليه السلام فقد قدمنا لك فيه ما فيه الكفاية وحسبك شاهداً
على تقلله من الدنيا واعراضه عن زهرتها وقد سبقت اليه
بمخافيرها وترادفت عليه فتوحها الى أن توفي عليه السلام
ودرعه مرهونة عند يهودى في نفقة عياله وهو يدعو ويقول
اللهم اجعل رزق آل محمد قوتاً وقالت عائشة رضى الله عنها
ما شبع عليه السلام ثلاثة أيام تباعاً من خبز حتى مضى لسبيله
وقالت ما ترك عليه السلام ديناراً ولا درهماً ولا شاة ولا
بعيراً ولقد مات وما فى يتي شئ يا كله ذو كبد الا شطر شعير
فى رفلى وقال انى عرض على أن تجعل لى بطحاء مكة ذهباً
فقلت لا يا رب أجوع يوماً وأشبع يوماً فأما اليوم الذى

أجوع فيه فأتضرع اليك وأدعوك وأما اليوم الذي أشبع فيه فأحمدك وأثنى عليك وقالت عائشة أنا كنا آل محمد لنمكث شهراً ما نستوقد ناراً أن هو الا التمر والماء وعن أنس ما أكل عليه السلام على خوان ولا في سكرجة ولا خبز له سرق ولا رأى شاة سميطاً قط وفي حديث عائشة كان فراش رسول الله الذي ينام عليه أداما حشوه ليف وعن حفصة كان فراش رسول الله في بيته مسحاً ثنيه ثنين فينام عليه فثنيناه ليلة بأربع فلا أصبح قال ما فرشتموني الليلة فذكر ناله ذلك فقال ردوه بحاله فان وطأته منعتني الليلة صلاتي وقالت عائشة م يمتلئ جوف النبي شبعاً قط ولم يبت شكوى الى أحد وكانت الفاقة أحب اليه من الغنى وان كان ليظل جائعاً يلتوى طول ليلته من الجوع فلا يمنع صيام يومه ولو شاء سأل ربه جميع كنوز الارض وثمارها ورغد عيشها ولقد كنت أبكي رحمة له مما أرى به وأمسح بيدي على بطنه مما أرى به من الجوع وأقول نفسي لك القداء لو تبلغت من الدنيا ما يقوتك فيقول يا عائشة مالي وللدنيا اخواني من أولى العزم من الرسل صبروا على ما هو أشد من هذا ففضوا على حالهم فقدموا

على ربهم فأكرم ما بهم وأجزل ثوابهم فأجندني أستحي أن
 ترفهت في معيشتي أن يقصر بي غدا دونهم وما من شيء أحب إليّ
 من اللّحوق باخواني واخلائي قالت فما أقام بعد الا أشهراً
 حتى توفي صلوات الله عليه وسلامه (وأما) خوفه ربه وطاعته له
 وشدة عبادته فعلى قدر علمه ولذلك قال لو تعلمون ما أعلم
 لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً أرى ما لا ترون وأسمع لا تسمعون
 أظن (صوت) السماء وحق لها أن تظن ما فيها موضع أربع
 أصابع الا وملك واضع جبهته ساجداً لله والله لو تعلمون ما أعلم
 لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً وما تلذثتم بالنساء على الفرش
 ولخرجتم الى الصعدات تجارون الى الله تعالى لوددت اني
 شجرة تمضد وكان عليه السلام يصلي حتى ترم قدماه فقل
 له أتكلف هذا وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما
 تأخر قال (أفلا أكون عبداً شكوراً) وقالت عائشة رضي الله
 عنها كان عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم ديمة وأيكم
 يطيق ما كان يطيق وقالت كان يصوم حتى نقول لا يفطر
 ويفطر حتى نقول لا يصوم وقال عوف بن مالك كنت مع
 رسول الله ليلة فاستاك ثم توضأ ثم قام يصلي فقامت معه

فاستفتح البقرة فلا يمر بآية رحمة الا وقف فسأل ولا مر
 بآية عذاب الا وقف وتعوّذ ثم ركع فكث بقدر قيامه
 يقول سبحان ذى الجبروت والملكوت والعظمة ثم سجد
 وقال مثل ذلك ثم قرأ آل عمران ثم سورة سورة يفعل
 مثل ذلك وقال بعضهم أتيت رسول الله وهو يصلى ولجوفه
 أزيز كأزيز المرجل وفي وصف ابن أبي هالة كان متواصل
 الاحزان دائم الفكرة ليست له راحة وعن علي رضى الله
 عنه قال سألت رسول الله عن سنته فقال (المعرفة رأس مالى
 والعقل أصل ديني والحب أساسى والشوق مركبى وذكر الله
 أنيسى والثقة كنزى والحزن رفيق والعلم سلاحى والصبر
 رداً والرضى غنمى والعجز نحرى والزهد حرفتى واليقين
 قوتى والصدق شفيعى والطاعة حسبى والجهاد خلقى وقرّة
 عيني فى الصلاة وثمرة فؤادى فى ذكره وغمى لاجل أمتى
 وشوقى الى ربى) فجزاء الله من نبى عن أمته خيراً ورحم الله
 عبداً تأمل فى هذه الشمائل الكريمة والحاصل الجميلة فتمسك
 بها واتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليحوز شفاعته يوم
 النزع الاكبر ويرضى الله عنه فنسألك اللهم التوفيق لما فيه

الخير بمنك وكرمك يا ارحم الراحمين

معجزاته عليه
السلام

اذا تأمل المتأمل ما قدمناه من جميل أثر هذا السيد
الكريم وحيد سيره وبراعة علمه ورجاحة عقله وحلمه وجملة
كلامه وجميع خصاله وشاهد حاله وصواب مقاله لم يمتز في
صحة نبوته وصدق دعوته وقد كفى هذا غير واحد في اسلامه
والايمان به كعبد الله بن سلام فانه قال لما قدم النبي المدينة
جثته لا نظر اليه فلما استبينت وجهه عرفت ان وجهه ليس
بوجه كذاب وروى مسلم ان ضمادا لما فند عليه قال له صلى الله
عليه وسلم (ان الحمد لله نحمده ونستعينه من يهد الله فلا
مضل له ومن يضل فلا هادي له وأشهد أن لا اله الا الله وحده
لا شريك له وان محمداً عبده ورسوله) فقال له ضماد أعد
على كلمتك هؤلاء فلقد بلغن قاموس البحر هات يدك أبايك
ولما بلغ ملك عمان ان رسول الله يدعو الى الاسلام قال والله
لقد داني على هذا النبي الامي انه لا يأمر بخير الا كان أول
أخذه ولا ينهى عن شيء الا كان أول تارك له وانه يغلب
فلا يبطر ويغلب فلا يضجر ويبني بالعهد وينجز الموعد وأشهد
انه نبي وقال ابن رواحة

لو لم تكن فيه آيات مينة * لكان منظره ينبيك بالخبر
 كيف وقد أظهر الله على يده تصديقاً لدعوته من المعجزات
 مالا يفي به العدد فهو أكثر الانبياء آية وأظهرهم برهاناً
 . وسندك لك في هذا الفصل من الآيات ما تقر به عينك
 ويزداد به يقينك مما رواه الجلم الغفير من الصحابة رضوان
 الله عليهم وأثبتته المحدثون في صحاحهم ونبدأ منها بأظهرها شيئاً
 وأوضحها بياناً وهو القرآن الشريف وأعجازه (اعلم) أن كتاب
 الله العزيز منطوق على وجوه من الإعجاز كثيرة وتحصيلها من
 جهة ضبط أنواعها في أربعة (أولها) حسن تأليفه والتتام كله
 وفصاحته ووجوه إعجازه وبلاغته الخارقة عادة للعرب
 وذلك أنهم كانوا أرباب هذا الشأن وفرسان الكلام
 قد خصوا من البلاغة والحكم ما لم يخص به غيرهم من
 الأمم وأوتوا من ذرابة اللسان ما لم يؤت انسان ومن فصل
 الخطاب ما يقيد الالباب جعل الله لهم ذلك طبعاً وخلقة
 وفيهم غريزة وقوة يأتون منه على البديهة بالعجب ويدلون
 به الى كل سبب فيخطبون بديهاً في المقامات وشديد الخطب
 ويرتجزون به بين الطعن والضرب ويقدحون ويتوسلون

ويتوصلون ويرفعون ويضعون فيأتون من ذلك بالسحر
الحلال ويطوقون من أوصافهم أجمل من سمط اللآل
فيخمدعون الأبواب ويذللون الصعاب ويذهبون الاحن
ويهيجون الدمن ويجرؤن الجبان ويصيرون الناقص كاملاً
ويتركون النية خاملاً منهم البدوى ذو اللفظ الجزل والقول
الفصل والكلام الفخم والطبع الجوهرى والمنزع القوى
ومنهم الحضرى ذو البلاغة البارعة والالفاظ الناصمة والكلمات
الجامعة والطبع السهل والتصرف فى القول القليل الكلفة
الكثير الرونق الرقيق الحاشية وكلاهما له فى البلاغة الحجة
البالغة والقوة الدامغة والقدح الفالج والمهيح الناهج لا يشكون
ان الكلام طوع مرادهم والبلاغة ملك قيادهم قد حووا
فنونها واستنبطوا عيونها ودخلوا من كل باب من أبوابها
وعلوا صرحا لبلوغ أسبابها فقالوا فى الخطير والمهين وتفتنوا
فى الغث والثلث وتناولوا فى القل والكثر وتساجلوا فى النظم
والنثر فما راعهم الا رسول كريم بكتاب عزيز لا يأتيه
الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد
أحكمت آياته وفصلت كلماته وبهرت بلاغته العقول وظهرت

فصاحته على كل مقول وتضافرا يجازه وعجازه وتظاهرت
 حقيقته ومجازه وتبارت في الحسن مطالعه ومقاطعة وحوت
 كل البيان مجامعه وبدائعه واعتدل مع إيجازه حسن نظمه
 وانطبق على كثرة فوائده مختار لفظه وهم أفسح ما كانوا في
 هذا الباب مجالا وأشهر في الخطابة رجالاً وأكثر في الشعر
 والسجع ارتجالاً وأوسع في الغريب واللغة مقالاً بلغتهم التي
 بها يتحاورون ومنازعهم التي عنها يتناضلون صارخاً بها في كل
 حين ومقرعاً لهم بضماً وعشرين عاماً على رؤس الملا أجمعين
 (أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعم
 من دون الله ان كنتم صادقين) (وان كنتم في ريب مما
 نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من
 دون الله ان كنتم صادقين فان لم تفعلوا ولن تفعلوا) (قل
 لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا
 يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً) (قل فأتوا بعشر
 سور مثله مفتريات) فلم يزل يقرعهم أشد القرع ويوبخهم
 أشد التوبيخ ويسفه أحلامهم ويحط أعلامهم ويشتت نظامهم
 ويدم آلهتهم وآباءهم ويستبيح أرضهم وديارهم وأموالهم

وهم في كل هذا ناكصون عن معارضته محجمون عن مماثلته
 يخادعون أنفسهم بالتشغيب بالكذيب والافتراء بالافتراء
 وقولهم (ان هذا الا سحر يؤثر وسحر مستمر وافك افتراه
 وأساطير الاولين) والمباهة والرضى بالدنية كقولهم (قلوبنا
 غلف وفي أكنة مما تدعوننا اليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا
 وبينك حجاب ولا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه) والادعاء
 مع العجز كقولهم (لو نشاء لقلنا مثل هذا) وقد قال لهم
 (وان تفعلوا) فما فعلوا ولا قدروا ومن تماطى ذلك من
 سخافهم كمسيلة كشف عوراه لجميعهم وسلبهم الله ما ألفوه
 من فصيح كلامهم والا فلم يخف على أهل الميز منهم أنه
 ليس من نمط فصاحتهم ولا جنس بلاغتهم بل ولوا عنه
 مدبرين وأتوا اليه مدعين وأنت اذ تأملت قوله تعالى
 (ولكم في القصص حياة) وقوله (ولو ترى اذ فرعوا فلا
 فوت وأخذوا من مكان قريب) وقوله (ادفع بالني هي أحسن
 فاذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم) وقوله (وقيل
 يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي وغيض الماء وقضى الأمر
 واستوت على الجودي وقيل بعدا للقوم الظالمين) وقوله (فبكلا

أخذنا بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه حاصباً ومنهم أخذته الصيحة
ومنهم من خسفنا به الأرض ومنهم من أغرقنا فما كان الله
ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون (وأشباهها من الآي
بن أكثر القرآن حققت ما ينته من إيجاز ألفاظها وكثرة
معانيها وديباجة عبارتها وحسن تأليف حروفها وتلاؤم كلماتها وأن
تحت كل لفظة منها جملاً كثيرة وفصولاً جمة وعلومًا زواجر
ملئت الدواوين من بعض ما استفيد منها وكثرت المقالات في
المستنبطات عنها ثم هوفي سرد القصص الطوال وأخبار القرون
السوالف التي بضعف في عادة الفصحاء عندها الكلام ويذهب
ماء البيان آية لتأمله من ربط الكلام ببعضه ببعض والنشام
سرده وتناصف وجوهه كقصص يوسف على طولها ثم اذا
ترددت قصصه اختلفت العبارات عنها على كثرة تردها
وتناصف في الحسن وجه مقابلتها ولا تقور للنفوس من ترديدها
ولا معاداة لمعادها (الوجه الثاني) من اعجاز القرآن صورة
نظمه العجيب والاسلوب الغريب المخالف لاساليب كلام العرب
ومناهج نظمها ونثرها الذي جاء عليه ووقفت عليه مقاطع آيه
وانتهت فواصل كلماته اليه ولم يوجد قبله ولا بعده نظير له

ولا استطاع أحد مماثلة شئ منه بل حارت فيه عقولهم وتدهلت
دونه أحلامهم ولم يهتدوا الى مثله في جنس كلامهم من نثر
أو نظم أو سجع أو رجز أو شعر والاعجاز بكل واحد من
النوعين الایجاز والبلاغة بذاتها أو الاسلوب الغريب بذاته
كل واحد منهما نوع اعجاز لم تقدر العرب على الاتيان بواحد
منهما اذ كل واحد منهما خارج عن قدرتها مباین لفصاحتها
وكلامها (الوجه الثالث) من الاعجاز ما انطوى عليه من
الاخبار بالمفنيات وما لم يكن ولم يقع فوجد كما ورد وعلى الوجه
الذي أخبر كقوله تعالى (لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله
آمنين) وقوله عن الروم (وهم من بعد غلبهم سيفعلون في بضع
سنين) وقوله (ليظهره على الدين كله) وقوله (وعد الله الذين آمنوا
منكم وعملو الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين
من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد
خوفهم أمناً) وقوله (اذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس
يدخلون في دين الله أفواجا) فكان جميع هذا كما أخبر فغلبت الروم
فارس ودخلت الناس في الدين أفواجاً واتسع ملك المسلمين حتى
كان لهم في وقت من أقصى بلاد الاندلس غرباً الى أقصى

الهند شرقاً ومن بلاد الاناضول شمالاً الى اقاصى السودان
 جنوباً وقوله (انا نحن نزلنا الذكر واناله لحافظون) فكان كذلك
 الى الآن والحمد لله وقوله (سيهزم الجمع ويولون الدبر) فكان
 كذلك فى بدر والآية نزلت بمكة وقوله (قاتلوهم يعذبهم الله
 بأيديكم) فكان كذلك مما اطلع عليه قارى هذه السيرة وما فيه
 من كشف أسرار المنافقين واليهود ومقاتلهم وكذبهم فى حلفهم
 كقوله (ويقولون فى أنفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول) وقوله
 (يخفون فى أنفسهم مالا يبدون لك) وقوله (ومن الذين هادوا
 يحرفون الكلام عن مواضعه ويقولون سمعنا وعصينا واسمع
 غير مسمع وراعنا لياً بألسنتهم وطعناً فى الدين) الى غير ذلك
 من الآيات البينات (الوجه الرابع) ما أنبأ به من أخبار القرون
 السالفة والامم البائدة والشرائع الدائرة مما كان لا يعلم منه
 القصة الواحدة الا الفذ من أخبار أهل الكتاب الذى قطع عمره فى
 تعلم ذلك فيورده عليه السلام على وجهه ويأتى به على نضه فيقر
 العالم بذلك على صحته وصدقه وان مثله لم ينله بتعليم وقد علموا أنه
 عليه السلام أمى لا يقرأ ولا يكتب ولا اشتغل بمدارسه ولا
 مجالسة لم يغب عنه ولا جهل حاله أحد منهم وكثيراً ما كان يسأله

كثير من أهل الكتاب عن هذا فينزل عليه من القرآن ما
يتلو عليهم منه ذكراً كقصص الانبياء وبدء الخلق وما في
الكتب السابقة مما صدقه فيها العلماء بها ولم يقدر واعلى تكذيب
ما ذكر منها ولم يؤثر ان واحداً منهم أظهر خلاف قوله من
كتبه ولا أبدى صحيحاً ولا سقيماً من صحفه بعد ان قرعهم
ووبخهم بقوله (فل فأنوا بالنوراة فاتلوهان كنتم صادقين)
ومما يدل على أن أهل الكتاب يعلمون صدقه ما تحداهم
فيه الله بقوله (قل ان كانت ليكم الدار الآخرة عند الله
خالصة من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين) ثم
حتم عدم اجابتهم بقوله (ولن يتمنوه أبداً بما قدمت أيديهم)
فما سمع عن أحد منهم انه تمنى ذلك ولو بلسانه مع انهم
كانوا أحرص الناس على تكذيبه ومثل ذلك ما فعله أهل
نجران حينما دعاهم للمباهلة فأبوا وقد قدمنا ذلك في فصل
وفودهم ومما يدل على أن هذا القرآن ليس من كلام البشر
الروعة التي تلحق قلوب سامعيه والهيبة التي تعترهم عند
تلاوته لقوة حاله وانافة خطره حتى كانوا يستنقلون سماعه
ويزيدهم نفوراً ولهذا قال عليه السلام ان القرآن بصعب

مستصعب على من كرهه وهو الحكيم وأما المؤمن فلا
تزال روعته به وهيبته إياه مع تلاوته توليد اقبالاً وتكسبه
هشاشة كميل قلبه إليه وتصديقه به قال تعالى (نقشعر منه
جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله)
وقال تعالى (لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خائساً متصدعاً
من خشية الله) ومن وجوه إعجاز القرآن كونه آية نافية لا تعدم
ما بقيت الدنيا مع تكفؤ الله بحفظه فقال (أنا نحن نزلنا الذكر
وأناله لحافظون) وقال (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه)
وسائر معجزات الأنبياء لم يبق إلا خبرها والقرآن إلى وقتنا
هذا حجة قاهرة ومعارضة ممتعة والأعصار كلها طائفة بأهل
البيان وحملة علم اللسان وأئمة البلاغة وفرسان الكلام وجهابذة
البراعة والملاحد فيهم كثير والمعاند للشرع غثيه فما منهم
من أتى بشيء يؤثر في معارضته ولا ألف كلمتين في مناقضته
ولا قدر فيه على مطعن صحيح ولا قدح المتكلف من ذهنه
في ذلك إلا بزند شحيح بل المأثور عن كل رام ذلك القاوؤ
في العجز بيديه والتكوص على عقبيه ولنختم لك هذا الباب
بحديثه عليه السلام في القرآن قال (إن الله أنزل هذا القرآن

آمراً وزاجراً وسنة خالية ومثلاً مضر وباً فيه نبؤكم وخبر
 من كان قبلكم ونبأ ما بعدكم وحكم ما بينكم لا يخلق طول
 الرد ولا تنقض عجايبه هو الحق ليس بالهزل من قال به
 صدق ومن حكم به عدل ومن خاصم به فليج ومن حكم به
 أقسط ومن عمل به أجر ومن تمسك به هدى الى صراط
 مستقيم ومن طلب الهدى من غيره أضله الله ومن حكم
 بغيره قصمه الله هو الذكر الحكيم والنور المبين والصراف
 المستقيم وحبل الله المتين والشفاء النافع عصمة لمن تمسك به
 ونجاة لمن اتبعه لا يعوج فيقوم ولا يزيف فيستعقب (ومن)
 معجزاته عليه السلام انشقاق القمر وقد قدمنا حديثه مستوفى
 (ومن) معجزاته عليه السلام نبع الماء من بين أصابعه وتكثيره
 ببركته وقد روى هذا الجم الغفير من الصحابة منهم أنس
 وجابر بن مسعود قال أنس رأيت رسول الله وقد حانت
 صلاة العصر فالتمس الناس ماء للوضوء فلم يجدوه فأتى النبي
 بوضوء فوضع في الاناء يده وأمر الناس أن يتوضؤوا منه
 قال فرأيت الماء ينبع من بين أصابعه فوضأ الناس حتى توضؤوا
 عن آخرهم فقليل كم كنتم قال زهاء ثلاثمائة وقال ابن مسعود

بينما نحن مع النبي وليس معنا ماء فقال لنا اطلبوا من معه فضل ماء فأتى بماء فصبه في اناء ثم وضع كفه فيه لجعل الماء ينبع من أصابعه وقال جابر عطش الناس يوم الحديبية ورسول الله بين يديه ركوة فتوضأ منها وأقبل الناس نحوه وقالوا ليس عندنا ماء الا في ركوتك فوضع يده في الركوة لجعل الماء يفور من بين أصابعه كأمثال العيون قيل كم كنتم قال لو كنا مائة ألف لكفانا كنا خمس عشرة مائة وروى هذه القصة جمع عظيم من الصحابة ومثل هذا في هذه المواطن الخفيفة والجموع الكثيرة لا تطرق التهمة الى المحدث به لانهم كانوا أسرع شئ الى تكذيبه لما جبلت عليه نفوسهم من ذلك ولانهم كانوا آمن لا يسيكت على باطل فهو لاء قدروا هذا وأشاعوه ونسبوا حضور الجمل الغفير له ولم ينكر عليهم أحد من الناس ما حدثوا به عنهم أنهم فعلوه وشاهدوه فصار كتصديق جميعهم لهم (ومما) يشبه هذا تفجير الماء ببركته وانبعائه بمسه ودعوته كما ورد عن معاذ بن جبل في قصة غزوة تبوك وانهم وردوا العين وهي تلمع بشئ من مثل ماء الشراك فغرفوا من العين بأيديهم حتى اجتمع في شئ ثم غسل عليه السلام وجهه

ويده به وأعاده فيها فجرت بماء كثير فاستقى الناس وفي رواية
ابن اسحق فانحرق من الماء ماله حس كحس الصواعق
ثم قال يوشك يا معاذ ان طالت بك حياة ان ترى ما هنا قد
ملىٰ جنائنا وقد قدمنا ذلك في غزوة تبوك وروى عن البراء
وسلمة بن الاكوع بكثير عين الحديدية بدعوته عليه السلام
وروى أبو قتادة ان الناس شكوا الى رسول الله العطش في
بعض أسفاره فدعا بالمياضة فجعلها في يده (ما بين الكشح
الى الابط) ثم التقم فيها فاشبع ، أعلم أنفث فيها أم لا فشرب
الناس حتى رووا وملوا كل اناء معهم نخيل لى انها كما أخذها
منى وكانوا اثنين وسبعين رجلاً ورويت قصص مشابهة لهذه
عن كثير من الصحابة رضوان الله عليهم في محال مختلفة
بحيث لا يشك أحد في صدقها بعد نضافر الثقات على روايتها
(ومن) ذلك تكثير الطعام ببركته ودعائه صلى الله عليه وسلم
روى طلحة انه عليه السلام أطعم ثمانين أو سبعين رجلاً من
أقراص من شعير جاء بها أنس تحت ابطه فأمر بها عليه السلام
ففننت وقال فيها ما شاء الله أن يقول وروى جابر انه عليه
السلام أطعم يوم الخندق ألف رجل من صاع شعير وعناق

ويقول جابر فأقسم بالله لا أكُلوا حتى تركوه وانحرفوا وان
برمتنا لتغلي كما هي وان عجيننا ليخبز وكان عليه السلام قد بصق
في العجين والبرمة وبارك وروى أبو أيوب أنه صنع لرسول
الله وأبي بكر طعاماً يكفيهما فأطعم منه عليه السلام مئة وثمانين
رجلاً وروى مثل ذلك كثير من الصحابة كعبد الرحمن
ابن أبي بكر وسامة بن الأكوع وأبي هريرة وعمر بن الخطاب
وأُس بن مالك رضوان الله عليهم أجمعين (ومن) معجزاته
عليه السلام قصة حنين الجذع قال جابر بن عبد الله كان المسجد
مستقوفاً على جذوع نخل فكان عليه السلام اذا خطب يقوم
الى جذع منها فلما صنع له المنبر سمعنا لذلك الجذع صوتاً
كصوت العشار وفي رواية أنس حتى ارتج المسجد لخواره
وفي رواية سهل وكثر بكاء الناس لما رأوا به وفي رواية
المطاب وانشق حتى جاء النبي صلى الله عليه وسلم فوضع يده
عليه فسكت زاد غيره فقال عليه السلام ان هذا البكاء ما
فقد من الذكر وزاد غيره والذي نفسي بيده لو التزمه لم يزل
الى يوم القيامة تحزناً على رسول الله فامر به فدفن هكذا
تحت المنبر وهذا الحديث خرجه أهل الصحة ورواه .

انصحابه كثيرون ورواه عنهم من التابعين ضعفهم وبين دون
 عدتهم يقع العلم لمن اعتنى بهذا الباب والله المثبت على الصواب
 (ومن) معجزاته عليه السلام ابراء المرضى وذوى الامهات
 فقد أصيبت يوم أحد عين قتادة بن النعمان حتى وقعت على
 وجنته فردها عليه السلام فكانت أحسن عينيه وأحدهما وبصق
 على أثر سهم في وجه أبي قتادة في يوم ذي قرد فما ضرب
 عليه ولا قاح وأصاب ابن ملأب الاسنة استسقاء فبعث
 ابي النبي عليه السلام فاخذ بيده حثوة من الارض فثقل عليها
 ثم أعطاها رسوله فاخذها يرى انه قد هزى به فاتاه بها وهو
 على شفا فشر بها فشفاه الله وتقدم حديث على ورمده في غزوة
 خيبر وغير ذلك كثير مما يعجز قلمنا عن عدده ورواه ثقات
 انسلمين الاعلام (أما) ما منحه الله اياه من اجابة دعواته
 فروى عن أنس بن مالك قال قالت أمي أم سليم يا رسول الله خادمك
 أنس ادع الله له فقال اللهم أكثر ماله وولده وبارك له فيما آتيت
 قال أنس فوالله ان مالى لكثير وان ولدى وولد ولدى ايعادون
 اني يوم نحو المائة ودعا لعبد الرحمن بن عوف بالبركة فكان نصيب
 كل زوجة من زوجاته الاربع من تركته ثمانون ألفاً وتصدق

مصرة بعير فيها سبعمائة بعير وردت عليه تحمل من كل شيء
 فتصدق بمالها وماعليها وأبقائها وأحلاسها (ودعا) لمعاوية
 بالتمكين في الارض فقال الخليفة ودعا لسمعد باجابة الدعوة
 فما دعا على أحد الاستجيب له ونقدم دعاؤه لعمر بن الخطاب
 ان يعز الاسلام به وقال لابي قتادة أفلح وجهك اللهم بارك
 في شعره وبشره فمات وهو ابن سبعين سنة وكانه ابن خمس
 عشرة ودعواته عليه السلام المستجابة أكثر من ان تحصى
 يطلع عليها قارئ سيرتنا هذه (اما) ما أطلعه الله عليه من علم
 ما لم يكن فما سارت به الركبان فمن حذيفة رضى الله عنه قام
 فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقاما فما ترك شيئا
 سيكون في مقامه ذلك الى قيام الساعة الاحدثه حفظه من
 حفظه ونسيه من نسيه قد علمه أصحابي هؤلاء وانه ليكون منه
 الشيء فاعرفه فاذكره كما يذكر الرجل وجه الرجل اذا غاب عنه
 ثم اذا رآه عرفه وما أدرى أنسى أصحابي اما تناسوا والله ما ترك
 عليه السلام من قائد فتنة الى أن تنقضى الدنيا يبلغ من معه
 ثلاثمائة فصاعدا الا قد سماه لنا باسمه واسم أبيه واسم قبيلته
 وقد خرج أهل الصحيح والأئمة ما أعلم به أصحابه مما وعدهم

به من الظهور على أعدائه وفتح مكة وبيت المقدس واليمن
والشام والعراق وظهور الامن حتى تظعن المرأة من الحيرة
الى مكة لا تخاف الا الله وأن المدينة ستغزى وبفتح خيبر على
يد علي في غديومه رما يفتح الله على أمته من الدنيا ويؤتوز
من زهرتها وقسمتهم كنوز كسرى وقيصر وقد قدمنا كثيراً
من ذلك في هذه السيرة وقد مرنا ما في القرآن من ذلك وهذا
يغنيا عن الاطالة في هذا المقام فحسبك ما سمعت (ومما) يير
بصيرتك أيها القارئ ما من الله به على رسولنا من عصمته
له من الناس وكفائته من آذاه قال تعالى (والله يعصمك من
الناس) وقال (واصبر لحكم ربك فانك بأعيننا) وقال
(أليس الله بكاف عبده) وقال (انا كفيناك المستهزئين)
ولما نزل (والله يعصمك من الناس) صرف حجابهم وقال
انصرفوا فقد عصمنا الله وقد قدمنا حديث دغثور وارادته
قتل النبي عليه السلام وعصمة الله لنبينا وذكرنا كثيراً مما
حصل من أبي جهل لما أراد بالرسول المكياد فكفاه الله
شره وما من الله به عليه ليلة الهجرة وحديث سراقه في
الطريق وعلى الجملة فيكفينا من هذا الباب أنه عليه السلام

مكث بين أعداء الداء بمكة ثلاث عشرة سنة وبين مشايهم
من المنافقين واليهود عشر سنين فما تمكن أحد من إيصال
أذى إليه صلى الله عليه وسلم بل كفاه مولاه شر أعدائه حتى أظهر
الدين وتممه والحمد لله حمداً يوافي نعمه ويكافئ مزيده ونسأله
ان يوفق قارئ هذه السيرة الى اتباع رسوله صلى الله عليه
وسلم وعلى أصحابه وأنصاره

﴿تقریظ﴾

قد اطلع على كتابنا هذا حضرة الكاتب الاديب والشاعر
البلغ الشيخ عبد العزيز چاويش المدرس بالمدرسة الناصرية
فقال مقررآله

حمد الله تعالى حياطة آلائه وشكره اجلال سيد انبيائه
وما طويت صحائف الصدور على أحسن حديثاً من كتاب الله
القيم ولا طرقت المسامع بأجل من سيرة نبيه الكريم ولقد
أطنب بعض واضعي السير وأتى من الاوضاع ما لا يحتمله
الخبر ظنا منه ان افرية تفيده من تكفل الحق تعالى باطرائه
واعلائه فوق سمائه وقلماسلم راوية من قيل عليل أو أمن نسب
من دعى دخيل ونبي بلغ شأواً العلو غنى وربك عن العلو فما

حاجة الاسد الى السلاح المدجج او الغانية الى اللباس المدبج
وما الغلو بهائض ولا جابر ولا خاذل ولا ناصر ان كان باريه
هو يده التي يبطش بها وعينه التي يبصر بها خلقه فاحسن
خلقه وأدبه فأحسن تأديبه ثم تولى حياته وتقيل يوم الفزع
شفاعته ولا ريب ان ميدان السير كثر جواله فما جلى ولا
صلى ولكن جهد وتولى وبحر الرواية كثر خائضه فما قطع ولا
رجع وكثير من رواة المعجم ذهبوا عباديد وجاسوا خلال
ديارها عراييد حتى وطنوا العاقل على الريب من أنبائهم
وخدعوا الجاهل بصبغة طلائهم وبديهي ان قصارى الشعب
الكظة وأوشكت الشهامة ان تكون غاظة وما زالت الاحقاد
تسدل على ذلك سياجها وتقلق دون طالبه رتاجها حتى قيض
الله قيد وأبدها وماتح مواردها حضرة الفاضل الشيخ محمد
الحضري فقد خاض عباها واقنحم قفرها ويباها لم يلبثه عن
وجهته روع ولم تثنه عتمة ذلك السبيل حتى تنور (بنور اليقين)
غيابة ذلك الجب وتوكلأ على نكاة عناية الله في تذليل هذا
الامر الصعب قفل بمشحوذ غرار كل حديد واجلب في تلك
الملاحم حتى وهن عن كفاحه كل جليد وسعى في أثر تلك

الشوارد حتى شكر الله سعيه واعتمد صحاح الاخبار وأنعم فيها
رأيه فتجلت بتنقيبه خفايا الحقائق حاسرة ووجوه الدقائق ناضرة
ونقض بمعمل فكره ما اصطنعت السحرة الاولون وألقى عصاه
فاذا هي تلقف ما يأفكون وقد تصفحت كتابه الجليل فاذا هو
خلو من الدعوى والدخيل جمع الى تحرى الصدق صدق التحرى
والى جزالة المعنى وجازة الالفاظ والى الافتنان فى أساليبه
سلاسة العبارة ومن عرف جامع شتانه ومبدع آياته وأبصر
منه تلك الذلاقة والحذاقة والبراعة والبلاغة ركنت نفسه
لما نسجته قريحته الوقادة وفكرته النقادة وفقه الله تعالى لملى
ما فيه خير العمل وافسح له فى رقعة الاجل حتى يصون العلم
ببذله ويمنع الناس بفضله آمين

ولما تم طبعه أرخه حضرة الفاضل الاديب الشيخ محمد حامد فقال
يامعشر الاسلام هذى سيرة * لبست بذكر محمد ثوب البها
لما بدت بالطبع قلت مؤرخاً * بالسيرة النبوية الدين ازدهى

سنة ١٣١٥



صواب	خطأ	صحيفة	سطر
الغزالي	الغزالي	٠٠٤	١٥
الحزرجية	الحزرجية	٠٠٥	٠٩
أم	أمراء	٠١٠	١٠
يجير	يجز	٠١١	٠٩
خديجة	حديجة	٠١٤	٠٢
سواس	سوس	٠١٤	١٥
ابتدوا	ابتدأوا	٠١٥	١٥
الالهية	الآلهة	٠١٨	٠٧
يرجف	برجف	٠٣٠	١٤
انبيائه	انبياءه	٠٣٠	١٥
شيئاً	سماً	٠٤٤	٠٨
لجباب	حياب	٠٤٩	١٣
رضى	رضا	٠٥٣	١٣
الرسول	لرسول	٠٦١	٠٦
الله	لله	٠١٤	٠٥
سهم	ذسهم	٦٥	١٧
صحته	صحه	٠٦٦	١٧
اخترناه	خترناه	٠٧٢	٠٥
ردا	را	٠٧٥	١٦
اكرمه	اكرمة	٠٧٨	١١
رأى	ارأى	٠٧٨	١٥

صواب	خطأ	صحيفة	سطر
يمنعون منه	يمنعون به	٠٨٤	١٤
تمنعون منه	تمنعون به	٠٨٧	٠٥
الطلب	الطب	٠٩٢	٠٢
لقص	للقص	٠٩٢	٠٣
من بلاد منعه أهلها	من منعه أهلها بلاد	٠٩٥	١٥
جوار من بنى	جوار بنى	٠٩٨	١١
للمهاجرين	للمهاجرين	١٠٠	١٧
فكره	فكرمه	١٠٣	٠٦
ماداً	باداء	١١٠	٠١
قوتل	قوتلوا	١١٠	٠٢
زرارة	زراره	١١٢	١٥
عليه السلام بالمدينة	عليه بالمدينة السلام	١١٦	١٤
اللبى	اللين	١٣٢	٠٩
ابوسميان	ابوسميان	١٤٧	١٤
لقيت	لقيت	١٤٧	١٧
ثم سار	ثم نزل	١٥١	١٣
ويشدن	ويشدون	١٥٣	٠٣
نخرح	نخرح	١٧٠	١٥
فايتم أولادكم	فايتم أموالكم	١٧٣	٠٤
تمحزب	تمحزب	١٨٥	١٦
نعملون	نعملون	١٨٦	٠٤
السافلة	السافلة	١٩١	١٤

١٧	٢٢٦	خَبَلِي	خَبَلِي
٠٤	٢٢٨	تَدْعُوا	تَدْعُو
٠٩	٢٣٤	وَيَعُودُ مِنْهَا عَلٰى	وَيَعُولُ مِنْهَا
١٦	٢٥٥	الْحَجَّ	الْفَتْحَ
١٥	٢٥٧	قَصِيدَتَهَا	قَصِيدَتَهُ
٠٨	٢٨٣	فِيهِمْ	فِيهِ
٠٤	٢٩٥	أَتَأْخُذُ	أَتَأْخُذُهُ
١٦	٢٩٦	يَبْنَا	يَبْنَا
١٢	٢٩٧	وَدَعَاهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ	وَدَعَاهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ
١٧	٣٠١	بَشْرَفًا	فَابْشُرْ

﴿فهرست﴾

٩٧	أول جمعه	حرف الهمزة
٤٥	الايداء	٩٩ اخوة الاسلام
	حرف الباء	١٣١ أُسْرَى بِدَر
١٠٢	بدء الأذان	٧٨ الاسراء
٨٤	بدء اسلام الانصار	٥٣ اسلام حمزة
١١٠	بدء القتال	٢٣٥ اسلام خالد
٢٩	بدء الوحي	٦٤ اسلام عمر
٢٩٠	بعث عمال اليمن	٩٥ أعمال مكة

٢٨٣ حديث المخلفين	١٥ بناء البيت
١١ حرب الفجار	١٠١ بناء مسجد المدينة
٢٧ حركة الافكار قبل البعثة	٢١٢ بيعة الرضوان
١٣ حلف الفضول	٢٥٨ بيعة النساء
٧٧ حماية المطعم بن عدي	حرف التاء
٩ حادثة شق الصدر	٢٣ تبشير الانجيل
حرف الحاء	٢٧ تبشير التوراة
١٨٣ الخدعة في الحرب	١١٦ تحويل القبلة
٢ خطبة الكتاب	حرف الجيم
٢٩١ خطبة الوداع	١٤٢ جلاء قينقاع
حرف الدال	٤١ الجهر بالتبليغ
٣٣ الدعوة سرّاً	حرف الحاء
٨٩ دار الندوة	٢٨٧ حج أبي بكر
حرف الراء	٢٩٠ حجة الوداع
٦٦ رجوع مهاجرى الحبشة	١٩٣ الحجاب
٢٢٣ رجوع مهاجرى الحبشة	٢١٨ حديث أبي سفيان
٨ الرضاع	١٧٤ حديث الافك

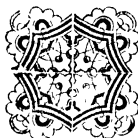
(١٦٣)(١٦٤)(٩٦)	حرف الزاى
(٢٠٠)(٢٠١)(٢٠٢)	١١٧ زكاة المال
(٢٠٣)(٢٠٦)(٢٠٧)	٢٢٤ زواج الرسول أم حبيبة
(٢٣٥)(٢٣١)(٢٣٧)	١٧١ زواج جويرية
(٢٣٩)(٢٤٠)(٢٤٤)	١٦٠ زواج حفصة
(٢٥٥)(٢٦٤)(٢٧٢)	١٤ زواج خديجة
(٢٧٣)(٢١٤)(٢٧٥)	١٩٠ زواج زينب بنت جحش
(٢٧٦)(٢٨٩)(٢٠٧)	١٦١ زواج زينب بنت خزيمة
١٠ السفر الى الشام المرة الاولى	٧٣ زواج سودة
١٤ السفر الى الشام المرة الثانية	٢٠٣ زواج صفية
١٩ سيرة الرسول قبل البعثة	٧٤ زواج عائشة
حرف الشين	٢٢٩ زواج ميمونة
٣١٣ شمائله عليه السلام	٧ زواج عبد الله بآمنة
حرف الصاد	١٤٣ زواج علي بفاطمة
١١٧ صدقة الفطر	حرف السين
٢٣٤ صلح تيماء	سرايا (١١)(١١٥)(١٤٧)
٢١٣ صلح الحديبية	

١٩٨ غزوة بنى لحيان	٣٠٩ صلاة أبى بكر بالناس
١٧٠ غزوة بنى المصطلق	١٣٤ صلاة العيد
١٦٥ غزوة بنى النضير	حرف العين
١١٢ غزوة بواط	٨٢ المرض على القبائل
٢٧٨ غزوة تبوك	٢٥٣ العفو عند المقدرة
٢٠٨ غزوة الحديبية	٨٤ العقبة الاولى
١٥٩ غزوة حمراء الاسد	٨٧ العقبة الثانية
٢٥٩ غزوة حنين	١٧١ عمرة الجعرانة
١٧٩ غزوة الخندق	٢٣٧ عمرة القضاء
٢٢٨ غزوة خيبر	٢٣ عود الوحي
١٦٧ غزوة ذات الرقاع	حرفه العين
١٤٢ غزوة السويق	١٤٧ غزوة أحد
١٦٤ غزوة الطائف	١٤٧ غزوة بجران
١٤٦ غزوة غطفان	١١٤ غزوة بدر الاولى
١٩٩ غزوة الغابة	١٦٨ غزوة بدر الآخرة
٢٤٦ غزوة الفتح	١١٨ غزوة بدر الكبرى
١٤٠ غزوة قينقاع	١٨٦ غزوة بنى قريظة

٢٢٢ كتاب الحارث	٢٤١ غزوة مؤتة
٢٨٢ كتاب صاحب أيلة	١١٢ غزوة ودان
٢١٨ كتاب قيصر	حرف الفاء
٢٢٥ كتاب كسرى	٢٣٤ فتح فذك
٢٢٢ كتاب المقوقس	٢٣٤ فتح وادى القرى
٢٢٦ كتاب ملكي عمان	٣٢ فترة الوحي
٣٠١ كتاب ملوك حمير	١٣٣ الفداء
٢٢٥ كتاب المنذر بن ساوى	١٩٦ فرض الحج
٢٢٤ كتاب النجاشى	حرف القاف
٢٢٧ كتاب هوذة بن على	٢٠٤ قتل أبى رافع
١٠ كنفالة ابى طالب	١٤٤ قتل كعب بن الاشرف
حرف الميم	٢٠٦ قصة عكل وعمرية
٣٠٨ مرض الرسول	حرف الكاف
٢٨٣ مسجد الضرار	٢٢١ كتاب أمير بصرى
٩٦ مسجد قباء	٢٨٢ كتاب أهل اذرح
١٠٧ مشروعية القتال	٢٨٦ كتاب أهل الطائف
٣٤٠ معجزاته عليه السلام	٦٩ كتابة الصحيفة

٧٠ هجرة الحبشة الثانية	٢١٨ مكاتبة الملوك
٧٥ هجرة الطائف	١٠٦ معاهدة اليهود
٨٨ هجرة المسلمين للمدينة	١٧ معيشة الرسول قبل النبوة
٩١ هجرة المصطفى	١٠١ منع المستضعفين
٢٥٩ هدم سواع	١٠٦ المنافقون
٢٥٩ هدم العزى	١٩ ما أكرم الله به قبل النبوة
٢٨٧ هدم اللات	حرف النون
٢٥٩ هدم مناة	٩٤ النزول ببقاء
١٨٥ هزيمة الاحزاب	٩٨ النزول على أبى أيوب
حرف الواو	٩٩ نزول المهاجرين
٣٠٠ وفود ازد شنوده	٥ النسب الشريف
٢٩٩ وفود بنى حنيفة	٧١ نقض الصحيفة
٣٠٤ وفود بنى سعد بن هذيم	٢٣٣ نكاح المتعة
٣٠٥ وفود بنى فزارة	حرف الهاء
٣٠٦ وفود بنى عذرة	٩٤ هجرة الانبياء
٣٠٦ وفود بنى محارب	١٠٠ هجرة آل البيت
٣٠٤ وفود تجيب	٦٤ هجرة الحبشة الاولى

٢٧٦ وفود عدی بن حاتم	٣٧٣ وفود تمیم
٣٠٧ وفود غسان	٢٨٥ وفود ثقیف
٢٥٧ وفود کعب بن زهیر	٧٨ وفود دوس
٢٩٩ وفود کنده	٣٠٠ وفود رسول ملوک حمیر
٧١ وفود نجران بمکه	٢٧٢ وفود صداء
٢٩٥ وفود نجران بالمدينة	٢٨٢ وفود صاحب ايلة
٣٠٢ وفود همدان	٢٩٦ وفود ضمام بن ثعلبة
٢٩٦ وفود هوازن	٢٩٩ وفود طيء
	٢٩٧ وفود عبد القیس



✽ للمؤلف غير هذا الكتاب تحت الطبع ✽

(اولاً) اتمام الوفاء بسيرة الخلفاء
(ثانياً) البرهان في أصول الدين واخلاق القرآن

هذا الكتاب يطلب من مؤلفه بالمنصوره ومن محمد
افندي حبيب صاحب مكتبة الآداب بشارع غيط العدة بمصر
ومن حضرة الشيخ محمد الدريني الكتي باسكندرية

ثمن الكتاب

١٥ غرش صاغ



